

11

يونيو - يونيو ١٩٨٧

مجلة كل المثقفين العرب

يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

لطف العدد . نحسن هرود . مفکرا و شهیدا

باقلام : حنا مینه - محمود درویش - محمد نگروب

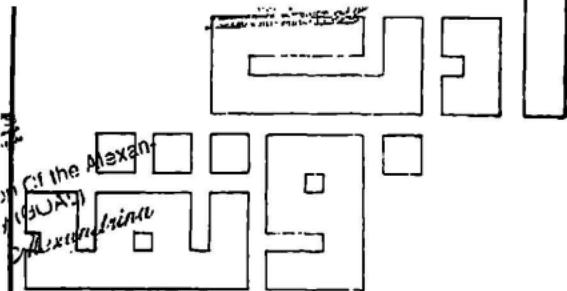
د. عبد العليم ليس = محمود أهين العالم = د. محمود أسماعيل

جزء الفصل الدراسي السادس لعدد الوجهين



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



مجلة كل المثقفين العرب

بصريّة حزب الله: حجم الوحدة، المتّبع في الأُحدُودي

العدد الحادي، والتلادنون

بیوکیه / بولیہ سنہ ۱۹۸۷

السنة الرابعة

مجلة شهرية

تصدر منتصف

کل شہر

د. عبد العظيم أنيس
د. لطيفة الزيات
ملاك عبد العزيز

الإشراف الفنى □
أحمد عزالعرب

□ سكريتير التحرير
ناصر عبد المنعم

رئيس التحرير

دكتور: الطاهر أحمد مكي

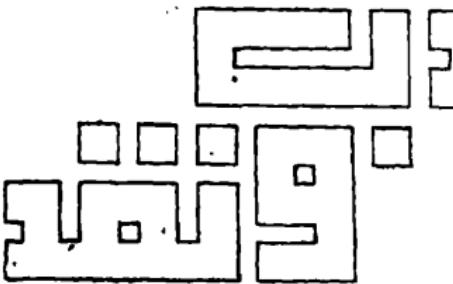
مدير التحرير

فریدة البنقة اش

* المراسلات : مجلة ادب ونقد - ٢٣ شارع عبد الخالق ثروت - القاهرة

أسعار الاشتراكات لمدة سنة واحدة "١٢ عدد"

الاشتراكات داخل جمهورية مصر العربية ستة جنحهات
الاشتراكات للبلدان العربية خمسة وأربعين دولاً أو ما يعادلها
الاشتراكات في البلدان الأوروبية والأمريكية تسعين دولاً أو ما يعادلها



بمقدمة حبيب التجمع الوطني التشيي الودي

في هذا العدد :

صفحة

- * الفتحالية : اعتذار ٠٠ لارثاء د° عبد العظيم أنيس ٤
- * مافت العدد : حسين مروة ٠٠ مفكراً وشهيداً ١٠
- * حسين مروة نبيل فرج ١٣
- * عقل موزع في عقول مريديه ٠٠ رغم الحصار د° محمود اسماعيل ١٨
- * من يرسم الطيبة هنا مينه ٢٤
- * كلمات عنه ٠٠ وعن الفرح بتجديد الآخرين محمد دكروب ٤١
- * سيظل منارة مضيئة ٠٠ ابداً محمود أمين العالم ٥٣
- * اغتيال حسين مروة محمود درويش ٦١
- * بحث عن واقعية الواقعية ٠٠ آخر ما كتب المفكر الشهيد حسين مروة ٦٦
- * شعر : القصائد الأخيرة لعبد الرحمن الخميسي ٧٥
- * شعر : النفح في صور الخروج السيد النمس ٧٨
- * شعر : سيف في نفسي وصفى صادق ٨١
- * قصة قصيرة : الحياة في الزمن الخطأ مدحت أبواب ٨٤
- * شعر : للـ طلبي على ومحمد سهير عوض ٨٦

صفحة

- * برنارد لريسن المستشرق
مشاماً .. وهماركا
- جوان جونتيسول ترجمة : ليلى الشربيني
- ٨٨ ٩٣ ٩٦ ٩٩ ١١٤ ١١٨ ١٢١ ١٢٧ ١٣٠ ١٣٣ ١٣٦ ١٤٠ ١٤٣ ١٤٧ ١٤٩ ١٥١ ١٥٤
- * قصة قصيرة : خنان بروسلی
* شعر : مع الانسان
* رؤية الآخر : المعرفة والسلطان
* ايديولوجيا الاستشراق
- محمد الخنزجي ابراديم البانى عصام فوزى ليلى الشربينى احمد زغول الشيشطاى على عبد النعم
جمال نكى مقار هشام مصطفى قشطة سمير رمزي المزلاوي سعيد عبد الفتاح احمد زرزور محمد عبد الحليم غنيم
طلعت سنبوسى وضوان السيد ابراهيم عطية حوار العدد : مع الناقد الادبى على عشرى زايد اجراء : احمد جودة
خليل عبد الكريم من الترات التسجيلية والشهادة على الواقع في رواية
شمس الدين موسى « حجر داف »

اعتزاز .. لارثاء

د. عبد العظيم أنبيس

من العسير على انسان مثلى ان يؤبن كاتباً ومحكراً مثل حسين مروء . بل لقد بدا من المستحيل على ان اجلس الى مكتبى لاكتب كاملاً في هذه المناسبة الحزينة ، فكل الكلمات تبدو عصبية على ، وانا الانسان الذى لم ينقطع عن الكتابة خلال السنين الثلاثة الماضية .

وليس هذا الموقف مني بالعسير على الفهم ، فانا قد عرفت حسين مروء منذ اواخر عام ١٩٥٤ وربطتنا صداقة قوية منذ تلك الحين ، ولذا بدا لي نبأ مصرعه بمثابة الكارثة الشخصية فضلاً عن الخسارة السياسية والفكيرية التي منيت بها الامة العربية ، وحتى اليوم تمر بي لحظات اكاد لا اصدق ان ما حدث قد حدث !

ولقد اتذكر اذنا التقينا لأول مرة في مقر مجلة الثقافة الوطنية في بيروت ، وكان هذا المقر لا يزيد عن غرفة صغيرة في شارع الارز (الصيفي) وربما كان اول لقائنا في صالون منزله في (محلة البربور) دخلته في صحبة الصديق العزيز محمد نكروب . لا استطيع الان ان اتذكر على وجه اليقين في أيهما كان اللقاء الاول .

كنت قد غادرت القاهرة في الاسبوع الاول من نوفمبر من ذلك العام قاصداً بيروت ، بعد ان صدر قرار فصلى من عملى كمحاضر بكلية الطوم جامعة القاهرة ، من جانب مجلس قيادة الثورة في اواخر سبتمبر ١٩٥٤ كواحد من أسانذة الجامعة الشيوعيين ، وقد فصل معى كثيرون منهم الصديق العزيز محمود أمين العالم الذى كان يحاضر في كلية الاداب بنفس الجامعة وبقيت من اواخر سبتمبر الى اوائل نوفمبر بلا عمل ادبر به مطالب لعيش لاسرى ، حتى جاء الى من يقول ان معهد الاحصاء الدولى في لاهامى قد افتتح له فرعاً في بيروت منذ عام ، وأن المشرفين على هذا المشروع

بحثون عن محاضر غربى يثولى تدريس نظرية الاحصاء باللغة العربية ،
وأنهم رشحوني لهذه المهمة التى تستغرق أربعة شهور .

ومكذا سافرت الى بيروت فى اوائل نوفمبر ، وكان خروجى من مطار
القاهرة الى بيروت خطأ وقع فيه ضابط الجوازات وعقب عليه ، لكنى
وصلت الى بيروت فى نهاية الامر ولم اكن اعرف أحدا هناك .

وطللت ابحث حتى احتديت الى مقر مجلة الثقافة الوطنية ، ودخلت
وفدمت نفسي ، هل كان محمد دكروبى وحده فى هذا المقر عندما دخلته أم
ان حسين مروءة كان هناك أيضا ؟

الآن لا استطيع أن اتيقن ، لكنى اتذكر جلستنا فى صالون منزل
حسين ، والمناقشات الساخنة التى كانت تجرى حول اي شئ ، وحوال كل
شيء مع اعداد غفيرة من المثقفين اللبنانيين والسوريين والعربيين الذين
كانوا يعيشون في المجر ، والذين كانوا يتطلقون حول حسين مروءة
صالون منزله ... مناقشات فى السياسة والاقتصاد والتاريخ العربى
الحديث وفي الادب والنقد .

وكان حسين بيننا بمثابة الاخ الاكبر ، كنت فى الثلاثين أو يزيد قليلا
وربما كان هو فى الرابعة والاربعين ، وكانت ابتسامته الآسرة وطيبته
الزادنة تغيب علينا فى جلسات منزله ، وكان فكره متوفقا دائما يتألق
مناقشة الاستاذ ويتواضع فى نقاشه تواضع العلماء ، وأحببته وأحببت
مجلسه . فى هذا المجلس عرفت غائب طعمه فرمان وعبد الوهاب البياتى
وحنا مينا وشوقى ببغدادى والدكتور على سعد وأحمد أبو سعد واحمد
سويد ومحمد عيتانى وآخرين كثيرين لا أذكر الان اسماءهم ، وكانت آنذاك
المصرى الوحيد فى هذا الجمع الكبير . وفي اطار هذه الحوادث التى كانت
تنور اقتراح حسين مروء على المساعدة فى الكتابة بمجلة الثقافة الوطنية ،
وكان فى الحقيقة هو ودكروب القوة الدافعة لى على كتابة سلسلة المقالات
التي نشرتها آنذاك عن الرواية المصرية . ومع أننى لم اكن املك مكتبة
شخصية فى بيروت الا أنه وفر لي مجموعة ضخمة من الروايات الجميمية
الحديثة التى كانت سندأ لى عند الكتابة .

ثم اقترح بعد ذلك أن تجمع مقالاتى ومقالات العالم ، خصوصاً التي
تعلق بالمعارك الفكرية والأدبية التي دارت بيننا وبين طه حسين والعقاد
في عام ١٩٥٣ في كتاب . وتردحت في قبولى الفكرة ، فما كنت أظن في مبابا
الأمر أن هذه المقالات تستحق أن تجمع في كتاب ، لكن دراسة العالم عن
الشعر المصرى للحديث والتى كانت قد نشرت في مجلة « الأدب ، الـ بيروتية
بالإضافة إلى دراستى عن الرواية في مجلة ، الثقافة الوطنية » ، كانت

حاسمة في الحاحه على هذا الامر . ثم قبلت واشترطت عليه ان يكتتب مقدمة للكتاب . ولقد ثارت لدى بعض الاخوان في صالونه الفكري والأدبي مسألة العنوان الذي وضعته للكتاب وهو « فـ الثقافة المصريه الحديثه » ، ووجدت من يعاتبني على هذا العنوان قائلاً : لماذا لا تسميه « فـ الثقافة العربيه الحديثه » ، لكنني تمسكت آنذاك برأيي قائلاً ان كل تفاصيل الكتاب التنفيذية تتعلق بمصر ، وأنني لا استطيع أن أقول إنني متابع أو قادر على نقد ما يصدر في أماكن أخرى . وقد قبل حسين وجهة نظرى هذه ودافع عنها في مقدمة للكتاب من منطلق أن التنبنيات في اجزاء الوطن العربي المختلفة لا تلغى منهوم الوحدة بل على العكس تحمل قضية الوحدة أكثر واقعية .

ولقد غادرت بيروت إلى لندن في أوائل عام ١٩٥٥ ، وإن ظلت على اتصال بحسين مروءة ومحمد دكروب من لندن . وتم طبع الكتاب ونشره وأنا في لندن ، وكان الفضل فضليهما فلم ينزل - لا أنا ولا العالم - أى مجهود يتعلق باعداد هذا الكتاب أو مراجعة أصوله أو نشره ، ولعل هذه الحقيقة منعكسة في الرسائل المتبادلة بيننا وبين محمد دكروب آنذاك والتي نشر أجزاء منها في هذا الكتاب الرائع عن حسين مروءة بمناسبة بلوغه السبعين عام ١٩٨٠ .

ولقد ساعدت على في صحيفه المساء القاهره في سنتي ١٩٥٧، ١٩٥٨ على زياراتي المتعددة لدمشق وبيروت ، وهكذا كنت التقى بحسين مروءة وتندعم صداقتي له أكثر وأكثر .

ولقد كان لقائي الاخير بحسين مروءة في مارس ١٩٨٠ في بيروت : وكانت قد ذهبت اليها في عمل يتعلق بالامم المتحدة بعد انقطاع طويل عن الزيارة ورؤيه الصديقين حسين مروءة ومحمد دكروب . وكان الكتاب العملاق له « النزعات الملائية في الفلسفه العربيه الاسلامية » قد صدر عن دار المغاربي ، وكانت واحدا من الذين قرروا هذا العمل الشامخ وأعجبت به حتى ولو اختلفت معه في جزئيات هنا وهناك . وكان حسين مروءة بمقاييس السنين والزمن رجالا تقدم به السن ، لكنه وجده في ميزة الشباب والذهن المتقد حتي بالنسبة لنا نحن الذين جئنا بعده . واحتقرت كما احتار الكثيرون ، وكما احتارت غادة السمان : من أى منعطف نطل على حسين مروءة ؟ عبر اي شريان تخرج اليه ؟ الانسان الرائع ، الناقد الفذ ، الفنان المرهف ، اساضل.الصلب ؟ وهل كان بوضعينا ان نتحدث عن « نزعاته المادية » دون ان تشهد علينا وجوهه الاخرى وانتمها الكثيف ؟

لا أتوى أن أتحدث عن كتاب «النزاعات السائية» لأن المقام لا يناسبه هذا الان ، ولأن هناك في هذا الحفل من هم أجدر مني بذلك ، لكنني انتهت فرصة لقائنا وأخبرته عن رغبتي في جمع مقالات لي صدرت خلال السنين الأخيرة في كتاب جديد ، وتمتنع عليه أن يكتب مقدمته . ورغم متساغله العديدة التي لا تنتهي لم يتزدد حسين مروءة في القبول . وبغضنه وفضل دكروب صدر له في بيروت عام ١٩٨٣ كتاب (علماء وأدباء ومنكرون) وابى عليه تواضعه الجم أن يعتبر ما كتبه في مدخل الكتاب مقدمة . فاختار أن يكون عنوانها «تحية لا مقدمة» ، كانك يا أبا نزار لا تدرك أن مقدمتك لكتابي تشرفني وترفع من هامتي ، وأنى ما زلت اعتبر نفسي واحداً من تلاميذك لأنك علمتنا بمثلك الكبير أهمية أن نتضاعف ، وأن نعطي الفضل لأهله .

ولقد كان هذا اللقاء الأخير ببيت محمد دكروب في سهرة طويلة ممتدة بحواراتها وضحكاتها ، وكان من حضورها كثير من كتاب لبنان ومت Fachar ، بعد أن كان قد مضى أكثر من ربع قرن على لقائنا القديم في صالون حسين مروءة عام ١٩٥٤ . وكان أغلب هذه الصحبة الرائعة ما زالوا على الدرب ، يرثون رياض التقدم والعقل ، بينما اذْرُوا قلائل منهم في ترقياتهم الخاصة أو انتقلوا إلى المسکر الآخر . سالت أبا نزار عن واحد من هؤلاء الآخرين وأين هو الان . قال حسين : لقد مات ! وأبدى دهشتي لأنني لم أكن قد سمعت بمواته ، فأسرع يقبل لي وابتسمت أليقية على وجهه «لقد مات سيمانيا» ؟ وضحكتنا جميعا . وقال حسين بوده التجدد «لقد أوحشتنا كثيرا . لماذا يكون علينا أن ننتظر سنين طويلة حتى نراك في بيروت » . قلت : «ولماذا يكون على أن آتى دائمًا إلى بيروت ولا تأتى أنت إلى القاهرة » . فليكن لقاؤنا في القاهرة المرة الغادمة يا أبا نزار .

ولم يخطر في بالى آنذاك أن يأتي لقاؤنا به بالقاهرة عبر هذا الحفل لرثائه ! عندما أرسل لي نسخة من الكتاب الذي صدر بمناسبة بلوغه السبعين وعليها كلمة اهداه رقيقة تفيد تأكيد المحبة التي ظلت بيننا ، سارعت إلى قرائته وكان آخر ما قرأت قصيدة همن عبد الله النثريه التي جعل عنوانها «لوقس حسين مروءة» ، وهي القصيدة التي نظمها بمناسبة منحه جائزة زهرة اللوتس ، وهي تبدو لي اليوم وكأنها النبوة الحزينة .

قال حسن عبد الله في ختام القصيدة :

غدا صباها

ستكون قد نسيينا الزهرة

كما لو ان الامر حدث من مائة عام

لأنه

ايها المعلم

ايها الصديق

ليس الاوان اوان القطاف

اننا بالكساد ننتهي من تسوية

ارضنا الناعسة

استعدادا للبذار

والي ان يجيء ذلك اليوم

يوم فرحنا الحقيقى

من يدوى ؟

فقد لا نكون انا وانت

داخل المشهد

نعم ايها الصديق حسن عبد الله . . . لم يأت بعد يوم فرحنا
الحقيقى ، ولم يعد ابو نزار داخل المشهد ، واغلبظن ان جيلن سوم
يخرج من المشهد قبل ان يأتي يوم فرحنا الحقيقى .

لكننا سنظل على الطريق ، صامدين جسورين ، يجمعنا طريق النضال
فنسلّم هذه الرأية الشريفة ، رأية التقدم والعقل ، رأية الاشتراكية ،
للجيل الذي يلينا دون ان نسمح ان تتدنس رايات النضال في الوحل .

ونحن نعلم ان مصرع حسين مروء يشهد بان الطريق طويل ، وأن يوم
فرحنا الحقيقى ما زال بعيدا . لكن حسين سيظل دائما ملهمانا لنا ، كالملقى
صاحب الموقف ، المستعد لأن يدفع حياته ثمنا لوقفه . وهل يكون المثقف
الحقيقي الا صاحب موقف كما قال شاعر فلسطين ابو سلمى ؟ ، أما أولئك

الثقفون المترجون الذين لا لون لهم أو لهم لوان متعددة فلن نعتبرهم مثقفين
ولو سقطت السماء على الأرض ،

أخي أبو نزار

لقد مضى نحو ثلاثة شهور على رحيلك الفاجع ، وما زال هذا اليوم
الأسود يذكرني بما فعله الفاشيست الإسبان بـشاعر إسبانيا العظيم «لوركا»
وما فعله الفاشيست عمالء وشنطون في مغني شيلي العظيم «فيكتور هارا» .

١٠١
ولماذا يكون الفاشيست في لبنان مختلفين عن الفاشيست في أي بقعة
من العالم في كراهيتهم وحقدتهم على كل ما هو سام ونبيل وعاقل على
هذه الأرض ؟ ولكن هل مات «لوركا» حقا ؟ هل مات فيكتور هارا حقا ؟
نعم لقد راح الجسد ، لكن لوركا الشاعر بقى خالدا كما بقى صوت هارا
وأغانيه تلهم الشعبين .

وكذلك يخلي أبو نزار بفكرة وكتبه ونضاله ليلهم شعب لبنان وكل
الشعوب العربية في أحطك ساعات الظلم ، ويطمئنهم أن هناك مصباحا
مضينا في نهاية الطريق .

وبعد أيها الصديق العظيم

فإن كنت قد عجزت عن ان اعبر عما في نفسي من حزن واسى على
مرافق فخذري أن مشاعرى لم تهدأ بعد ، ولم اعرف طريقي الى التسليم
بفارقك بعد .

ملتكن كلمتي هذه اذن اعتذارا وليس رثاء

د. عبد العظيم أنبيس

جميل مروة .. مفكراً وشهيداً

٩ سطور

* ولد حسين مروة عام ١٩١٠ في بلدة حداثا الجنوبية المتاخمة للحدود اللبنانية - الفلسطينية .

* بدأ اهتمامه بالكتابية الادبية منذ سنوات دراسته الاولى في العشرينات فكتب القصة والمقالة والنقد والبحث وكتب القليل من الشعر . ومنذ اوائل الثلاثينات حتى اواخر الأربعينات اقتصر نشر كتاباته على المجالات والصحف العراقية ، خصوصاً مطبعة « الاهاتف » (النحو) و « الحضارة » وجريدة « الرأي العام » و « الساعة » ببغداد .

* عام ١٩٤٨ شارك ، اديباً واعلامياً وعملياً ، في احداث الوثبة الوطنية العراقية التي اسقطت معاهادة « بورتسموث » البريطانية الاستعمارية مع حكومة العهد الملكي حينذاك . ولكن عندما حدثت الردة الرجعية وأعيد العميل الاستعماري نوري السعيد الى الحكم (ايار ١٩٤٩) أبعد حسين مروة من العراق وأعيد الى وطنه لبنان بعد عجزة طويلة .

* في لبنان استأنف نشاطه الثقافي ، والكتابية الادبية . واحد يكتب روايته اليومية المعروفة بعنوان « مع القافلة » في جريدة « الحياة » ، وظل يكتبها سبع سنوات متواصلة .

* وفي الوقت نفسه اسهم في تأسيس مجلة « الثقافة الوطنية » ، وفي تحريرها ، وقد ادت هذه المجلة طوال فترة الخمسينيات ، دوراً طليعياً للادب والفكر التقدميين في البلاد العربية باسرها ، وفي هذه المجلة نشر الكثير من دراساته في التراث الثقافي العربي ، وبسوء النظرية العلمية (الماركسية) فكانت من اوائل الدراسات التي تكتب بهذا الموضوع في هذا الميدان . كما بدأ في الجلة نفسها ينشر سلسلة دراساته النقحية في الادب الواقعى الجديد . وهو لا يزال يسهم في اداء الدور نفسه الذى تقابله مجلة « الطريق » حتى الان .

* أشتراك في معظم مؤتمرات الادباء العرب ، وقدم فيها العديد من الدراسات والابحاث . وقد أشتراك ويشترك بنشاطات منظمة كتاب آسيا وافريقيا ، وهو عضو في الهيئة الادارية لاتحاد الكتاب اللبنانيين من تأسيسه وحتى الآن . كما انتخب عضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي اللبناني .

* منح جائزة لوتس العالمية لعام ١٩٨٠ ، وهي الجائزة التي تمنحها منظمة كتاب آسيا وافريقيا . وجاء في قرار اللجنة التحكيمية للجائزة ما يلى : « رابطة الكتاب الافريقيين الآسيويين ، اذ تعتبر من اعدائها الأساسية تشجيع الكتاب على ابداع الاعمال الأدبية التي تعكس الواقع الموضوعي للعصر . وتعبر عن موقف نضالي ضد كل اشكال التمييز القومي والعنصري وعدم المساواة الاجتماعية ، والعدوان أو التغلغل الامبريالي ، وتجسد أهانى الشعوب في حياة افضل من خلال القضاء على الاستغلال بكافة اشكاله ، تمنح جائزة لوتس للادب الافريقي الآسيوي الى الفائز حسين مروة لاعماله التي كرست لحرية البشر جميعاً وسعادتهم ، والنضال ضد كل ما يعيق جسد الانسان ويشهوه روحه ، ومقاومة الامبرالية والاستعمار واستغلال الانسان للانسان » .

* منح وسام « الآداب والفنون » من هيئة رئاسة مجلس الشعب الاعلى في جمهورية اليمن الديمقراطية . وجاء في نص شهادة منح الوسام ما يلى : « تكريماً للرفيق المفكر اللبناني العربي الكبير د. حسين مروة ، وتقديراً لإنجازاته العظيمة في مجال الفكر العلمي والثقافة الوطنية التقديمية التي أسهمت إسهاماً كبيراً في أغواء الحياة الثقافية العربية على مدى نصف قرن من الزمان ، ولنضاله الدؤوب من أجل حرية الإنسان وتقدمه الاجتماعي في وطننا العربي ، ومن أجل الديمقراطية والاشتراكية والسلام العالمي ، وب المناسبة عيد ميلاده السبعين - قررت هيئة رئاسة مجلس الشعب الأعلى استحقاقه « وسام الآداب والفنون » .

* من مؤلفاته :

- « مع القافلة » ١٩٥٢ : مجموعة مقالات في الأدب والنقد والحياة . وقد شكلت في حينها لوناً جديداً من ادب المقالة . (منشورات دار بيروت)

- « الثورة العراقية » ١٩٥٨ : دراسة عن جذور واسباب الثورة العراقية (تموز ١٩٥٨) والظروف الاجتماعية السياسية والكتابية التي ادت الى انتصارها . (منشورات دار الفكر الجديد) .

- « قضايا أدبية » ١٩٥٦ : مجموعة من الدراسات النقدية التي أسهمت في التأسيس لنهج جديد في النقد الأدبي ، المنهج الواقعى ، وكانت

خصيلة معركة على مدى الخمسينات مع أصحاب النزعات المثالية والرجعية في الأدب ومع أصحاب نظرية « الفن للفن » . (منشورات دار الفكر - القاهرة) .

- « دراسات نقية في ضوء المنهج الواقعي » (طبعة أولى سنة ١٩٦٥ - منشورات مكتبة المعرف / بيروت - وطبعة ثانية ١٩٧٦ - نشرتها دار الفارابي - مضاف إليها دراسات جديدة) : هذا الكتاب هو متابعة وتعزيز للمعركة الأدبية الایديولوجية نفسها ، ويمتاز باحتواه دراسات تطبيقية للعديد من الآثار الأبية الابداعية لكتاب من لبنان ومن مختلف البلدان العربية . وقد نال هذا الكتاب جائزة جمعية أصدقاء الكتاب عام ١٩٦٥ .

- « دراسات في الإسلام » (بالاشتراك مع كتاب تقدميين آخرين : محمود أمين العالم - محمد دكروب ، سمير سعد) ١٩٧٩ (منشورات دار الفارابي) : وهو كتاب ينظر إلى الإسلام في بعض عهوده القديمة والحديثة ، بضوء المنهج المادي التاريخي / الدياليكتيكي . ويقدم تعسيراً معاصرًا للدور التقدمي الذي انتهت به بعض الحركات الإسلامية في تلك العهود التي تناولها الكتاب .

- ولحسين مروء الكثير جداً من الدراسات والبحوث والمقالات النقدية والفكرية التي نشرت في معظم المجلات والصحف العربية ، ولم تجمع بعد في كتب خاصة .

- أما إنجاز حسين مروء الكبير فهو كتابه الضخم « النزعات المذهبية في الفلسفة العربية - الإسلامية » (منشورات دار الفارابي) ١٩٧٨ : صدر منه جزآن بحوالى ألفي صفحة من القطع الكبير : هذا الكتاب يشكل عملاً تأسيسياً في مجال البحوث التراثية العربية المعاصرة ، يقumen معرفة علمية جديدة بالتراث الفكري الفلسفى العربى ، اذ ينظر الى مكانه منلحظة التاريخية في خط تطور المجتمع العربى - الاسلامى خلال العصور الوسطى . ويشكل الى هذا عملية مسع معرف لخطوات ونقلات تاريخية للعرب يتفاعل خلالها التطور الاجتماعى والتتطور الفكرى ، منذ الجاهلية حتى القرن الرابع الهجرى . وقد اثار هذا الكتاب في معظم الصحفربية ولا يزال يثير حواراً خصباً حول التراث الفكري العربى وضرورة استهه في ضوء جديد ، علمي ، معاصر .

حَسِينْ مَرْوَة

(١٩١٠ - ١٩٨٧)

نبيل فرج



اغتاله ميليشيات حركة أمل الشيعية ، في المارك الضاربة التي
شهدتها شوارع بيروت الغربية ، في بداية النصف الثاني من شهر
فبراير الماضي ، الكاتب والمفكر اللبناني الكبير حسين مروة .

قالت وكالات الانباء أن اشخاصاً مجهولين يحملون الاسلحة اقتحموا
بيته ، وأطلقوا عليه الرصاص ، فأردوه قتيلاً .
وهكذا تأكد في لحظة فاجعة من ارتياط مصرى مفكر تقدمي في
الثمانين من عمره بمصر وطنه ، في حرب المصالح والمعتقدات ، كل ما خطه
قلم حسين مروة ، وحذر منه ، وندد به ، لئلا تسود قوى التخلف والظلم
والفرقة والخداع والمؤامرة عالما المنكفي على عاره .

وحسين مروة (١٩١٠ - ١٩٨٧) ليس غريباً عن الحركة الثقافية
في بلادنا . فهو الذي قدم سنة ١٩٥٥ كتاب « في الثقافة المصرية »
للهامد أمين العالم وعبد العظيم أنيس ، الذي يمثل منعطفاً جديداً في
تاريخ النقد العربي . كما صدر له في القاهرة ١٩٥٦ كتاب « قضائياً
أدبية » ، الذي شارك به في إرساء كثير من المفاهيم المتمسكة بالواقفية

الجديدة ، وابراز ملامحها ، فضلا عن المقالات التي نشرت له في الجرائد
الصرية ، مثل «المجلة» و «الطبيعة» ، وعناته ، في كتبه الجديدة ،
بالكتاب المصريين ، على نحو لا يقل عن عنايته بالكتاب اللبنانيين .
سواء من يتفق او يختلف معهم في اتجاهه الذهري .

هل ترجع هذه الغنائية الى شخصيته الادبية التي نمت بين اوراق المجالات المصرية ، ويذكر منها « المقطف » و « الهلال » ، والى متابعته لما يصدر عن القمادرة - بقللها المعروف - من كتب لكتابها وللكتاب اللبنانيين مثل : اسمااعيل مظہر ، شسلیم شمیل ، نقولا حداد ، فرح آذطنون ؟

ولو أنسا القينا نظرة تاريخية على اتجاه حسين مروة في فقد
الأدب ، أي المدرسة الواقعية التي ترکز على رؤية شاملة لعالم في حركته
الدائمة ، منجد أنها تتزامن ، منذ الخمسينيات ، مع نفس الاتجاه في
عواصم عربية أخرى ، في مقدمتها مصر .

ولا ينحصر التزامن في الاتجاه فقط . . . فما أكثر الكتاب والكتب والقضايا الواحدة التي تمتد لها حسین مروءة في لبنان ، طابعاً إياها بطبائعه الشّذوذ في التّخوّف والتّقويم ، وكانت الشّغل الشّاغل في الشّفاعة المصرية ، التي تتحقّق لها التّطور والتّضجّع عبر اذشهرها في المعارك الوطنية المتتالية ، والتحولات الاجتماعيّة والسياسيّة الجذرية ، التي تعددت في ظلّانها الانتماءات ، كما تعددت الهزائم .

وترجع أهمية إنجازات حسين مروء النقدية والفكيرية إلى وعيه العميق بالواقع الاجتماعي والتاريخي ، وفهمه الدقيق لمقومات الابداع كابداع ، وليس كتشعارات أو كليشيهات تفرض قسرا ، فتقدى إلى قتل الفن والشعار معا .

وخلالصة نظرية حسين مروة أنه لا وجود ولا كيان ولا تجسد لأى ظاهرة ، مادية أو فنية ، الا في اتصالها بالزمان والمكان المعينين . والاتصال ، هنا ، يعني التفاعل .

هذا هو المجال الأوسع للتجارب ، أو النسائج الخفية التي تستشهد منها خطوطها .

نعم . ليس هناك ظواهر أبدية مطلقة ، فوق السحاب ، تنشأ في الصيق ، بعيداً عن وسائل الأرض ، وعلاقات الناس والافتتاح . وإنما تتشكل الظواهر ، وتكتسب خصوصيتها في القلب والمنى ، وفق طابع البيئة والمعبر ، ووفق التفاصين العلمية التي تحكمها .

كما ترجع أهمية هذه الانجازات إلى استبصار حسين مروء الحاد ، وحساسيته المرهفة ، في نفس الوقت ، باشكاليات العصر الأساسية ، على المستويات المختلفة ، الحالية والقومية والعلمية ، التي تتضمن في النضال الأيديولوجي ، كوجه من وجوه النضال الطبقي ، ينبعق من الواقع ، كما ينبعق الينبع من قلب الجبل » ، دون أن يفقد تفاؤله الواعي بقدرة الإنسان على تغيير هذا الواقع ، فيصراع المحتوم بين التقى والرجوية ، أو بين الجديد والقديم ، حتى يصبح عالما حرا وعادلا .

من أجل هذا الهدف حل حسين مروء بلا هواة على الاتجاهات الانعزالية والمثالية في لبنان وغيرها ، الاتجاهات الذاتية والتجريدية والنفعية والقدرية - وما أكثرها - التي تشميغ ، في مسحوق المثقفين ، الاغتراب والتشاؤم وال اليأس ، وتدفع إلى سحقهم تحت ضغط الحاجة . وحضر من دعاء « الإنسانية » ، الذين يضمون الإنسانية فوق الوطنية ، مفرقا بين الوطنية والعصبية . وفضح القوى الاستعمارية ، وإلزامية التحالف معها ، التي تدعهما وتوجههما من الداخل والخارج ، وعرى أساليبها الخبيثة والمعلنة في عزل لبنان عن حركة التحرر العربي ، بدعوى تميزه في الجوهر ، لا اختلافه - مجرد اخلاق - فنتيجة ظروفه التاريخية ، داعيا إلى وحدة هذا الوطن ، في أعظم اشكالها ، وهي وحدة الفكر .

اما بالنسبة للتطبيقات النصية ، فان حسين مروء يلتزم فيها ، دون تزمر أو جمود ، المنهج الواقع ، الذي تتنوع ازاءه الامثلية ، الارتبطة بالابعاد الاجتماعية والحضارية ، متناولا قسماتها الرئيسية ، التي تشترك مجتمعة في مياغة العمل الادبي ، وتوسيع آفاقه ، بحيث يغدو الكاتب او الفنان ، بصفته وليد هذا الواقع ، جزءا حيا من قوه الثورية ، ينالح في وجданه موقفه وموضوعه ، او انفعاله الذاتي ومقداره الخارجية .

في اطار هذه الرؤية التي تضع نصب عينيها القوانين العامة للواقع ، كما تضع في نفس المقام مقومات العمل الادبي ، وعناصره الاصيلة ، وصورته الجديدة ، لم يرفض حسين مروء ، على سبيل المثال ، التيار النفسي كرافد من روافد المعرفة . ولكنه حدد الموقف من هذا التيار بشرط انكاس الواقع الاجتماعي على النفس ، لا انفصaliasها عن هذا الواقع الموضوعي ، والا كان النهج قائمرا عن الاحاطة بالتجربة الفنية المطروحة ، وبالتالي عاجزا عن تفسيرها .

ومثل هذا الموقف وقفه من البنيةوية . رفض عزلتها للنص الادبي عن الواقع ، وعدم تمييزها بين شخصية وشخصية ، واقتصر بحثها على

ارتباط الكلمات بعضها ببعض ، لاعتقاده أن علاقات النص لا تكمن في الكلمات ، « بل في المشاعر التي كونت النص ، وفي العلاقات الاجتماعية التي نشا عنها » .

وعلى نفس الغرار أيضاً وجد حسين مروءة في بعض سمات الرومانسية ما يبيح أن يدافع عنه ، ويتمسك به ، لأن فيه اثراً للعمل الواقعى ، وهو الجانب الغنائى ، الشعري ، الخيالى .

ذلك أن الموقف الانسانى الصحيح ، الذى يدل على غنى العقل بالمعرفة والخبرة ، يقسم دائماً بمعنى هذا الجانب الوجدانى ، الذى الذى يمكن للفن فيه أن يلتقي بالذوره .

وغير عن البيان أن هذه الرومانسية ، التى دافع عنها حسين مروءة ، ليست هي الرومانسية الماضية ، رومانسية القرن التاسع عشر الذى نحترمها ، وإن لم نقبل أن نعيدها اليوم ، في زمن غير زمنها .

كل ذلك لم يرفض حسين مروءة الطابع الكلاسيكى في الأدب ، باعتبار أنه يعين على تجديد التعبير ، أو قد لا يعيقه . وهذا يؤكد أن التجديد عنده ، وكما نرى في تاريخ الابداع ، لا يمكن أن يكون مطلقاً ، منقطع الصلة بالتجارب التي ينتهي إليها ، والا تحول الابداع إلى نوع فني آخر .

واذا نحن راجعنا حركات التجديد ، سنجد أنها تحفظ دئماً بجانب من التقاليد ، ثم تضيف أو تسقط أشياء أخرى ، حسب قدرة الكاتب أو الفنان على اقتحام المجهول .

بل إن حسين مروءة لم يجد خصاية في اللا معقول ، أو النزعات الشكلية ، حين تتضمن رؤية انسانية جديدة ثورية ، معاصرة للقديم .

اما بالنسبة للالتزام ، فقد دافع حسين مروءة بحرارة عن الانحياز الفكري ، ودعا إلى الارتباط بحياة الشعب ، والاهتمام بالقضايا العالمية . ولأنبت أن السياسة اذا دخلت الأدب والفن لا تفسده ، كما يزعم البعض حفظاً على مصالحة ، بل تحقق لها « أعلى اشكال تجلياتها الرفيعة » ، طالما أن السياسة داخل البنية الفنية ، موضحاً أن موقف الكاتب المريح الحدد مما يحيط به من مذاهب وأفكار شتى يزيد من حيوية وروءاء انتسجه ، ويرفع مستوى الجمالى ، اذا لا قيمة لاي انتاج لا يتتوفر له التناسب والتائز الشام بين شكله ومحنته ، او لا يكون الشكل جزءاً عضوياً من المحتوى .

والاهتمام بالبنية الفنية او الشكل ، في كتابات حسين مروءة ، لا يعني الشكلية الحضة ، التي تنفي عن الأدب رسالته الاجتماعية ، كما نجد في مدرسة « الفن للفن » .

بهذا النهج الذى يبتعد اهقر فيه أكثر من تيار ، وتنتوى ذي التجارب ، لا ينقر إلى العمل الادبى كأثر من آثار التهوييات ، وإنما ينظر إليه - إن صح التعبير - كبعد من بعد الحقيقة الموضوعية ، « يندرق في أوردة الوطن والعالم » ، لا يسجل كالفوتوغرافيا ، بل ينقر ويختار وينجذب السطحى إلى كشف الأعماق والد الواقع الإنسانية الكامنة ، بكل صدقها واتساعها وعلاقاتها . فللمعلم الفنى استقلاله النسبى عن الواقع ، بحكم أنه ولادة جديدة ، ذات مميزات وقوانين خاصة محددة ، اشتراك فى فيها عوامل داخلية وخارجية ، ولها تأثيرها الجمالى والاجتماعى على القراء ، كفوة من قوى الحياة ، ذات القدرة المخيبة على فتح مغاليقها ، ولإضافة إلى ذلكها *

وانشاج حسين مروء النقدى لم يقتصر على الادب المعاصر فى وطننا العربى ، ولا على الادب القديم فى العصور المختلفة ، شعره وفترة ، الذى كان له نضل نفس غبار الزمن عنه ، وبيان ما يحصل به من كنوز مطهوسة . تساير حركة التطور فى « الحياة العربية » ، بل انه ، فى كتابه الضخم « النزعات السادية فى الفلسفة العربية الإسلامية » ، كرس ما يزيد عن عشر سنتين لدراسة - وأفضل ان اقول اضافة - هذه النزعات المتظورة فى التراث العربى والاسلامى ، منذ العصر الجاهلى حتى بداية القرن الرابع المجرى (الحادى عشر اليلاوى) .. فى ضوء هذه المرحلة التي تداخل فيها النظام الاقطاعى فى الانشاج والتجارة ، على تباين اشكاله فى الامصار ، مع بقايا النظام العبودى ، وممارسة العامة لبعض العرف الصغيرة الناشئة .

وعلى الرغم من محاولة السلطة بادواتها طمس هذه النزعات المقدمة ، وملائحة منكريها العظام ، فلم ينقطع عطاها العقلى ، وظللت قيمها الحية ، قيم المعرفة العلمية ، تتصارع مع المعرفة الفنية ، وتنواصل عبر التاريخ العربى ، فى مواجهة التيارات السلفية والميتة ، المثالية والوضعية والتوفيقية .. الخ ، التي استاثرت بمعظم الدراسات فى المكتبة العربية ، تكريسًا للواقع المتردى ، الذى وعى حسين مروء ابعاده ، وأراد له ، بما كتب على مدى نصف قرن ، ان يكون عالما آخر ، يغيب بالحق ، والخير ، والجمال .

حسين مروة

عقل موزع في عقول مردديه .. رغم الحصار

د. محمود اسماعيل

.. ترتبط مكانة حسين مروة بمحولة تقدير سلسلة من الانجازات التشابهة ، في دراسة التراث العربي - الاسلامي وهي انجازات لا تستطيع ان تتغافل الى اي حد بالنسبة لكتاب حسين مروة الترجمات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية كثيرون هم الذين ادعوا القول الفصل من المفكرين والكتاب العرب حول هذا الموضوع ، وفي وقت لم يوجد فيه اتفاق بين الاثنين على موضوع واحد ..

.. هل هذا الوضع راجع الى صعوبة الموضوع ، .. ليس صعبا ان يتتصدى واحد بمفرده لتفصيلية التراث العربي الاسلامي على مدار زمن طويل ، وعلى مدار مكانى متensus ، ... تراث كتب فيه الباحثون اطنانا من الكتب والدراسات والمقالات .. كيف يمكن وسط هذا الركام من الكتابات وضع هذا التراث في مكانه الصحيح ؟ ..

ولماذا اختلف هؤلاء الدارسون رغم اتفاق الكثير منهم على منهج واحد وزاوية واحدة ؟ .. المسالة ليست معرفية بحتة ، وقضية الخوض في التراث لم تكن في يوم من الايام نوعا من الترف العقلى ، او اظهار المهارات في التحليل والتركيب والتفسير والتنظير ، لقد دخلت القضية الى اطار «الأدبية » وانسحبت ليس فقط بمجرد دراسة التراث عبر آيديولوجيات المعاصرين ، بل والاخط ان محاولات كثيرة جرت ، وأصبح لها الغلبة من حيث الصخب وعلو الصوت .. محاولات ليست الا مجرد محاولات لاجياء للتراث ، وبالباس الماضي في الحاضر ، بل وجعله طريقا نحو المستقبل ، هنا تبرز خطورة القضية التي نظر لها حسين مروة ، ولطها من اهم الحواجز التي جعلته يتصدى مثل هذا المشروع الطموح ، ليست المسألة معرفية ، وإن استطاعت لتفصيلية المعرفية في ذاتها هذا العمل ، لكن المسألة

ان المحاولة التي قام بها حسين مروء كانت لايقاظ الوعي ، بعد ان استخدم الاخرون التراث لتزييف وتضليل الوعي ، فالقضية نضالية في الانساني .

والذى يمسك بالسيف والقلم في آن واحد يعانى صعوبات وهيبة لا يقدر عليها سوى قلة .. على راسهم حسين مروء .

بعد ١٩٦٧

لقد ظلت محاولات دراسة وتأطير التراث قاصرة على الاتجاه المثالي السلفي سواء في الجامعات او في دراسات المفكرين السلفيين ، وزغم انجازاتهم العديدة لم يزيدوا التراث الا « تضبيبا » على « تضبيب » ، وباستثناء انجازات احمد أمين في دراسة التراث وهي دراسات كثيرة احتكار الاتجاه السلفي و « المعممين للتراث » ، وحاولت تحرير التراث من محاولات التقيد الاخرى التي تبنتها الاتجاهات المثالية الغربية الاستشراقية . لا يوجد ما يستحق الاشارة اليه ، صحيح ان هناك محاولات أخرى جرت بعد احمد أمين ، وحتى اواخر السبعينيات ، لكن كلها محاولات « سطوة » على انجاز احمد أمين .. محاولات تنهل من انجازاته الضخم بشكل او باخر ، الى ان وقعت هزيمة ٦٧ ، التي شكلت بداية حقيقة للبحث في اسباب ازمنتنا العربية او قادت الى محاولات عديدة لتأصيلها او طرح « الشخصانية » العربية والاسلامية على بساط البحث .. كان هذا منطلقًا لمجموعة من الدراسات والابحاث تحاول تفسير الحاضر بالرجوع الى الماضي ، خاصة وان هذه الافتراضية كانت ضربة عنيفة للنظم والقوى التقديمية في العالمين العربي والاسلامي ، وأعطت الفرصة كاملة لاصحاب الاتجاهات التقليدية ، سواء كانوا يظدون السلف او يظدون الاوروبيين الاستشراقيين ، لكي يصلوا ويجلووا في هذا الميدان .

ولعل هذا يفسر ظهور نخبة من المفكرين تصدوا لدراسة التراث ، لأن المتخصصين في التراث لم يقحموا سوى ابحاث تتصرف بال الثنائية والتشريحية التي تهمل الرؤية العامة للترااث ، وبالتالي لم تؤطر التراث في سياق تاريخي عام ..

كان المذكورون الماركسيون سباقين الى إعادة دراسة التراث ، فظهرت محاولات عديدة في هذا الصدد ، مثل محاولات الطيب بتزييني الذي بدأ مشروعه لدراسة التراث العربي في المصور الوسطى الاسلامية ، وأنجز منه الجزء الاول ، ثم عاد وكتب مقدمة شاملة لهذا المشروع ، لكن هذه المحاولة رغم جدتها وتجديتها ، ورغم تميز صاحبها بسلامة الرؤية ووضوح النهج الا أنها لا تستطيع مقاينتها بإنجاز حسين مروء ..

النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية ، وذلك لأن الطيب تريني اتبع المادية القصاريّة بشكل ميكانيكي قاده إلى الكثير من الفاهمات والمجازفات والاعتساف والذائيّات الخاطئة ، خاصة وأنه أخذ على كاهله محاولة دراسة الفكر الفلسفي محسب ، كما اهتم بدراسة الواقع العربي الإسلامي ودراسة الأساس الاقتصادي والاجتماعي والتشكيلية الطبقية ، ثم محاولة تفسير الفكر الفلسفي في إطار هذه المنظومة التي تقترب من الصواب ، وكان جديراً بهذا العمل أن يقوم به المؤرخون الذين توّفّت دراستهم عند الوصف والسرد والرصد ولم تهتم على الإطلاق بنمو وتفسير أنماط الانتاج وتطورها ، وبالتالي ولوّج موضوع التشكيلات الطبقية انطلاقاً منها لتفسير الفكر ٠٠ ويؤخذ على طيب تريني - رغم تصرّته للخاصّة على قراءة النصوص الأساسية - أنه قد غلب عليه للجانب التناويلي الاعتساف ، ولـى عنق النص لصالح آراء وأفكار مسبقة في ذهنه ، يزيد أن يبرهن عليها دون أن يكون لها سند موضوعي من الواقع العياني للتاريخي ، هناك أيضاً محاولة معاصرة لأدونيس في (الثابت والتحول) أو رغم اعتراف أدونيس بأنه كان يود تطبيق الرؤية المادية للتاريخ إلا أنه اعترف بعجزه عن الالام بادوات هذا المنهج من ناحية ، وعن الخوض في ركام التراث الإسلامي بطريقـة تساعدـه في صياغـة مشروعـه وفقـ الرؤـيـة المـاديـة العلمـيـة للتـارـيـخ منـ نـاحـيـة أخـرى ، وهـنـاك مـحاـولاتـ آخـرى مـثـلـ مـحاـولاتـ مـهـدى عـاملـ ٠٠ ربـما وـقـفـ مـهـدى عـاملـ بـالـ فعلـ عـلىـ الـازـمةـ الحـقـيقـيةـ ، لكنـهـ عـالـجـ الـمـوـضـوعـ بـشـكـلـ نـظـرـيـ بـحـثـ مـعـتـمـداـ عـلـىـ مشـاهـدـ مـنـ هـنـاـ وـمـشـاهـدـ مـنـ هـنـاكـ ٠٠٠ـ وـلـمـ يـعـتـمـدـ عـلـىـ مـسـحـ دـقـيقـ وـوـاضـعـ وـأـيـنـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـقـيمـ عـلـيـهـ هـذـاـ الـبـنـاءـ النـظـرـيـ الـمـكـامـلـ ، وـمـنـ الـاـنـصـافـ أـنـ نـعـتـرـفـ بـأنـ مـهـدى عـاملـ قد استفاد من شيخنا ابن خلدون الذي أشار في مقدمته إلى أن انهيار الحضارة الإسلامية كان منوطاً بدور البرجوازية أو بدور (الطبقة التجارية) على وجه الخصوص ٠٠ وهذا ما نظر له مهدي عامل ٠

بالإضافة لما سبق توجد محاولات أخرى تركز على بعض الحركات الثورية الإسلامية مثل ثورة الزنج والقرامطة ٠٠٠٠ اللخ ، وهي موضوعات مرتّبت بحثاً ، أو دراسة فيلسوف ما ، ومحاولة تقديم نسق للمسنى وفق الرؤية المادية بمعرض عن واقعه التاريخي المادي ، ولذلك لم تزد هذه الدراسات للتراث إلا عموماً على نموض ٠٠ اضف إلى ذلك كلّ تلك المحاولات التي كتبها الذين أدوا لهم يؤمنون بالرؤبة المادية للتاريخ ، لكنهم - بعد سنوات - نكسوا على اعتبارهم وتحولوا إلى الرؤبة المثالية ، وتصدروا للكتابة في التراث بطريقة المسعدت « التراث » ، ولم يفلعوا شيئاً سوى

استخدام مهاراتهم المقلية وقدراتهم الشخصية في المواجهة ، واستخدام تقنيات البحث وتوظيفها بشكل سهل ، وووجد مؤلاً في الماكينة الاولية للتراث ، وعن طريق الانتقائية ، ما يقيم أود ابنيه ذكرية مما في التحليل الاخباري مجرد ابنيه هشة ، وتذكر في هذا الصدد محاولات الصديق حسن حنفي في « التراث والتجديد » و « تجديد العقل العربي » لمحمد عايد الجابري ،

ورغم اعجاب استاذنا محمود العلام بالجابري ، فانه ارى انه يقع في المزلق الانتقائي ، ويعيل الى اظهار القدرات الخاصة في استخدام الناهاج الفرنسي الحديثة مثل البنية والابنوية في قراءة بعض النصوص التي انتقاها من هنا وهناك للخروج بامثل خلاصات تصل الى حد التعميمات ، وهناك محاولات اخرى قام بها العروى وذكرى نحيب محمود تسير في نفس المنحى .

على كل حال كثير هم المذكورون الذين عجزوا عن تجاوز ما قدمه احمد أمين رغم انجازه الذي تمثل في محاولة الخروج بالتراث عن الرؤية المسلنية الفقيرة .

في هذا السياق كله نكتشف القيمة الحقيقية لإنجاز حسين مروة الذي سماه (النزاعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية) ... ربما ظلم الرجل نفسه عندما سماه (النزاعات) لأن النزاعات تشير الى ان هذه الجوانب المادية في التراث العربي الاسلامي اشبه بأشياء عابرة ، ولو كانت كذلك لامكنا رصدها في عدد من الابحاث المختصرة .. لكن هذا الانجاز الضخم الذي يصل الى الف صفحة ، ولم يحظ سوى قدر محدودا من الفكر الاسلامي اذ يقف عند القرن الرابع الهجري حيث كان هذا الفكر لا يزال في طور التكوين ، اما طور الازدهار فلم يتعرض له ، ونرجو ان يتم تلاميذه هذا العمل الضخم بنفس المنهج وبدأت الرؤية .

فالعمل اكبر من مجرد للتاريخ للجوانب المادية في الفلسفة الاسلامية ، فعلى الرغم من اقتصاره على الجوانب الفلسفية كما نص عليه العنوان ، الا انه فرض عليه منهجه ضرورة ان يقوم بما اخفق فيه جمهورة المؤرخين والتخصصيين لتقديم مسح أولى للواقع الاقتصادي والاجتماعي في العالم العربي ، وأخذ حسين مروة على عاتقه عبء القيام بهذا العمل ، وهو عبء اكبر من ان يقوم باحث واحد به ولو كرس له عمره ، من ناحية اخرى عندما قام بدراسة الجوانب المادية في الانساق الفكرية في علم الكلام وعند الكندي والفارابي وابن سينا والصوفية كان عليه ان يعرض - طالما

انه ينظر إلى التباريُّخ كصراع قوي على أرض الواقع - للجوانب الأخرى ، فعندهما يدرس المعتزلة كان عليه ان يدرس الاشاعرة ، وعندما يدرس ابن سينا ، كان عليه ان يدرس الرازي ، ولو درس - فيما بعد - ابن رشد كان عليه ان يدرس الغزالى ، على كل استطاع حسين مروءة من خلال المسح الدقيق وإلamine وقوفه على نمط الانتاج المسائد ان ينجح في وضع الفكر الفلسفى في سياقه التاريخي الصحيح ، كما استطاع ان يصحح كثيرا من الأخطاء التي وردت في حوليات المؤرخين الذين كتبوا في التاريخ السياسي والعسكري العربى والاسلامى ، لأن الرؤية الواضحة جعلته قادرًا على الامساك بحركة التاريخ ، والسيطرة التاريخية ، لذلك لم تأت تقويماته من قبيل الاستعراض كما يفعل الاكاديميون الماثليون ، لتدفعه منهجه ان يناقش كل ما طرح في الساحة سواء من جانب العرب او المستشرقين ، وأن يحتمل في النهاية الى الواقع العيانى التاريخي ، ورغم انه نص في العنوان على «النزاعات المادية في الفلسفة الاسلامية» ، الا أنه درس التصوف ، واستاذنا العالم يؤكّد ان دراسة حسين مروء عن التصوف اعظم وأعمم انجاز في هذا المجال ، خاصة وأن موضوع التصوف قد تم اهماله وأغفاله تماما في الدراسات الفلسفية العربية ، لأن الدارسين العرب لا يعتبرون التصوف فلسفية على اعتبار ان احوالاته الذوق والحس ، بينما الفلسفة تدخل في دائرة المقل والمنطق .

وتبرر قيمة كتاب حسين مروة في قيامه بمسح أولى شامل للبنى الاجتماعيه للمجتمعات العربية الاسلامية في عالم بلغت حدوده - في القرن الرابع الهجري - من الممكن شرقا الى المحيط الاطلسي غربا ، ومع اختلاف النسب وبيانات تطبيقه من مجتمع الى آخر حسب المطابع الخاصة به ، نجح في النهاية ، في وقت كان يمكنه ان يصل المقوله «النهاية» دون مسح شامل لـ كـامل الـ اطار الجـغرافـي .

خلاف في التفصيـل

... وعلى كل حال توجد خلافات حول نمط الانتاج الذي توصل اليه حسين مروء، فهذا النمط رغم سماته الاقتصادية الا انه كان مزيجا من اتجاهات اخرى ، مثل العبودية والاقطاعية التجارية .. الخ ، وهو ما يمكن تسميته بالمجتمعات قبل الرأسمالية ، والمصيغة التي توصل اليها حسين مروء هي احسن صيغة لامكنا الوصول اليها حتى الان ، ويمكن ان نتفاوض عن بعض المنهجات الجذرية التي ترجع الى عدم حسم قضية

نقط الانتاج حسماً قاطعاً على صعيد الواقع ، فقد كان هناك نقط انتاج مسائل في مواجهة انماط أخرى ماعلة في الواقع .

و هذا يؤدى إلى (اللامح المطبقي) لكن ما توصل إليه حسين مروء هو تأثير التيارات الموجودة ورصد مدى تواجدها و اختلافاتها وبنياتها ، ليس على أساس التاثير والتاثير بما هو داخلي أو خارجي ، وليس على أساس الافكار الشائعة مثل (التفريق بين الحكم والتشريع) ، كل هذه المقولات انتهت بإنجاز حسين مروء ، الذي قدم لنا صورة دقيقة للفلسفة العربية الاسلامية واتجاهاتها وتياراتها ، ليس فقط من خلال النصوص التي كتبها المذكورون بل استشهاداً بالمسعى الاقتصادي الاجتماعي الشامل لبنية المجتمعات العربية الاسلامية .

ان عملاً بهذا الشموخ يقتضي دأب وجهد وطاقة وقدرات حسين مروء لكي يتم ، واعتقد ان افكار حسين مروء منتشرة بين شباب الباحثين في الجامعات وخارجها ، رغم ان القبار الاشتراكي العلمي الذي يمثله حسين مروء محاصر بالسلطة من جهة وبصخب التيارات السلفية الديمagogية من جهة أخرى ، لكن يبقى ان حسين مروء قد أصبح عقلاً موزعاً في عقول مردبيه من لظيع الى المحيط .

من يرسم الطبيعة؟

حسناً مينه

يستحيل على الرءَّ أن ينفعي الرجال الذين ارتبطوا بذكرياتِه عن
النضال وال أيام الجيدة .

ومع اننى ضعيف الذاكرة ، احلول عيناً الامساك بخطواف الماضى
وابقاء الانهلل مضاءة بخيوط الشمس التي غربت في بحر العمر ، الا ان
يعض الوجه ، في طيبتها ، في نبلها ، في قربها من القلب ، في ممارستها
ذلك التأثير الغريب على الروح والعقل ، تظل حية في الوجودان ، عصية
على عوامل الزمن .

امي وصديقي وحبيبتي ..

الاولى في طيبتها ، الثانية في نبله ، والثالثة في الشىء الذي لا استطيع
الكلام عليه ، لانه غير مسموح ان نتكلم على المرأة ، مع انها كانت في كل
حرف كتبته ، واعطت كل حرف كتبته ايضاً .

امي جلوت صورتها ، للبهاء كانت بما من انشى معذبة في هذا
الشرق .

وحبيبتي مضرورة في حروف ، ما دمت عاجزاً عن ابداع « نشيد
انشاد » جديد لها .

وصديقى بعض ذاتى ، عانا مؤمن بصداقته الرجال ، وبغير حدود .

وكما باليزون ، في الشفاه ، اود ان اكون في الصداقات . ذلك ، في
الامنية ، شفة واحدة ارادها ، حتى اذا قبلها استراح ، وانا في
المودات ، ارحب ان اقول شيئاً عن صديق ، وجميع الاصدقاء اعني ، مؤلاء
الذين ارتبطوا بذكرياتِه عن أيام الشباب والنضال ، يوم بيان الرابطة(1)
دستورنا الأدبي .

وتبقى ، لكل صديق ، موته ، معرته ، مأثرته الصغيرة التي يحسن
الحديث عنها . تبقى ذكراء الخاصة ، المجددة في زاوية من الصدر ، شأن
خلصة شعر ، من فناء الى فنٍ ، ينساها زمناً طويلاً ، وفي الشیوخة تسقط

(1) بيان رابطة ادب الموريين الى باسكت عن ١٩٥١ ، ثم قدولت الى رابطة

ادباء الريف عام ١٩٥٤

بين يديه من كتاب منسى ، فيشرق من لرحة وحسرة : يا للديام ا ابن
صاحبة للشعر الجميل الآن ٩١

ف روايتي «*الثلج يأتي من النافطة*» لعب خليل ، العامل في مصلحة
الهاتف في بيروت ، دور المطم والقائد بالنسبة لفياض ، الكاتب الشاعر
الرومانسي .. خليل هذا عرفته صغيرا ، عرفته يافعا ، عرنته كهلا ،
وما انكرت من استقامته البدنية ، ولا من صداقته الخالصة ، شيئا .
كان ، كابناء طبقته ، مثلا للوعي والجرأة والتضحيه ، كان يقول
لفياض : (١) « كل شئ يتوقف على الصمود .. بعد البطلة والتشرد ،
وحتى بعد السجن نفسه ، يبقى الصمود أساس الموقف .. أصمد ..
أاتهم ؟ » ويقول ايضا : « تتعذب ؟ هذا واضح ، كثيرون يتعذبون ،
كثيرون يتربون اعمالهم ويترشدون .. يدخلون السجن ويخرجون ، وقد
يدخلونه مرات ويخرجون .. ثم يغلوطون بقضيتهم فما السبب ؟ فكر ..
انهم يفتقرون الى روح المثابرة . ينتصهم الصمود أمام المصاعب الصغيرة
.. التجربة هي المحك ، فقبل التجربة جميع الناس مناضلون ، وربما
ابطال .. »

وكنت اتابع صمود خليل ، لما جمبع انواع المحن ، ومنها للجوع
نفسه ، واقول في ذاتي : « آية سنديانة هذه ... آية ريح قادرة على
اقتلاعها » ، وفجأة تهب ريح العرب الاملية للبنانية ، وتتناثل سنديانة
خليل في عصفها الجنون ..

هذا صديق تعلمته منه ، طوال حياتي ، ان الطفرة لا تساوى شيئا ،
وان روح المثابرة هي الاساس ..

وهذا عامل ، حسنته ، طوال حياتي ، على استقامته البدنية ..

وهذا مجريب : لم يأت بجديد حين قال « التجربة هي المحك » هذه
عرفتها من والدى ، لكن خليل اضاف عليها : « قبل التجربة جميع الناس
مناضلون ، وربما ابطال » وهذه كانت جديدة ورائعة احفظها قولا ماثورا ..
يبقى انتي ، في الحياة التي عشتها بعمق ، في التشدد الذي ذقته مرا ،
في رصد الناس الذى هو سبيل الكاتب الى معرفة الطيائع ، كثيرا ما داعبته
هذه الامنية : لو كان لفياض بعض ما لخليل .. لو كان للكاتب بعض
ما للعامل ، لو نجمع بين الشاعرية والواقعية ، بين المعرفة والوعي ، بين
الموهبة والتجربة ، بين فناد صبر الاديب وروح المثابرة عند الماهم ..

(١) آية «*الثلج يأتي من النافطة*». *

واكتشف ، بعد عشرين عاما ، أن هذه الخصال كلها اجتمعت في واحد . هذا أمر لا يقع إلا نادرا ، لكنه ، لحسن الحظ ، وقع لصحيقي حسين مروءة ، فكان هو هذا الواحد ، هو هذا الشخص الذي اجتمعت في ذاته أشياء أكاذيب وأшибاء البناطل ، وهكذا نبسط عليه ، نحن الكتاب ، أن بخدر بعد اليوم ، إن لنا ، من عالم الأدب ، سفيرا في دنيا النضال ، بتمام ما تعنيه هذه الكلمة .

وأنا في بعض ذكرياتي ، سأتحدث عن حسين مروءة الكاتب .

حسين ، في ما يبقى في الذاكرة من طيف ، إن أقبض على بقايا ظلال ، إن أظهر خطوطا من الماضي ، أن أجمع روئي غاربة ، أرسم منها ملامع لوجه المذكر والقديس ، في تلازم الصناء والطيبة ، العمق والهدوء ، والمعرفة والتضحية ، فكاننا أمام صاحب رسالة من الغوريين .

كنت أعمل في جريدة «الأشقاء» بدمشق . كانت الصحيفة ، آنذاك ، باريع صفحات ومحرر واحد هو أنا . كان ذلك عام ١٩٥٠ . وكان على ، أضافة إلى كتابة وتصحيح الصفحات الأربع ، أن التقط نشرات الأخبار الاملائية من الراديو ، وأجهزة الأخبار الطيبة ، وأكتب زاوية أو أكثر ، وأستعمل شفرة «تسليت» ، أو للدبوس في قص الوضيع من الصحف الأخرى ، اللبنانيية خاصة ، ونشرها في صحيفتنا ، دون اشارة إلى المصدر .

... وقعت ، تلك الأيام ، في جريدة «الحياة» على كنز ، كانت تنشر في الزاوية اليمنى من صفحتها الثامنة ، وتحت عنوان «مع القافلة» ، زاوية مضيئة ، في قلب موادها المظلمة . كنت أقرأ هذه الزاوية بدقة ، بشغف ، باحترام ، وإنتوقف عند اسم حسين مروءة متسللا : مع أيام قافلة يسيرة؟ وكيف يفعل ذلك في جريدة «قافتلها» ، لا تسلك السبيل المستقيم ، ولا طريق الذين يعيش عليهم الوطن والشعب؟ ثم لاحظت ، شيئاً فشيئاً ، أن هذه الزاوية ولحة في صحراء ، وإنها صوت مفرد نقي ، في جوقة من الأصوات القبيحة للنشاز ، وإنها أشبه بالسادة الصديحة ، المهرية ، في صحرى بضاعة مشوشة .

ولأنني كنت عاجزاً أن آتي بمثلها ، ولا يسمح لي صاحب الجريدة أن أكتب ما هو في صيتها ، فقد تفرق ذهني عن حيلة «رحت أقتبس جمرة تلك الزاوية انارة لعتمة صحيقتي» . وتحت عنوان «قالت الصحف» ، شرعت أنقل «مع القافلة» بمتهامها وكفالتها ، وأعني بها عناية ملحوظة ، ناجل بعض جملها بحرف ابتسود ولخرجها لخرجاً انتقاً . لكن ذلك لم يدم طويلا ، فقد اكتشف «معلم» أن خطى لا ينسجم مع خطه ، فصرقني دون أن يعطيوني شهادة «حسن السلوك» التي طلبتها .

لقد علمتني تجاربي المزيرة أن البطالة ، والتسمّع ، والجوع ، والبشرد . وكذلك الحب والبغض والوان العاطفة ، في الواقع ، غيرها في الكتب . قد تبلغ في القصص درجة من العمق ، والتأثير ، والاحاطة ، أكبر مما هي ، وألقن مما هي في الطبيعة ، لكن الواقع يحفر نقوشه على جلد الانسان باداة مهمة ، تكوى ، وتنترك آثاراً وندوباً لا تنزول . انه ، كما قال غوركى ، يعلم برسوخ ، وقد رسخت في ذهني كل تلك الايام . الصحبة التي عشتها بعد صرف من العمل ، الى أن قيس لي ، بعد شهور العمل في جريدة أخرى ، وعند « معلم » آخر .

كان هذا أمياً تقريباً ، وصار صاحب جريدة بطريقة مجيبة ، ومن ابرز صفاتة أنه « قفز » من صنوف عمال الطباعة الى صنف أصحاب الصحف فهو لا يتنكر لهنته ، لذلك ياتي الجريدة – وكانت ظهرية – مع الفجر ، ويحمل بجمع الحروف وتتصيدوها ، وفي الساعة الثامنة ، يكتس الادارة ، بعد أن يوش ارضيتها الترابية بالماء ، ويلقط شرارات الاخبار ، وينصرف ، بعد ذلك ، الى كتابة الافتتاحية مفتقاً عليه باب غرفته الصغيرة باحكام .

دورى ، في هذه الجريدة ، كان كسابقه . تحرير وتصحيح المصحفات الاربع ، اضافة الى « القاء نظرة » على افتتاحية « المعلم » . أقول أن : نظرتني تلك كانت مبللة بالدموع ؟ وماذا يعني هذا الكلام بالنسبة اليكم ؟ انتم لم تعرفوا ، ولن تتوصلوا ، الى معرفة نوعية تلك الافتتاحيات . يكفى أن اذكر أن مكتبة معلم كانت تختلف من كتابين اثنين : « اوراق الورد » للمرحوم مصطفى صادق الرافعى ، وكتاب مترجم لغوستاف لوبيون . وكانت محفوظاته تقتصر على بيت مفرد لشوقى ، هو « وانما الامم الاخلاق ما بقيت » وكانت افتتاحياته ، مهما تتفاوت من موضوع ، لا بد أن تحملها عبارات من نثر « اوراق الورد » ، ومواعظ من مأثورات غوستاف لوبيون . وحتى الخبر المطى ، اذا أراد التعليق عليه ، استهل كلامه بـ « قال غوستاف لوبيون » حتى كان يوم ، وقع فيه على خبر عن وفاة رجل بالسكنة القلبية في البني العام ، غارورده ، وعلق عليه بيبيته المأثور « وانما الامم الاخلاق » . واصف : « قال غوستاف لوبيون » فنفذه صبرى ولنفخر ، وحملت سترتي وخرجت من الجريدة وانا العن اجدد . لوبيون الكبير .

اما الافتتاحيات فكنت أحذار كيف أصلحها . كانت عبارات مصطلح صادق الوانص البلاغية شيئاً اساسياً ، لا يتسامح العلم بمحفظها .. ويكون الموضوع اقتصادياً ، اذا السيد الرافعى ، او المجنون لوبيون ، يقتبسون ويطلقان

برأسيهما ، وأذا الموضوع لا رأس له ولا ذنب ، وعلى ان اجمله مستقبلا ،
ومقروءا من الناس ، فماذا أفعل ؟ اتنى احب الكتب ، اكرمها ، الاطفها
كاؤلادي ، وبصعوبة استطاعه التخلص عن كتاب ، فكيف باتلاته ؟ لقد
اقترفت هذه « الجريمة » وليغفر لي الله ، ففاقتلت معلمي ودخلت مكتبه
وبحثت عن « أوراق الورد » ، وكتاب غوستاف لوبون ، وحملتها الى الدفأة
خفية ... واسترحت ، بعد ذلك ، من البلاغة والمعطقة ، كليهما .

هذه الاشياء من حياتي الصحافية ، تقصصتها على صديقى حسين
مروة بعد ان تعارفنا ، فادرك ، بتجربته الصحافية ، ما اعانى ، ولشدة
دهشتى ، ان زاويته « مع القافلة » ، بعد أيام من ذلك ، كانت تحمل هذا
العنوان « أبيب في المحرقة » ، وكان يتحدث عنى بذلك الروح الانسانى ،
بتلك المشاركة الوجدانية في آلام الاخرين ، ويحلل بنظرية موضوعية ،
علمية ، وضع الكتاب ، في مجتمع الكلمة فيه سلعة ، ثم يهيب بي ان اصمد ،
ولاتبع الطريق . وقد نزل كلامه ببردا وسلاما على قلبي ، شعرت يومئذ ،
اننى لست وحيدا في مواجهة الشدائدين ، وانلى ، في سوريا ولبنان والعراق
ومصر ، وسائر البلاد العربية ، اخوة في الشعور وزملاء في الحرف ، وان
مسيرة القافلة التي يبشر بها حسين مروة تمضي الى امام ، وانها تكبر
وتتضخم حتى تملأ الدنيا ، وان نشيدها يتعالى قصیدا مهيبا حاملا كل
مبوات انساننا وكل اشواقه الى الغد الافضل .

وحين تأسست رابطة الكتاب السوريين ، عام ١٩٥١ ، وأصدرت
بيانها الادبي المعروف ، الذي تلتزم فيه بالنضال لاجل الوطن والشعب
والتقدم والسلام العادل ، تبناء حسين مروة . فرح به كثيرته بمولود .
شجمة ، نشره ، أيده في زاويته ، وجد فيه تحقيقا لما ينادي به . ادرك
ان الابباء الشباب من اصحاب البيان سيكون لهم شأن في الحركة الادبية
العربية ، وان الاشياء التي تلاقوا حولها ، وتمهدوا باحترامها ، وجعلوها
امدالا لهم ، مع الاصالة والجودة والتنوع والغنى في ادوات التعبير
والشكل ، هي اشياء تتلبى الطموحات الى تلك الانعطافة التاريخية التي
تت mismatch عنها الحركة الادبية العربية ، متساوية مع ما ت mismatch عن
الدنيا من جديد بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد انحراف الفاشية المهزولة ،
وبروز دور الاتحاد السوفييatic ، بل الاشتراكية الاول ، ونهوض قوى التحرر
والنقدم في كل مكان .

ان مدافع الحرب العالمية الثانية لم تتحمل علينا ، في هذا الشرق ،
انباء انتصارات الجيش الاحمر على الجيوش الالمانية الغازية فقط ، بل

حملت ايضا اصداء الفكر الجديد ، والادب الجديد ، والواقعية الجديدة ، تلك التي كانت ظروف كفاحنا التاريخية تتطلبها ، والارهاسات الابدية تبشر بها ، وفي مصر ، كما في لبنان وسوريا والعراق ، اكثرا من دعوة لنزول الا Higgins الى السوق ، ليكون من لحم ودم ، ليغمس ريشته بعرق الناس ، ليستمد منهم نفسه الابدي ، ويستلهم مشاعرهم ومشاكليهم وتطوراتهم ، ويصوغها شعرا وقصة ورواية . واذا كان عمر فاخورى ، في كتابه « أبيب في السوق » ، قد اطلق صيحة قوية ، مفردة ، لها ما يماثلها من صيحات متفرقة ، هنا وهناك ، في الوطن العربي ، ضد البرج العاجى ، والفن للفن ، وكل مقولات وناتجات الرومانسية الناشرة ، فان بيان رابطة الكتاب السوريين قد انتقل بالدعوة الى الواقعية من صيحة الفرد الى صيحة الجموع ، وحشد لها عشرات الاباء في سوريا ، وسرعان ما تجاوب مع هذه الدعوة اكثرا الاباء في لبنان والعراق ومصر ، وغدت مجلة « الثقافة الوطنية » اللبنانيية ملتقى اقلامهم ، وكان حسين مروة والصديق محمد دكروب وغيرهما وراء هذه المجلة التي حملت لواء الدعوة الى الواقعية الجديدة ، تالياها وترجمة .

تلك الايام ، الخمسينات من هذا القرن ، شهدت صعودا في حركة التحرر الوطني ، وفي التقدم الاجتماعي ، واكبها صعود في الادب والفن والثقافة بعامة ، وكانت ثورة توز - يولييو - المجيدة في مصر ، بقيادة جمال عبد الناصر ، الشارة التي اشعلت سهلنا . كانت ، وخاصة بعد العام ١٩٥٤ ، بداية ذلك المد الثوري الذي شمل الوطن العربي . ان جيلنا لا ينسى ايام الخمسينات المجيدة ، فقد انتشرت روح من الحماسة غمرت وجودات الناس وفجرت وجdanاتهم تصحيحة وبراسلة وصياغة اببية وطنية لكل ذلك الوج المندفع من المشاعر الوطنية والقومية والانسانية .

ولقد كنا نلتقي ، نحن ادباء الرابطة في سوريا ، على ربيع في عمرنا وعطائنا ما . كنا ننام على مشاريع عمل ، ونستيقظ على مشاريع عمل ، ونتسابق ، ونتنافس ، في ترجمة هذه المشاريع الى وقائع ، فإذا التقينا زملانا في لبنان - وكان هذا يحدث كثيرا - كانت تتضاد عزائمنا مع عزائمهم ، ويتحول التعاون بيننا الى صيغ تفجيفية لتلك المشاريع الابدية ، وهكذا ولد مشروع « كتاب الرابطة » ، ومشروع كتاب غير قليلة ، كانت توضع وتترجم في سوريا ، وتحمل الى دور النشر اللبناني ، وتعقد حلقات النقد حولها ، ويجرى النقاش الاخوى بغير محاباة ، ولكن بغير تجويع ، نالمائحة لم تكن عملة دارجة بيننا ، وكذلك المؤتمرات . كما قلبا واحدا ، صوتا واحدا ، صفا واحدا ، على تنوع في النغمات وفي ادوات التعبير ، واسكالها واساليبيها .

... وكان حسين مروء ، بطيبيته اللامتناهية ، بهدوئه ، وقاره ، صدقته ، جديته ، محبته للآخرين ، على رأس ذلك الصف ، وفي قلبه ، وكان مثلاً في التطابق بين القول والفعل ، ورمزاً في التواضع ، دون أن ندرى ، يومذلك ، أن هذا التواضع سيعظم بمحظمة ليداعات هذا الصديق التالية ، من غير أن تلحظه لوته من تشوف أو غور ، لانه تواضع اصيل ، نابع من ذات مناضل يذكر بالناضلين القدماء ، الذين كان نكران الذات احد اكرم صفاتهم ، تماماً كما كان نذران النفس للشهادة في سبيل المبدأ أحد اكرم تلك لاصفات أيضاً .

عندما انقل نظام حكمت من سجن تشاركيرى الى سجن بروصنة ، أخذ معه طنجرته الصغيرة ، تاركاً السجناء الآخرين دون وعاء يطهرون فيه طعامهم ، فعل ذلك سهوا ، في غمرة الاستعداد للانتقال من سجن آخر ، هو المريض بالعرق الانسر ، الذي كان ينشد العالجة بالياء المدنية في بروصنة .

بعد فتره ينتبه الى ما فعل ، فيكتب رسالة الى كمال طاهر ، بتاريخ الخميس ١٦. كانون الثاني ١٩٤١ ، يقول فيها : « لا ادرى ما اذا كنت قد احسنت باحضار الطنجرة معى ، برغم قربى من استنبول . انتم ، هناك ، بلا طنجر ، ونا هنا بقى عنها . كمال (رفيقه في الزنزانة) يملك واحدة ، لكنها ليست الا قدراً صغيرة . لا ادرى لماذا فعلت هذا . انه بكل تكيد ، حس الملكية الذى دفعنى الى هذه الفعلة ، وليس انت من زين لي هذه الرذيلة ، لا اثر لحب الملكية عندك ، ولا اعتقاد ان له اثراً عندي . فعن هو ، في رأيك ، الذى «لصق» بي هذه الجريمة ؟ «العنب حين يرى بعضه بعضاً ، يسود » . ويبعدو اثنى تاثرت بغيري . ومكذا بقيت انت دون طنجرة ، بينما كان بامكانى ، انا ، ان استخدم طنجرة كمال الصغيرة عنياً » .

ناظم ، في نكران ذاته ، يحاسب نفسه على افتقاء طنجرة صغيرة ، يريد هذه الرذيلة الى حس الملكية . ولا ادرى لماذا يغيل الى ان حسين مروء وحده قادر على مثل هذا الحساب مع نفسه ، مما سمعته يوماً يتتحدث عن ملكية خاصة ، ولا سمعته يوماً يشكوا مما يشكوه منه الآخرون ، ولا رأيته اعتم بماكل أو ملبيس خاصين ، لكتبه ، من هذه الجهة ، احد الزماد ، مو البعيد عن الزمد ، الحب للحياة .

لتقول ، تولة اللياس ابى شبكه : « اعد لنا يا زمان ، ما كان في لبنان ». هذا التعمى الاسعف ينди له القلب من شوق وتحنان . نحن .

لا أنتم ، من يُستشعر هول النكبة التي حلت بلبنان ، هذه الرفة التي كنا نتفقّس منها ، حين كانت تصفيق بنا بلداننا ، وحين كان زريد أن نظر على الدنيا ، وإن نتعاطى مع النسمة العذبة ، والخضرة البايانة ، والينابيع الباردة ، واللامه السعيد ، ونرتاد الجبل وأقدامنا مغموسة في البحر .

في لبنان ، أيام زمان ، كان لقاونا مع الأحبة ، مع الأصدقاء ، مع الزملاء ، وكان الانتقال من دمشق إلى بيروت سهلاً ، نتخطى الحدود بينهما كما نتخطى تخماً بين حقل وحقل ، فإذا لم نسر في بيروت ، كما تقول نيروز ، سهرنا في الشام ، وكانت سهراتنا نحوات نكر واب وفن ، ولحت فيها ، عام ١٩٥٤ ، فكرة عقد أول مؤتمر إدبي في تاريخنا الحديث ، هو المؤتمر الذي عقد في أيلول من ذلك العام ، وتحولت فيه « رابطة الكتاب السوريين » إلى « رابطة الكتاب العرب » .

أيام التحضير لهذا المؤتمر كانت من الأيام المشهودة في حياتنا . كنا لا نملك سوى الإيمان بالآداب وسوى الأخلاص له اخلاصاً قدسياً ، والا الخامسة التي تقييد في التعبير عن وجداناتنا نظاماً أو نثراً ، لكنها لا تعود علينا بأيّما نائدة مادية تستعفنا في تغطية نتفقات مؤتمر دعونا إليه الآباء من جميع الاقطار العربية ، وأخذنا على عاتقنا امر اقامتهم وتفقات طعامهم وشرابهم .

ماذا نفعل والموعد يقترب ؟ فتحنا باب التبرع فيما بيننا ، المليئين فيما - كما يقال في اللغة المالية - دفعوا خمساً وعشرين ليرة ، والآخرون بين عشر وخمسين ، ثم يحصل لنا إلا حوالي مئتين من الليرات ، بينما اجرة القاعة ، المؤتمن على هذا ، على من هذا بكثير . وقعن في حيرة ، لكن الحاجة أم الاختراع ، وهكذا تفتق ذهن احدهنا عن القيام بحملة لجمع التبرعات من الأصدقاء والاصتصار ومحبي الآداب ... انقضينا إلى عدة لجان ، وشرعوا نطوف في دمشق ، وكتبنا في ذلك إلى زملائنا في المحافظات ، وإلى انصار الرابطة في لبنان ، لكن المساعي لم تسفر عن شيء كبير ، فالآداب ، آنذاك ، لم يكن يطعم خبزاً ، والكتاب لا قفل درهماً ، وصاحب الجريدة أو المجلة ، إذا نشر لنا قصة أو قصيدة يسمع علينا ، وبين حين لا نعرف إلى وفاة معروفة سبيلاً .

اضطربنا ، بعدئذ ، إلى أخذ أنفسنا بصراحة . عقدنا اجتماعاً في دمشق ، ولم يكن لنا مقر ، بل كنا نوزع اجتماعاتنا على بيئتنا ، بالدور ، وقررنا أن ننهض بمسؤولياتنا . وكان بعضنا يصر على مسنه للكلمة

« مسؤولياتنا ١ »، ويحرص على ذلك الوضع « الخيل » الذي ينتبه الشاب المتأدب مما وف ذهنه أنه باديه، سيخترج المجزات « أجرينا جرداً دقيقاً لا يضاعنا العائلية : على المتزوجين أن يبعثوا بزوجاتهم إلى اطمئن ، في زيارة تستغرق مدة المؤتمر وهي ثلاثة أيام ، على المسارعين أن يسجلواكم من أعضاء المؤتمر ، يستطيعون أن يستضيفوا . من كان لا يملك غرفة خاصة ، وليس في بيته متسع ، عليه أن يؤمن غرفة في فندق ، البعض « الوجوه » من المؤتمرين الذين لا نمون عليهم منتزلهم في بيوتنا .

إذا كنت اسكن في حي الزبلطاني في دمشق . كان حيا شعبياً يتتساعد ساكنوه على النساء والقراء ، ويستغير أحدهم من الآخر ، لا الفراش وحده إذا جاءه ضيف ، بل الرغيف والطاجرة .. وكذلك فرشة الأسنان ، فقد جاعتنى ، ذات صباح ، طفلة طرة تقرع باب بيتنا العربي ، وتطلب استئجار فرشاة الأسنان لوالدتها .. في يوم عيده .

كان بيتي يتلطف من مربيع ، هو غرفة النوم والمصالون ، وغرفة صغيرة لوقها عليه ندعوها « فرانكا » ، وله أرض ديار واسعة ، وفيه بثير ماء ، وحقيقة ، ومشمسة عجوز ، وجارة نصف هي لم عمر ، أجمل ما فيها صوتها الموسقى ، ذو الغنة الشامية ، إذا سمعته حسبت صاحبته في العشرين . هذه ، لم عمر ، كانت أروجية ، تمدنا دائمًا بالفرش والأغطية والطرابيع ، حين يهبط علينا ضيوف كثر ، من بلدنا الأول للانقية أو لبنان ... أو مصر .

هذا البيت الذي هدم الآن ، وقام مكانه بناء كالقصر ، كان يجب أن يدخل التاريخ ، لأن كثيراً من أدباء البلاد العربية وعائلاتهم مروا به ، من عبد العظيم أنيس ويوسف ادريس في مصر ، إلى عبد الوهاب البياتي في العراق ، إلى نكروب وحسين مروة في لبنان .

بالنسبة لي ، اذن ، لم تكن ثمة مشكلة . كان بيتي فندقاً شعبياً بطبعيته . كان معتاداً على استقبال « حملة القلم » هؤلاء ، وكانوا يلتفونه حتى ما ينكرون شيئاً من بساطته أو فقره ، بل على العكس ، يجدونهما نوعاً من التوللوكور ، وكانت بالكافاج أحد مكاناً للنوم أنا وزوجي ، مأرض الدار كانت تمتليء بالفرش ، وعليها ينام أدباء يحبون التمتع بضوء الليل أو نجوم السماء ، والأعم من ذلك ، يحبون أن يجعلوا مسندآ لرؤوسهم في الأوقات التي تكون جيوبهم خاوية ، وكانت هذه الأوقات هي المقاعدة ، وما عدناها استثناء .

انن ، حظى ، كان الاعتقاد الكامل « لفندي الشعبي » خلال المؤتمر ، وكان الزملاء من اعضاء الوفد اللبناني هم للنزلاء ، وبين هؤلاء الصديق حسين مروء ، الذي يتولى ، بما له من احترام ، ضبط الامور دائما ، فiesel من « الفرانكا » حيث بيته ، وينبه للناشئين في العراء ، الى ان الليل قد انقضى ، او الفجر اوشك ان يطلع ، وان عليهم ان يكتوا عن حياة المشاريع ، او نظم الشعر بصوت مرتفع ، او ينهام عن استعمال التباقيب التي تطرافق على البلاط ، وهم يلحوتون لفخارهم الغنية جينة وذهابا . وكان اول من يخالف لائحة التعليمات هذه الزميل سهيل يموت ، خاصة حين يدخل في مشاريع خلبية مع لحمد غربية ، او حين يكون بين الضيوف الرجال اللبناني اسعد سعيد ! اما من الاكبر ، بصفتي مدير « لندن » ، فقد كان ضبط ائمة صديقي محمد تكروب ، وتزداد عبارتني المأثورة : « انافتكم يا محمدى ، يا صديقى ! » .

مؤتمرنا ، ذاك ، ضم ادباء من جميع البلاد العربية ، من مصر جاء الدكتور يوسف ادريس ، وفي مهرجان ادبي ، عفت المؤتمر ، التي قصتها « الشهيرة » الطابور ، التي كتبها في دمشق . ومن خارج مصر جاء الكاتب المصري اسعد حليم ، كان مشردا ففرشنا له في المسرح لضيق المكان ، وفي اليوم التالي قدم لي نسخة من كتابه الجديد وعليه هذا الامداء « الى الذي انزل عنى متاعبي ببساطة مذلة » ، كان يعمل طارشا للبيوت في قرى لبنان ، واعتبر استقراره في مصر نهاية للمتاعب وختاما سعيدا لل tersed ، ومن العراق جاء غائب طمبة فرمان وآخرون ، ومن لبنان جاء وفدي كبير جدا يقدمه شيخ الادباء مارون عبود ، والقى تحية للوفد اللبناني للمؤتمر الشيخ عبد الله العلايلي ، وانهالت البرقيات والتحايا ، وكان المؤتمر ناجحا جدا ، نبه الحكومات العربية الى ضرورة التحرك للاستيلاء على القطاع الادبي ، مكان مؤتمر بيت مري في العام نفسه ، ايدانا بيده ، مؤتمرات الادباء الرسمية المستمرة حتى يوهنا هذا ، واعلانا صريحا بانها المؤتمرات « الشعبية » التي من نوع مؤتمرنا « الشعبي » .

المهم ان عقدة الموقف ، خلال المؤتمر ، كانت تكرييم الادباء ، باقامة مأدبة غداء او عشاء على شرفهم . لقد نجحنا في تأمين المبيت ، وتدبير الطعام حيث ينزل الضيوف ، من حواضر البيوت ، لكن حفلة التكرييم هذه قطعت حولنا . ذهبنا الى المقاهي الصينية واحدا واحدا ، ننسال عن الاسعار ، ونساوم على ايسط الاطيان ، ونشرح وضعنا المالي الى ، الى ان عثينا على « مقهى سلوى » في القصاع - وكان صاحبه من متوفى الادب - فترفق بنا ، واقتراح علينا ان يكون العشاء لهما مشويا مع الحمس بطيحنة ، وشيئا من المخلل والبصل ، ومكذا كان ، واملقا في

المؤتمر أن هناك حفلة تكريم ، وفي الموعده الحجد اصطحبنا الونود ، وترقنا على الوناد بين شجيرات الورود والزهور، التي تملأ الباحة ، وكان المساء عذبا ، من أمسيات الخريف الحطوة في دمشق . وصيغت فيروز : «يشنف» الآذان كما يقولون ، ونظر المدعون إلى فقر موائدهم «ابتخيموا .. ومد شبيخنا المرجوم مارون عبود يده إلى قطعة من الخبز »، وغمس من الجحص لقمة وقال : « هذه أحلى لقمة في مثل هذه المناسبات ، لأنها من عرق الأدب حقاً وصدقًا ..». أما نحن ، الداعون من أعضاء الرابطة ، فقد امتنعنا عن الطعام لافتكمـاـدا ، وتنظـاـهـرـناـ بـأـنـبـاـ نـقـبـ في خـدـمـةـ الضـيـوفـ ، دون أن نـخـسـ كـفـرـنـاـ إلىـ الطـلـاوـلـاتـ .

اننى أبسوخ هذه النقف من الذكريات ، لاقول ان حسين مروء ، في كل تلك الأيام ، كان معنا ، كان صديقنا وزميلنا ، وكان ينبحج مثل اندفاعنا ، ويتحمس حماستنا نفسها ، ويشيل ، معنا ، هم الادب على كتعية . بل انه ، منذ ذلك الحين ، كان يعد بالكثير ، ويعيد الى الدراسة «الفكرية والنقدية »، ويقدم نتاجه في «الثقافة الوطنية » من قبل عليه ونحن نعجب لهذا الفهم الجديد لتراثنا الفكري .

عام ١٩٥٩ نتفق .. ظروف تاهرة تمر علينا فتشرخنا ، عشر سنوات أغيب عن سوريا ، وكلما بعثت رسائلة ، أو لقيت صديقاً ، أسئل عن « أبي نزار » ، وأخباره ، فيقال لي أنه بخير ، وأنه يعمل ، .. ثم أعلم أنه يدرس في الاتحاد السوفييتي ، وأنه يحضر للدكتوراه ، وفي مادته المفضلة : الفكر العربي ..

لقد عرفت حسين مروءة كاتباً نقدمها ، ملترضاً ، مناضلاً ، وعرفته رجالاً شريفاً ، مستقيماً ، حذقاً ، ذؤوباً ، صموتاً ، متواضعاً ، ذا مبادىء ، كان يكره الكسل ، يكره الالا مبالاة ، الالا مسؤولية ، والنفاق الاجتماعي ، والكذب ، ويحمل راية الحقيقة ، وليس بمقدور اي قوة ان تهشمه من التعبير عن افكاره . وكان صديقاً مسحوقاً ، انيس الحضر ، حل العشر ، يصرخ الى منساعدة من يحتاجه ، وكلمه وعده .. ووعوده موافقة ، وهو بصورة عن انسان الله ، الانسان الذي تحلم به ، ونباسن ان تكونه ، ونجبر انفسنا على ذلك ، ونمك الشجاعة على الانضال ضد جوانبنا السيئة ، ويفتر رحمة ، كي تستحق ان تكون مثل هذا الانسان المثال ..

تُورغم ذلك ، كان نفاذ الصبر أحد معاوئي وما يزال ، وأذ أقيس بغيره ، فالأخرين بالشجاع ، الماضلين ، المتابرين ، المجهعين ، القادرين على لوحى ، ونطلى الأنتيميل ، ثم على العطاء أضاب يشعرون الاحتباط ،

ولقد تكون سيدة حسين مروة ، في جده ، في دراسته ، في صبره ، في مثابرته طوال تسع سنوات ، حتى أنهى كتابه العظيم . «النزغات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية» أحدى العجائز في نظرى ، فانا اكبرها ، وانا أحسدتها ، لأننى أبداً غير قادر على الحلم بسبيرة مثلها .

لقد كتبت ، وانا أقرأ «النزغات المادية» أقnonم على المكتب وأدور في الغرفة ، كان يستخفني الاعجاب . كنت اكتشف في المؤلف انساناً جديداً له كل الصفات التي ذكرتها ، وفوقها الصفة الاهم ، الاكبر : صلة العالم بالفكر ، الذي يملك ، لأول مرة في أدبياتنا الفكرية العربية ، منهجاً واضحاً ، يدرس على أساسه المعرفة والثقافة والتاريخ والمنطق ، يدرس تراثنا الفكري ويزعنه نزعاته المادية ، ويظهر ، بالدليل ، ان الشنون الى معانقة الحقيقة الموضوعية ، قد كان شوقاً متواصلاً في خضارتنا العربية .

لو لم يكتب حسين مروة سوى هذا الكتاب لكتنى . ان انجازاً نكرياً بهذه الصخامة ، بهذا المستوى ، بهذا الشمول ، وعلى اساس المنهج المادي الدياليكتيكي ، قد اعم مكتبتنا العربية . وبدلًا من الف كتاب ، ضار في وسعنا الان ان نعتقد ، وأن نتفق ، ان كتاباً واحداً يغنى . فالمؤلف الذي انفق عقلاً من عمره كى يجمع ، ويتحقق ، ويقارن ، ويحلل ، ويعرض عرضاً علمياً تراثنا الفكري والفلسفى العربى ، بوعى وامانة ، وعلى اساس منهج سديد وواضح ، قد اختصر ، لكل طالب ثقافة ، عقداً من التعب . لقد اعطانا النور والشعور ، والفتاح لرؤية متكاملة عن حضارتنا . لا في ماضيها وحاضرها فحسب ، بل في مستقبلها ايضاً .

لقد غرفت حسين مروة دارساً ، وفي هذا الكتاب اكتشفت انه باحث نذ . وبخلاف جميع الباحثين العرب ، فهو الوحيدة الذي يملك منهجه ، ويفعله ، وهذا التميز ، القدرة على تطبيق هذا المنهج تطبيقاً خالقاً ، بلغة كريمة ، مشرقة ، رشيقه ، وأسلوب عربي ، فصيح ، يطأطع لغة العلم دون أن تموّره الطلاوة الأدبية .

وإذ يتصدى حسين مروة للنقد الادبي فانه لا يتقدم ميدانه ليقال عنه انه ناقد . لا يمتهن النقد كادة تعبرية تترجم عن ذاته فيما يزيد ان يقتول ، متخدًا من الذين يتقهقرون وسائل الى هذا القول . «النقد» لديه «هفمية ابداع» ، كشف ، تصويم ، ترشيد وتوجيه . وهو لا ياتي النقد تارقاً للكتب «ولا معرفتنا بها» ، او ملذوقاتاً لهـا تمزاج شخصيـاً .

أو متعصباً سلماً ، أو متزهداً ، أو متخيطاً بين المدارس النقدية ، وبين مناهج النقد ، دون قدرة على املاك أي منها ، وبغير اهتمام لتطبيقه على الآخر المفقود .

انه صاحب مهمة . يدرك ان مهمته جليلة وينهض بها . يعرف ان الثقافة الواسعة العميقـة الشاملـة ، هي المؤهل الاساسى للناقد ، فـيقتـسلـع بـثقـافـة أـزـعـم ، دون مـيلـىـاـلـة ، انـهـاـ لمـ تـقـرـفـ لـنـاقـدـ منـ العـربـ للـحـدـيـثـيـنـ غـيـرـهـ . قدـ يـكـونـ لـبعـضـنـمـ ، فـالـغـرـوـعـ وـالـجـزـئـيـاتـ ، اوـ فـيـ تـقـصـيـلـ هـذـاـ لـذـيـيـارـ الـادـبـيـ اوـ ذـلـكـ ، تـخـصـصـ اـكـبـرـ ، لـكـنـ اـمـلاـكـ الـفـهـومـ الـكـاـمـلـ ، ثـمـ مـعـرـفـةـ الـقـرـاثـ شـعـرـاـ وـنـثـرـاـ ، وـالـنـقـصـالـ بـالـفـكـرـ الـعـرـبـيـ وـمـصـادـرـهـ ، وـالـاـلـامـ ، الىـ درـجـةـ جـيـدةـ ، بـكـلـ الـدـارـسـ الـادـبـيـ الـمـعاـصـرـ ، وـالـقـدـرـةـ عـلـىـ رـصـدـ الـفـكـرـ ، وـتـبـعـهـ وـرـدـهـ اـلـىـ مـنـجـمـهـاـ ، وـمـنـاقـشـتـهـ ، ثـمـ هـذـهـ الـذـاـكـرـةـ الـعـجـيـبـةـ ، الـتـىـ تـسـعـفـهـ فـيـ إـشـواـدـ ، وـهـذـهـ الـلوـسـوـعـةـ الـتـىـ تـمـبـدـهـ بـالـعـرـفـةـ الـضـرـورـيـةـ حـوـلـ اـىـ مـوـضـعـ دـارـ الـكـلـامـ ، وـالـقـدـرـةـ عـلـىـ الـاحـاطـةـ وـالـبـقـاءـ فـيـ اـطـارـ الـبـحـثـ مـهـمـاـ اـضـطـرـرـ اـلـىـ الـاسـطـرـادـ ، اـنـ ذـلـكـ كـلـهـ يـجـعـلـ هـنـهـ نـاقـدـ جـيـبـراـ بـهـذـاـ اـسـمـ ، وـخـلـيـقاـ بـأـنـ يـكـونـ صـاحـبـ مـنـجـعـ عـلـىـ . هوـ مـنـجـعـ الـوـاقـيـسـةـ ، الـذـىـ يـهـتـدىـ بـهـ قـارـئـاـ وـنـاقـدـاـ وـمـفـكـراـ وـبـاحـثـاـ . وـهـذـاـ الـمـنـجـعـ ، كـمـاـ يـقـسـوـلـ : «ـ هـوـ الصـحـيـحـ لـنـفـاذـ إـلـىـ أـسـاسـ الـحـرـكـةـ الـجـوـرـهـيـةـ لـعـمـلـيـةـ الـابـدـاعـ الـادـبـيـ وـالـفـنـيـ وـالـفـكـرـيـ . وـهـوـ كـذـلـكـ - لـاـ يـزالـ الـمـنـجـعـ الـمـتـعـيزـ بـالـقـدـرـةـ عـلـىـ اـكـتـشـافـ كـلـ عـنـاصـرـ الـفـعـلـ الـمـتـبـادـلـ بـيـنـ الـوعـىـ الـاجـتـمـاعـيـ وـالـوـاقـعـ الـاجـتـمـاعـيـ . اـنـ هـذـهـ الـمـيـزـاتـ الـمـنـجـعـ الـوـاقـعـىـ هـىـ فـيـ اـسـاسـ صـيـورـتـهـ وـلـقـحـامـهـ مـعـظـمـ الـقـلـاعـ الـبـاقـيـ رـهـنـ سـيـطـرـةـ الـذاـهـبـ الـنـقـدـيـةـ الـقـاثـرـيـةـ وـالـمـيـتـاقـيـزـيـقـيـةـ ، » .

وـعـلـىـ اـسـاسـ هـذـاـ الـمـنـجـعـ يـقـنـاـولـ حـسـيـنـ مـروـةـ فـيـ كـتـابـهـ «ـ دـرـاسـاتـ نـقـدـيـةـ ، جـلـةـ مـنـ الـكـتـبـ الـفـنـرـيـةـ وـالـشـعـرـيـةـ يـحـلـلـهـاـ . وـمـعـ كـلـ دـمـائـةـ الـطـبـعـ ، وـرـقـةـ وـبـقـةـ الـمـلـاحـظـاتـ الـتـىـ يـوـجـهـاـ ، غـانـهـ يـبـدوـ ، فـيـمـاـ يـتـلـقـقـ بـالـذـاتـيـةـ ، بـالـمـالـيـةـ ، بـالـمـاـوـرـاـثـيـةـ ، بـالـمـلـعـنـيـةـ ، وـبـالـضـيـاعـ فـيـ مـسـالـةـ الـزـمـنـ ، وـبـثـ الرـعـبـ مـنـ الـوـجـودـ ، وـالـتـشـاؤـمـ حـوـلـ الـاـتـيـ ، صـارـاـمـ بـمـاـ فـيـهـ الـخـفـاـيـاـ لـيـقـوـلـ لـاـيـ كـاتـبـ اوـ شـاعـرـ اـنـكـ عـلـىـ خـطـاـ . ثـمـ لـيـكـشفـ هـذـاـ الـخـطـاـ ، وـيـتـعـقـ جـوـرـهـ فـيـ النـفـسـ ، وـيـظـهـرـ تـأـثـيرـ الـثـقـافـةـ الـبـرـجـواـزـيـةـ فـيـ تـكـوـيـنـهـ ، هـذـهـ الـثـقـافـةـ الـتـىـ يـرـىـ بـعـضـهـ بـيـنـهـاـ كـلـ اـشـيـاءـ الـوـجـودـ ، وـالـتـىـ ماـ قـزـالـ ، رـعـمـ تـحـولـ بـعـضـ الـمـقـدـيـنـ عـنـهـاـ ، هـىـ الـثـقـافـةـ الـمـسـيـطـرـةـ ، اـذـ لـاـ يـزالـ الـكـثـيـرـوـنـ يـرـوـنـ الـعـالـمـ ، وـالـأـشـيـاءـ ، وـالـعـلـاقـاتـ ، وـالـظـاهـرـاتـ وـالـبـصـرـاـتـ ، بـعـينـ الـطـبـقـةـ الـمـسـيـطـرـةـ ، «ـ اـيـ مـنـ زـاوـيـةـ تـمـسـوـرـاتـهـ وـمـقـولـاتـهـ !

ومنهاجمها وبنياتها الفكرية ، ومن خلال أيديولوجية هذه «الطبقة ذاتها» ، ان فئة المثقفين في مجتمعنا العربي هي الاكثر نظراً بعین غيّرها حتى الان ، وليس مرد ذلك الى الانقسام الطبقى وحده ، بل لأن «الامتصاص الثقافى لكل ما في ثقافة هذه ال bourgeoisie من تضليلات أيديولوجية » ، هو المحدد هنا ، هو المتحكم في تحديد زاوية الرؤية لدى الادباء المبدعين والنقاد والمخكريين والباحثين عذنا » .

واذا كان للشاعر ملء الحرية ان يبدع بالشكل الذى يريد ، وللشاعر ان يرى بطريقته الخاصة ، الا ان لـنا ، نحن ايضاً ، ان نسأل « الى اين ؟ ». حين نرى الشاعر ينكمف ببرؤاه عن مكتسباتنا الحضارية ، ومنها هذه الآفاق السيسية المضيئة التي افتحتها العلم .. ليترتد بنا الى بدائيات الحضارة . لقد ذكـر العلم في عصرنا العظيم « ظلـم » الزمن ، وحل بذلك مشكلة الزمن من أساسها ، لماذا الزمن ليس سوى ظاهرة من ظاهرات الحركة في وجودنا . فهو متحرك بحركة حياتنا ، متتطور بتطورها ، متجدد بتتجدد المادة الكونية التي يرتبط بها ، ولم يبق يومانا على نفسه وعلينا يطعن أجسادنا وظاماننا وجهـد انـكارـنا واـيدـارـنا كما كان ينهـمـهـ أـسـلـافـنا .. » .

وفي صدد الواقعية الاشتراكية ، يرى حسين مروة أن التسمية تتعلق فقط على نتاج الادباء المتنفسين الى بلدان الاشتراكية ، ومن الامانة العلمية ان تسمى « الواقعية » التي تنهج نهج للتکثير المادي العياليكتيكي في البلدان غير الاشتراكية باسم « الواقعية الجديدة » . وهو يحدد هذه الواقعية بانها « ترتكز الى مفهوم شامل عن العالم الموضوعي يربينا الطبيعية والمجتمع في حركة دائمة ذات محتوى تطوري ثوري تتصارع في داخله باستمرار قوى متصاددة على نحو خلاق ، لا ينفك يتمضـخـ بـولـادـةـ جـدـيدـةـ منـ صـلـبـ قـوـىـ قـدـيمـةـ،ـ وـهـذـهـ الـولـادـةـ هـىـ سـمـةـ التـطـورـ وـالتـحـولـ الدـائـمـينـ منـ الـادـنـىـ إـلـىـ الـأـعـلـىـ،ـ وـيـلـاحـظـ قـيـمةـ المـوقـفـ الـاـنسـانـىـ حـيـالـ العـتـيقـةـ الـمـوضـوعـيـةـ ،ـ مـنـ جـىـثـ الـانـعـامـ وـالـتـعـاطـفـ مـعـهـاـ ،ـ أـىـ الـانـفـعـالـ وـالـتـعـاطـفـ مـعـ نوعـ القـسوـىـ الـمـتـصـارـعـةـ وـهـلـ هـىـ الـتـيـ تـولـدـ وـتـنـوـ وـلـهـاـ الـمـسـتـقـبـلـ ،ـ أـمـ هـىـ القـسوـىـ الـمـوجـودـةـ فـحـالـ اـختـضـارـ وـفـنـاءـ؟ـ » .

وهـنـاـ لـاـ بـدـ مـنـ مـلاـحـظـةـ ،ـ هـىـ أـنـ حـسـنـ مـرـوـةـ ،ـ بـحـصـرـهـ الـواقـعـيـةـ الاـشـتـراكـيـةـ ،ـ فـنـتـاجـ الـادـبـاـ،ـ المـتـقـنـيـنـ الىـ بـلـدـانـ الاـشـتـراكـيـةـ ،ـ يـحدـدـهـاـ ،ـ يـضـيقـ مـنـ آـنـاقـهـاـ ،ـ وـلـاـ يـرـاعـيـ فـيـ النـهـاـيـةـ ،ـ السـمـةـ الـاـسـاسـيـةـ لـهـاـ ،ـ وـمـنـ الـمـسـتـقـبـلـةـ .ـ لـقـدـ تـحـدـثـ جـمـيعـ الـوـاقـعـيـاتـ الـتـيـ جـاتـ قـبـلـهـاـ ،ـ عـنـ الـمـعـدـيـنـ الـمـعـروـفـيـنـ لـلـوـاقـعـ ،ـ وـهـاـ الـماـضـيـ وـالـحـاضـرـ ،ـ فـجـاتـ الـوـاقـعـيـةـ الاـشـتـراكـيـةـ .ـ وـهـنـاـ مـغـانـاـ .ـ تـقـيـيفـ الـبـعـدـ الثـالـثـ وـمـوـ الـمـسـتـقـبـلـ ،ـ وـكـلـ وـاقـعـيـةـ تـاخـذـ فـيـ

حسابها المفهوم الشامل عن العالم الموضوعي ، وترى الطبيعة والمجتمع في حالة حركة ثورية ، وفي حالة صراع يتخوض عنه الجديد وبعنى القديم ، وتصبف إلى ذلك بعد الثالث وهو المستقبل ، تكون واقعية اشتراكية ، لأنها تصدر عن رؤية علمية اشتراكية في فهم الميادن الاجتماعي وحركات الناس وعلاقتهم . ولو قيئنا الواقعية الاشتراكية على أدب بلدان الاشتراكية حضرا ، دون النظر إلى نوع هذا الأدب ، وإلى توفره للبعد الثالث فيه ، تكون قد ضيقنا ضيقاً ضيقاتنا ضياف الواقعية الاشتراكية من جهة . وأخذنا المنشاً بدل النوع في الأدب الصادر داخل البلدان الاشتراكية من جهة ثانية . أن أدب سلجنستين – وهو المادي للاشتراكية – ليس واقعياً اشتراكياً برأيهم أن بهيبة تكتب داخل بلد اشتراكى ، ويمكن أن تورط أمثلة أخرى على أدب يتصدر في بلدان اشتراكية ، ولا يستعمل على مفهوم كامل للعالم الموضوعي ، ولا يتبنى البعد الثالث وهو المستقبل ، فكيف نحشر مثل هذا الأدب في خانة واحدة مع أدب الواقعية الاشتراكية ، مجرد أن كاتبه يقيم – في بلد اشتراكي ؟

يقول س. غروموف في دراسته « الواقعية الاشتراكية » (ترجمة عدنان مدانات) ، إن الواقعية الاشتراكية نشأت في الأدب قبل انتصار ثورة أكتوبر » وتعتبر دواعية « الأم » لكتسيم غوركى المؤلف الأول للواقعية الاشتراكية ، وتكمّن ثوتها في تمثيل أبطالنا الأيجابيين : نيلوفنا ، وبافل .

إن الخواص الرئيسية للواقعية الاشتراكية تتمثل في بسطه المعم بروح النضال الاجتماعي والسياسي ، الصادم في وجه المصائب والآلام .. الناكر ذاته إلى حد قبول التضحية في كل لحظة لأجل الهدف ، لأجل .. الفضية ، لأجل الوطن والشعب . وبكلمة : لأجل الحق والخير ، ومثل هذا البطل يتخطى بالشيخاعة ، والإباء بوعظمة الروح الإنسانية ، والمولف الذي يخدم مثل هذا البطل الأيجابي ، ويقيم مهاد عمله على رصد المسار . والحاضر ، وعلى استيفائه المستقبلي ، هو أديب واقعى اشتراكى ، لاته أحـ جنوح الاشتراكية كمكرة مضمرة في الآتى ، ان لم تكن متحققة في الراهن .

التي لا أميل إلى تتبني الواقعية ؛ ولا أسازك الذى زعم أنها بغير ضياف ، لكننى ، بالمقابل ، أجد في تحديدات حسين مروءة الصارمة ؛ خاصة فيما يتعلق بالواقعية الاشتراكية ، قوله شيئاً ، نحسن صنعاً إذا جعلناها نظرتنا إليها أكثر رحابة (٤٤) .

(٤٤) تجنب ، بالإشارة هنا إلى أن حسين مروءة تخطى خلال السبعينيات ، رأيه السبعين في « الواقعية الاشتراكية » ، وإند يقين هذه التسمية خالماً تعبيدهاته الصارمة ذلك ، « (التأثير) »

ملاحظة أخرى : يراغى الصديق حسين مروة، مشارع الذين يغاثهم أحياناً إلى درجة اسباغ القاب التكبير عليهم دون مبرر، كما فعل مع الدكتور لويس عوض . وتكاد الخشية من الجوز أو الاتهام تمسك به عن رصد السبب الحقيقي للانحراف الكامن وراء تضليلاتهم الفكرية المتعمدة . إن النقد الأدبي، يحمل مسؤولية خطيرة ، في الكشف ، في التعرية في التوجيه ، في الترشيد ، وكذلك في فضح ريف المقولات، والادعاءات: المعادية للفكر والأدب الحقيقيين ، وهننا لا رحمة من أعداء الحقيقة الموضعية سواء كانوا على وعن أو غير وعن عداوتهم ، وهذا ما كان يفعله نافذة كبير مثل بيلينسكي . إن لويس عوض ، مثلاً ، في دعواه بأن « الخيال مدّ أمّا الواقع » كان معادياً للواقع ، معادياً للواقعية ، معادياً للحقيقة الموضعية ، حاقداً على الدور الذي لعبه الأدب في خدمة أهداف التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي ابن عبد الناصر في الخمسينيات ، ومفرز تبشيره ، أوائل السبعينيات ، بالأنجعات الرومانسي وهو جوهر على الواقعية زاعماً أنها تغيب ويغلب نجمها ، ترافقاً مع ظروف سياسية مبينة ، هي ظروف الهجوم على القوى التقديمية العربية ، لذلك فإن حملته ، نقدياً ، على الفكر البيجيديين ، تحت غطاء الحملة على الواقعية ، كانت معركة على جبهة الفكر ، تزامنت مع الحملة على اليسار على جبهة السياسة .

... أقول ذلك لأن حسين مروة قائد فكري .. والمطلوب من قائد خطري وأدبي بهذا المستوى ، أن يكون طليعة في تشكيل الحجب عن الجديد ، الأصيل ، الحقيقى ، الجمالى ، وطليعة في التصدى للتحريم ، الخبيث ، المعادى ، الزائف ، وأن يفضحه ويعربه بغير رحمة ؛ ويسهم في عزمه تسريعاً للانتصار ، ولسب أغلالاً أبداً إذا قلت إن التيادة الفكرية الإبداعية الفنية التي ينهض لها ، تتطلب حزماً أكبر وزخماً أكثر ، وإنستاجاً أغزر ، هو وحده قادر عليه ، لأنه وحده ، على الساحة العربية ، من يستطيع ، من منطلق منهج الواقعية الجديدة - كما برهن في كتبه حتى الآن - أن يكون خير ناقد عربي ينافش أصحاب النظريات السلفية ، المتألقة ، الصوفية ، الوجودية ، العبئية ، وأن يدفع عن الفكر العربي والتراكم العربي ، وأن يداعع عن حرکية وتطورية فكرنا ، ويوضح علاقة الأديب بحركة التحرر الوطني والاجتماعي ، دوره فيها ..

ترجمنى كتابة أشياء غير الرواية . يا الله ! أنت تعرف كم انظر بآعجاب وتقدير كبيرين لمن يجيئون الكتابة في كل شيء . ولقد خفت ، طوال حياتى ، كتابة المسرحية ، وأخاف ، الان ، أن أتصدى لبحث أو دراسة أو حتى مقال قصير . من أجل ذلك مردلت غير قليل في الكلام

على صديق العمر حسينهروة . كنفت بين شعورين من واجب وعجز . أن
لكلام على ما هو ثمين ، ساطع ، رائق في الحياة ، يحتاج إلى موهبة ،
مكيف نرسم بالكلمات صور أصحاب المواهب ؟

في منتصف الخمسينات ، نزل ضيفاً على الرسام حمبي ادريس ،
شقيق القاص الكبير الدكتور يوسف ادريس . كان وقتها لاجئاً في دمشق ،
ويعمل رساماً في بعض صحفها . وقد خطر له أن يرسمني ، وأصر على
فكرة ، نادعني لاركته ، واتخذت الوضع الذي طلبه مني . مضى يوم ،
اثنان ، ثلاثة ، والرسم لم يكتمل . فساقت أنفاسي نقلت :
- يا شيخ حمبي .. هل تجد صعوبة إلى هذا للحد في رسم
وجهي ؟

ابتسم على استحياء وقال :

- ليست الصغرية في الوجه ، يا صديقي ، بل في الطيبة التي فيه :
ربما حمبي ادريس يلتمس في مجده شيئاً غير موجود . أما أنا
فأشهد - ويشهد الآخرون - أن الطيبة هي كل وجه حسين مروة ، لمكيف
نرسم بالكلمات ما يعجز الرسامون عن رسمه بالألوان ^٤ .
يا لبنان ، يا جبلاء ، منها ، أقول شكرًا ، لأنك أعطيتنا منها آخر ^٥ .
لهم ؟
ما أصغر الكلمة ؟

كلمات عن .. وعن الفرع بمدرسي الآخرين

محمد دقروب

عام ١٩٥٥

و سالثان من الناجحين المكررين محمود أمين العلّام و عبد العظيم أنيس .
في كل منها فقرة بتصديق كتابيهما المشترك « في الثقافة المصرية » .
(الكتاب يضم مجموعة دراسات و مقالات نقدية ، صدر عن دار الفكر
الجديد في بيروت / أيار ١٩٥٥ / وكتب مقدمته حسين مرود) .
يقول محمود العلّام في رسالته :

« شكرنا على اهتمامك البالغ بكتابنا ، فلقد حفظني
عبد العظيم عن جهودك الصادقة في اعداده .. والحق أن الكتاب
رائع جدا ، شكلا و عبادة و تفصيقا كما هزتني هذه المقدمة
النائذة التي قدم بها الاستاذ حسين مرود لكتابنا . انها
لا تتجدد في الحقيقة الخطوط الرئيسية للكتاب الححسب ، بل
تلوزر بينها و تقيم منها وحده ، و تتيح لها لونا و قيمة
و فعالية جديدة . ما أسعى لوقتلت لي و جساته اعتزاها به
ومقديرها له .. » (١٩٥٥/٦/٤) .

هذه الفقرة تتولى أشياء عديدة .
عن حسين مرود و دوره الريادي .

وعن مرحلة النهوض في حركة الأدباء والكتاب العرب للثلاثين .

* * *

كانت مجلة « الثقافة الوطنية » قد بدأت بالصدور (ثقافة / أسبوعية)
منذ كانون الأول ١٩٥٢ . وكذا كما ، حسين مرود وأنا نقول ، مهمة اصدارها .
« مقرها » كان غرفة صغيرة في شارع الأرز (الصيفي) أما شؤون التحرير
وشجونه لما كانت محشورة ضمن محفظة جلدية سوداء احملها وأدور بها طوال
النهار وجزءا من الليل من مكان إلى مكان ، بين المطربة وأماكن متواجد
الكتاب ، وتلك الزاوية في غرفة واسعة في بناية جريدة « الحياة » حيث كان
يعمل حسين مرود . أما صالون استقبال « الثقافة الوطنية » نكان هو
صالون بيت حسين مرود (في محطة البربر) . هناك كان ملتقانا الدائم .

مع الكتاب ، والقراء ، والضيوف الاتين من البلاد العربية ومن البلاد الأخرى .

وينبئون أنَّه لِلثُّقَافَةِ الْوَطَنِيَّةِ ، قَبْدٌ صَرِيتُ فِي وَقْتِهَا الضروري .

فسرعان ما صارت ، ومنذ أعدادها الأولى ، المنبر الأساسي لاصحاب الاتجاه التقىدمي الجديد ، في الادب والنقد والفكر ، في لبنان وسائر البلدان العربية .

في تلك الفترة اخذت تبرز أسماء ادبية وفلكيرية طبعت فترة الخمسينات خصوصاً بطبعها التقىدمي الابداعي الجديد : محمود أمين العالم عبد العظيم أنيس ، ويوسف ادريس ، وكثيرون آخرون (في مصر) - بندر شاكر السيتاب ، عبد الوهاب التبياتي ، عبد الملك نورى ، وبلال الدين الحيري ، ثم سعدى يوسف ، وغيرهم . (في العراق) - حتى ميته ، سعيد حورانيه ، شوقي بغدادي ، مواعن وحسين كينالي ، وآخرون (في سوريا) ، محمد الفيومي ، جليل الرحمن ، محى الدين مارس ، وغيرهم (في السودان) ، أبو سليمان وعيسى بسيسو (من فلسطين) ، محمد ديب ، ثم كاتب ياسين (في الجزائر) . ويشعالت أخرى متفرقة كان نتاجها التقىدمي الجديد يلتئماً من أنحاء أخرى من البلاد العربية ، وتلتقي هذه الأقلام ، أو أصداء بعراكمها ومنتجاتها الفكرية والأدبية على صفحات «الثقافية الوطنية» مع العديد من الكتاب اللبنانيين واليمقراطيين والتقدميين ، سواء الذين آزروا «الثقافة الوطنية» وحركتها (أمثال العالمة الشيخ عبد الله العلايلي ، ومارون عبود ، ومصطفى فريح ، والدكتور جورج حنا ، ورضوان الشهال) .. أم تجمع الادباء والكتاب في «أسرة الجبل الملهم» : الدكتور على سعد ، أحمد أبو سعد ، أحمد سعيد ، محمد عيتاني ، فؤاد الخشن .. ثم الكتاب التقدميون العاملون في المجلة : حسين مروة ، وكاتب هذه السطور ، وأولئك الذين قضت ظروف تلك المرحلة أن يكتبوا بتوافق منتعارة ممثلة : «ابن خلدون» و«شهيل حازم» و«فارس عرب» وآخرين ..

تلك الفترة كانت فترة رياضة وتأسيس .

والرواد الجيئون يختارون ، عادة ، شنتن أنواع المخاطفين « .. والرجعيين ، والذين يقاتلون بشراسة للتحفاظ على كل ما هو رحمٰن مهترى .. في تقديم الفكر والنقد والادب والاساليب ، والعلاقات الاجتماعية وقبَد ترافق ظهور حميد الشعر الحديث ، كتيار يساعد في تلك الفترة ، مع ظهور حميد القصيدة الواقعية ، وجديد النقد الأدبي التقىدمي المستضيء ..

بالمنهج الماركسي ، وثُلَاثَتْ بِسْعَيْدَ حركة التحرر الوطني العربية التي أخذتْ
يتضخم طابعها الاجتماعي المعادى للأدب وبالتاليية ، وللرأسمالية الكبيرة ،
والغير عنده خصوصاً بحركة التطور التقديمي المتضاد لثورة يوليو المصرية
بقيادة عبد الناصر على مدى الخمسينات وبداية السبعينات .

مع بدايات هذه الحركة المتضادة ، اذن ، ظهرت « الثقافة الوطنية »
ال أسبوعية أولاً ، ثم تحولت إلى مجلة فكرية شهرية ، تحمل الشعلة التقديمية
ل الجديد الشعر والقصة والنقد والفكـر على نطاق الوطن العربي كلـه ،
وتجزـون معركة هذا الجـديد .

وكان حسين مروءة ، أبرز كتاب هذه المـلة المكافحة ، يحملـ هو أيضاً
جـديـدـ في مـيدـانـ النـقـدـ الـادـبـيـ ، وـبـداـيـاتـ جـديـدـةـ فيـ مـيـدـانـ اـعادـةـ النـقلـ
وـالـبـحـثـ.ـ فـيـ التـرـاثـ الفـكـرـيـ العـرـبـيـ الـقـدـيمـ .

علىـ انـ رـيـادـةـ حـسـيـنـ مـرـوـءـةـ فيـ مـيـدـانـ النـقـدـ الـادـبـيـ الـجـديـدـ الـذـىـ مـارـسـهـ
الـكـتـابـ الـمـارـكـسـيـوـنـ فـتـلـكـ الـرـحـلـةـ ، لـهـ طـابـعـهـ الـمـيـزـ ، الـخـاصـ ، الـذـىـ
يـرـتـبـطـ بـحـسـيـنـ مـرـوـءـةـ الـأـنـسـانـ ؛ـ وـالـشـيـوـعـيـ ، بـقـزـزـ ماـ هـوـ مـرـتـبـتـ بـنـتـاجـهـ
الـنـقـدـيـ وـالـفـكـرـيـ الـجـديـدـ نـفـسـهـ .

هـذـاـ إـلـطـابـعـ الـمـيـزـ ، إـجـدـ لـهـ كـلـمـةـ :ـ الـفـرـحـ .
الـفـرـحـ الـطـفـولـيـ ، وـالـنـاضـجـ مـعـاـ ، بـوـلـادـةـ الـجـديـدـ .

الـجـديـدـ فـيـ التـقـاـفـةـ ؛ـ وـفـيـ الـخـيـاـةـ ؛ـ وـفـيـ النـاسـ .

الـفـرـحـ باـكـتـشـافـ كـاتـبـ ماـ ، جـديـدـ ،ـ وـالـفـرـحـ بـظـبـونـزـ كـاتـبـ ماـ تـيـحـمـلـ
جـديـداـ لـلـفـكـرـ أوـ الـابـدـاعـ ،ـ وـالـفـرـحـ بـظـبـورـ تـلـوـ عـلـ مـفـرـدـ :ـ تـصـيـدةـ ،ـ أوـ قـضـنـةـ ،ـ
أـوـ مـقـطـوـعـةـ تـوـمـيـ ؛ـ إـلـىـ اـحـتمـالـ ظـهـورـ كـاتـبـ موـهـوبـ .

عـلـىـ انـ فـرـحـ حـسـيـنـ مـرـوـءـةـ بـالـجـديـدـ لـمـ يـكـنـ مـجـرـدـ فـرـحـ خـامـ ،ـ عـسـوـىـ ؛ـ
بلـ هـوـ ،ـ اـيـضاـ وـخـصـوـصـاـ ،ـ فـرـحـ شـيـوـعـيـ .

وـهـلـ هـنـاكـ فـرـحـ شـيـوـعـيـ ؟

بـاـيـجـنـازـ ،ـ وـبـدـونـ تـقـلـيـدـ ،ـ أـقـوـلـ :ـ انـ الـفـرـحـ الشـيـوـعـيـ هـوـ الـفـرـحـ
الـذـىـ يـتـجاـزـ مـرـحلـتـهـ الـعـفـوـيـةـ الـمـؤـتـةـ .

الـفـرـحـ الـذـىـ يـشـعـرـ صـاحـبـهـ بـاـنـهـ فـيـ مـوـضـعـ السـئـولـ عـنـ نـظـورـ النـبـتـةـ
الـجـديـدـةـ ،ـ مـوـضـعـ هـذـاـ الـفـرـحـ .

* * *

ذات عام ، كتب عمر فاخورى مقطوعة جميلة جداً عن أستاذه الشيخ
مصطفى الفلاييفى . وما جاء فيها قوله :

« لنى - وكثير من أمثالى في هذا البلد - مدین للشيخ
مصطفى الفلاييفى ، بأفضل ما عندي من معرفة وليمان بلغة
القصد ، ومدين له بما قد يكون خيراً من هذا كله : مدین له
بالانطباع الأول ، بالدفعة الأولى »^(١) .

... كثيرون في هذا البلد ، وفي العديد من البلدان العربية ، للعراق
خصوصاً ، مدینون لحسين مروء بمثل هذه الدمعة الأولى ، وبما يتجاوز
بكلير الدمعة الأولى . وكثيرون من مؤله يعلنون هذا باعتزاز .

- « نحن جيل بكلامله حلنا الى الثقافة شيئاً من مجالسك » -
بسoul مهدى عامل ، متوجهاً الى حسين مروء ، ويبروى طرفاً من قصته
معه :

- « طلبت منك ، بمحياه وتردد ، أن تقرأ لي أول نص كتبت . كان
شيئاً يشبه القصة أو الاعتراف ، نقلت فيه الى اللغة حتى ولد في نفسي
مزيجاً ساذجاً من مشاعر الغضب والتمرد ، ثارت للنفس بالكتابة ، أو
هذا ظننت . قلت لي : ثابر . ثابرت على الكتابة والتمرد . تلك كانت
نصيحتك » . (راجع مقال مهدى عامل في هذا الكتاب) .

وكان هذا قبل أن يصير مهدى عامل مهدى عامل .

كثيرون تخرجوا من ذلك الصالون المكرى ، في الطابق الرابع من تلك
البنية في (محله بربور) . بعضهم صار من الكتاب المعروفيـن . بعضهم
انطلق نحو المزيد من العلم والتخصص ، وبعضهم افتتح أمامه الطريقـين
إلى الحزب ، وبرزوا في مختلف ميادين الكفاح .

ودائماً ، مع كل جديد في الأدب والفكر ، كان حسين مروء يعلن فرحته ،
ويكتب بحب حقيقـى عن كل ما يراه فيما وجميلاً وواعداً في الأدب والفن والفكر ،
وليسـت تليلـة هي الحالـات التي كان حسين مروء يعطي فيها هذا الكتاب
أو ذلك أكثر مما ينتظره صاحـب الكتاب نفسه . وتشعر وأنت تقرأ فرحة
حسـين مروء بهذا الكتاب أو ذاك ، ان الجديد الذي ينـجح به ويـتفـله
هو جـديد حسين مـروء نفسه بقدر ما هو جـديد صاحـب الكتاب .

(١) عمر فاخورى : « العقيقة اللبنانيـة » - دار المـشـورـ، بيـرـوت ١٩٤٤ .
منـحة ٨٢

قد يقال أن في هذا الخناس لجديد الآخرين نوع من الرومانسية ،
نليken . لقد ضجرنا مما يكتب هذه الأيام من نقد أشبه بالحجارة
الكافحة . تفتت عن الفرحة بالجديد يعلمنا هذا النائد أو ذلك ، فلا
تجد سوى مخلوقات أسفلت فوق أجسادها ، وعيونها ، وعقلها ، الروب
الكالح لخائب الاتهام العام . مكان الناقد صار يعتبر أن اعلان فرحة
جديد ما ، هو انتقاص من « مهابته » كناقد عصري !

على أن الفرحة بالجديد ، التي لا تنفصل عن دراسة مختلف عناصر
هذا الجديد ، هي هي النقد الحقيقي ، النقد الخالق ، النقد الذي
يشف فعلاً عن الأسرار الحقيقة ، للعمل الفني ، لتركيبه وبنائه الداخلي :
كما يكشف موقف الفنان وحركة الواقع والحياة التي تشكل ، بالضرورة
الروح التشكيلية لكل بناء فني - ويكشف هذا للنقد ، وبالتالي ، القدرات
الحقيقة للفنان ، أمام الآخرين ، وأمام الفنان نفسه على الصواب :
هذا الفرج الرومني بالجديد ، هو ما أقول عنه : الفرج الشيوعي .
الذى يتجاوز مرحلته المعنوية ، ليصير فرحاً مسؤولاً يسمى في تطوير مذا
الجديد ، موضوع الفرج .

موقف حسين مروء هذا من الكتب والاعمال الابداعية ، هو نفسه
موقفه من الأشخاص ، مساف اليه الحنان ، ولود الانسانى ، والصبر
للطويل .

* * *

سنوات عديدة مرت على ذلك اليوم بعيد من عام ١٩٤٩ .

« ففي عام ١٩٤٨ شارك حسين مروء ، أدبياً واعلامياً
و عملياً ، في احداث الوثبة الوطنية العراقية التي استقطعت
معاهدة بورتسموث البريطانية مع حكومة العيد الملكي حينذاك .
ومذ حديث الردة بعودة نوري السعيد الى الحكم (أيار ١٩٤٩) ،
أخرج حسين مروء من العراق قسراً ، فعاد الى وطنه الاول
لبنان ، بعد هجرة طويلة » (١) .

ف ذلك العام نفسه ، التقى حسين مروء .

كنت فوره - بالراسلة - قبل أن للتعييه . واسطلاع للتعارف كان :
كريم مروء . كنا في المدرسة معاً ، في بلدي صور . ثم سافر كريم الى

(١) نشرة دادوقة عن خلاف الطبيعة الأولى (١٩٧٨) من كتاب « الزلات المائية في
الفلسفة العربية الإسلامية » لحسين مروء .

وصلني الحراسان الى المكان المخصص لى حيث وجدت بطاقة تحمل اسمى على مائدة سبقنى بها أربعة من المدعين لا اعرف أحدا منهم . كانت نوادر تشكل نصف دائرة تمكنت الجالسين إليها من رؤية العازفين أمامهم .

صححت الموسيقى بالتشديد العسكري وقام المدعون وهم يتطلعون في اتجاه الفرقة ، خطلعت : كان الجنرال واقفا في مقصورة زجاجية مغلقة تعلو المكان المخصص للعازفين وقد ذهب شعره الكستنائي مخلفا رأسه كرويا ولاعما اما جسده فلم يعد نحيفا كما كان بل اكتسب سنة جعلته يبدو انصر قامة .

حرك الجنرال رأسه حركة خفيفة يمينا ويسارا . صفق له المدعون وهمتوا . ابتسם ثم جلس الى مائته منفردا خلف الزجاج نجسوا .

أخذ رجال ونساء في ملابس مزركشة يروحون ويجيئون بنشاط ملئت حاملين أحطان الطعام : الحساء والسمك واللحوم والخضروات والفتائر والحلوى والفواكه . وفي الختام دار الرجال يصجرون القهوة العربية من اباريق ذهبية وطلافت النساء بالعلب الخشبية المطعمية بالصحف يقدمون السجائر .

وصاحب كل ذلك عزف مقطوعات موسيقية جماعية ومفردة واختلطت الألغام بطرقات الملاعق الذهبية على صحون الصيني وارتشاف النساء ومضغ اللحوم وقضم الفواكه وصوت شخص يتجمسا آخر يتمخط .

كانت الوجوه تلمع بحبات للعرق والاسنان تطلع والانفاس تزداد ثقلاء والعيون مثبتة على الجنرال والجالمن في تفاصي الزجاجي يأكل وحده .

« ترى لماذا يريدينى الجنرال ؟ »

ذابت الحراسين الى مر ضيق تضيئه مصابيح لمونية زادها شحوبا انتقالى المفاجىء من القاعة الفسيحة ذات الثريات . ثم بداننا نصعد على درج حلزوني ضيق لبرج من الابراج . ولضيق السلم تتعذر استمرار الحراسين الى يميني ويساري فتقعى أحدهما وتبعن الآخر . صعدنا بلا شوف حتى شعرت بالعرق يتصعب من رقبتي وجبيئي ويختخل منابت شعري وبأنفاسي تشقق وبالالم يتمكن من ركبائى . دوقيت لحظة لارتفاع فتقوقنا . اتكلأت على حائنة طاقة مفتوحة في الجدار الحجرى . خطلعت عبر فضبان الحديد غرائب

.. ولكنـه لا جـدـاـنـهـ مـنـ بـخـضـنـ اـشـارـاتـ بـرـقـيـةـ ،ـ الـىـ جـوـنـبـ مـنـ هـذـهـ .ـ الـحـكـاـيـةـ تـتـدـرـجـ فـيـ مـوـضـوـعـنـ الـلـيـوـمـ :ـ نـفـرـ حـسـيـنـ مـرـوـةـ بـمـاـ يـرـاهـ مـنـ اـمـكـانـيـاتـ .ـ مـاـ فـقـدـرـاتـ الـآـخـرـينـ ،ـ وـمـنـهـمـ سـمـكـرـىـ يـقـرـأـ الـكـتـبـ اـسـمـهـ :ـ مـحمدـ دـكـرـوبـ ..

ـ سـلـختـ عـنـ الـمـرـسـةـ قـبـلـ الـوـصـولـ إـلـىـ مـرـعـلـةـ الـشـهـادـةـ الـأـوـلـىـ (ـالـسـرـتـيـفـيـكـاـ)ـ .ـ وـبـدـائـتـ أـمـسـىـ نـحـوـ لـفـمـ الـعـيشـ ،ـ وـاتـابـعـ قـرـاءـةـ الـجـرـانـدـ وـالـمـجـلـاتـ وـالـكـتـبـ ،ـ .ـ وـوـجـدـتـ نـفـسـ أـحـاـوـلـ ،ـ بـيـنـ حـيـنـ وـحـيـنـ ،ـ أـنـ اـكـتـبـ شـيـئـاـ ،ـ بـعـضـ الـقـصـصـ .ـ وـالـمـقـطـوـعـاتـ عـنـ حـيـاةـ بـلـدـتـ صـورـ وـأـبـنـائـهـ ..

ـ جـاءـ حـسـيـنـ مـرـوـةـ :ـ لـاـ أـدـرـىـ مـاـذـاـ فـكـرـ وـمـاـذـاـ رـأـيـ بـيـ ،ـ وـلـكـنـهـ مـدـيـدـهـ .ـ وـقـتـلـيـهـ إـلـىـ .ـ أـرـسـلـ لـيـ يـقـرـجـ أـنـ أـعـمـلـ فـيـ بـيـرـوـتـ ،ـ وـقـدـ أـوجـدـ لـيـ عـمـلاـ .ـ عـنـدـ تـاجـرـ وـرـقـ .ـ سـافـرـتـ .ـ اـشـتـفـلـتـ .ـ عـرـفـنـيـ حـسـيـنـ مـرـوـةـ عـلـىـ عـدـيدـ .ـ مـنـ الـكـتـبـ :ـ أـعـدـنـيـ بـالـعـدـيدـ مـنـ الـكـتـبـ الـتـيـ رـبـنـاـ كـانـ يـخـتـارـهـ بـعـانـيـةـ .ـ .ـ وـفـيـ مـجـلـسـهـ ،ـ فـيـ بـيـتـهـ الـذـيـ كـانـ فـيـ (ـمـحـطةـ حـمـدـ)ـ ،ـ أـخـذـتـ أـسـمـعـ أـحـادـيـثـ .ـ عـنـ الـحـزـبـ ..

.. فـعـرـفـتـ ،ـ عـنـ طـرـيقـهـ ،ـ طـرـيقـىـ إـلـىـ الـحـزـبـ ..

ـ وـعـنـ طـرـيقـهـ ،ـ نـشـرـتـ لـىـ مـجـلـةـ (ـالـطـرـيقـ)ـ أـوـلـ ظـصـةـ اـنـشـرـهـاـ فـيـ .ـ الصـحـافـةـ الـتـيـ يـصـدـرـهـ الشـيـعـيـوـنـ .ـ كـانـتـ بـعـنـوانـ (ـخـمـسـةـ قـرـشـونـ)ـ ،ـ .ـ وـصـدـرـتـ فـيـ عـدـدـ آـبـ ١٩٥٢ـ ..

ـ هـذـاـ الـحـدـثـ ،ـ كـانـ مـنـ أـجـمـلـ أـخـدـاتـ حـيـاتـيـ ..

ـ وـالـحـدـثـ الـأـكـثـرـ جـمـالـاـ ،ـ وـأـهـمـيـةـ ،ـ جـاءـ أـيـضاـ عـنـ طـرـيقـ حـسـيـنـ مـرـوـةـ :ـ دـعـانـىـ إـلـىـ لـقـاءـ هـامـ ،ـ ذـهـبـتـ .ـ كـانـ هـنـاكـ فـرـجـ اللـهـ الـحـلـوـ ،ـ وـنـقـوـلاـ شـاوـيـ ،ـ وـآخـرـوـنـ .ـ جـرـىـ الـحـدـثـ حـولـ اـصـدـارـ مـجـلـةـ اـسـبـوـعـيـةـ ثـثـانـيـةـ /ـ سـيـاسـيـةـ ،ـ وـلـمـ تـكـنـ لـىـ أـيـةـ تـجـربـةـ عـلـىـ ،ـ وـلـاـ نـظـرـيـةـ ،ـ بـخـتـرـيـنـ الـضـصـفـ .ـ قـبـيلـ لـىـ :ـ اـنـتـمـ سـتـتـولـيـاـنـ اـصـدـارـ هـذـهـ الـمـجـلـةـ /ـ (ـالـقـائـةـ الـوطـنـيـةـ)ـ /ـ اـنـتـكـ عـمـلـكـ ،ـ وـتـنـرـغـتـ لـهـ ،ـ وـتـعـاـونـ مـعـ أـبـيـ نـزارـ فـيـ كـلـ شـيـءـ "ـ خـتـ .ـ وـلـكـنـىـ تـبـلـتـ .ـ وـبـدـائـاـنـ السـيـرـةـ الـجمـيلـةـ .ـ تـعـاـونـاـ فـيـ كـلـ شـيـءـ .ـ وـعاـونـىـ أـبـيـ نـزارـ فـيـ تـصـحـيـحـ لـغـةـ كـلـ مـاـ كـتـبـهـ فـيـ تـلـكـ الـفـتـرـةـ .ـ وـاـهـمـ مـاـ يـمـيـزـ تـصـحـيـحـاتـهـ تـلـكـ .ـ اـفـهـ كـانـ يـصـحـحـ اـخـطـاءـ الـلـغـةـ ،ـ وـيـنـتـرـكـ اـسـلـوبـيـ (ـالـحـمـامـيـ السـازـاجـ)ـ كـمـاـ هـوـ ..ـ وـيـسـجـلـ بـعـضـ بـلـلـاحـظـاتـ آخـرـهـ بـالـاعـتـبـارـ لـهـ (ـ قـبـيـضـ)ـ الـمـقـالـةـ اوـ الـقـضـةـ ..ـ فـكـانـ هـذـاـ يـعـطـيـنـيـ ثـقـةـ لـاـ حدـ لـهـاـ بـنـلـسـىـ ..

ـ لـاـ تـزالـ عـنـدـيـ أـورـاقـ هـرـيـزةـ مـنـ أـورـاقـ تـلـكـ الـرـحـلـةـ ،ـ تـخـلـنـ تـصـحـيـحـاتـ .ـ أـبـيـ نـزارـ وـمـلـاحـظـاتـهـ ..ـ كـانـتـ هـذـهـ زـلـبـيـ فـيـمـاـ أـتـيـ مـنـ كـتـابـاتـ وـعـمـلـاتـ ..

(ولكن عقدة انى لم اتملك اللغة في المدرسة ولم أتابع الدراسة الى مرحلة ضرورية عليا ، ظلت متحكمني ، وتجطبني أحشى الآلام ، أمام الناس ، وأشعر بنقص داخلي في مجالس حفلة الشهادات العليا ، من ثم سلخت عن المدرسة وحتى يومها هذا ، ورغم كل جهود ابى نزار نسان هذه العقدة ستظل تلاحقني حتى نهاية العمر . وفي ظنى انى - في هذه النقطة بالذات - قد خيبت آمال ابى نزار) .

* * *

صدرت « الثقافة الوطنية » رشيقية انيقة وجميلة الابراج ، في حدود الفن المحنى لتلك الايام . وصارت المثير الاساسى لجديد الادب ، والشعراء والمفكرين التقديميين العرب . خاضت الكثير من المعارك ضد السلطات الرجعية والاستعمار ، وضد « ثقافة » الرجعيين ، وضد القديم الذى اهتما ، وضد المتعنتين بهذا القديم . ودخلت المعركة الى ميدان القديم نفسه ، حيث كشفت أن معركة القديم والجديد - التي نفهمها معركة قوى التقدم والرجعية - ليست جديدة . فقد سبق لرجال الثقافة العرب الكبار (تقديميين زمانهم ، البانين في زماننا) ان كانوا يخوضون المعركة نفسها . فليس القديم كله هو الرجعى ، بل كل رجعى ، حتى ولو ظهر في عصرنا هذا ، هو التقديم المتهوى سلنا . وكل تقدمي مبدع هو الباقى حتى ولو ظهر في اول التاريخ .

وكان حسين مروء ، في « الثقافة الوطنية » و « الطريق » ، وغيرهما عنصراً أساسياً سواه في معركة القديم والجديد على صعيد النقد الأدبي ، المعاصر ، أم على صعيد « البحث والنظر العلمي في التراث الثقافي العربي القديم » .

ودائماً كانت الفرحة بالتجديد التقديمي هي الروح الأساس في كتاباته وسلوكيه ، حتى لييندر أن تجد اثراً تقديمياً جميلاً صدر على مدى السقوفات الثلاثين الأخيرة ، ولم يقل حسين مروء كلمة نفيه .

* * *

ويوم ثارت في مصر معركة القديم والجديد ، في الأدب والنقد ، بين القlaw ومهه حسين وصحابه من ناحية ومنهود العالم وعبد العليم لفيس وصحابه من ناحية مقابلة ، كانت بالفعل - ورغم ما تخللها من شوائب صار للتخلص منها فيما بعد - كانت معركة الكتاب والشعراء التقديميين الجدد في مختلف أنحاء العالم العربي . وكانت « الثقافة الوطنية » المثير الأساسي ، المؤهد ، لقوى المعركة .

ف تلك السنوات ، عاش عبد العظيم أنيس متره في لبنان . كان مؤنساً وحبيباً . وغيره القول والفعل ، متنوع الثقافة ، وعالماً كبيراً ، (في الأحصاء الرياضي) وواحداً من أبرز فرسان الخمسينات في النقد الأدبي . هنا ، في لبنان ، كتب سلسلة مقالاته « في الرواية المصرية الحديثة » ، نشرها بالتناوب في « الثقافة الوطنية » . وأثارت هذه المقالات أصداء واسعة من النقاش والحوار ، وتحولت صفحات « الثقافة الوطنية » إلى ساحة سجال ليس فقط بين أصحاب التقديم وأصحاب الجديد ، بل بين الكتاب التقديميين أنفسهم حول : الحوار في الرواية العربية ، مفهوم البطل في الرواية ، معنى أن تكون الرواية تقدمية تحمل روؤية طليعية وتقدم جديداً في الفن الروائي العربي .

كانت « الأرض » قد صدرت لعبد الرحمن الشرقاوى في مصر .. و « المصابيح الورق » صدرت لحنا مينه ، وقصص سعيد حوراني الطويلة في سوريا . وأقاموا بعبد الملك نوري في العراق . و « أرخص ليالي » ليوسف ادريس في مصر ، وكانت هذه الأعمال وغيرها موضوع حوار وتحليل وموضوع فرح على صعيد عامة القراء . هذه الاعمال وغيرها ، وجدت أصداء لها في مقالات عبد العظيم أنيس ، كما وجدت الاعمال الشعرية الجديدة أصداء لها في مقالات محمود أمين العالم .

وفي صالون أبي نزار ، ولدت فكرة جمع مقالات العالم وأنيس في كتاب . تمهدت أنا في إعداد المقالات للنشر ، ترتيبها وطبعها وطباعتها ، وحتى رسم الغلاف . وتمهدت دار الفكر الجديد التقدمية (بشخص أحمد غربية) بنشر الكتاب وتوزيعه ، وتمهد أبو نزار بكتابه الـ « المقدمة » . فكان بالفعل كتابينا جميماً ، في تلك الفترة :

« .. واوضح ما يدل على هذا - يقول حسين مروء في المقدمة - ان وأضعى هذه الدراسات ، إنما وضعاها وعما يخوضان معركة فكرية هي معركتنا نحن الان هنا في لبنان ، ومعركة أخواننا الكتاب العرب الواقعين هناك في سوريا والأردن والعراق والسودان والجزيره ، وحتى بلدان المغرب العربي في الجانب البعيد ، نعني بها هذه المعركة الازلية الأبدية بين كل جديد وكل قديم ، بين ثقافة تتعكس فيها آراء وأفكار ومفاهيم وقيم تستند مصالح فئة من المجتمع يؤكد بتلاشى دورها التاريخي وينقضى ، وبين ثقافة تتعكس فيها آراء وأفكار ومفاهيم وقيم ت يريد ان تدخل على مكان فئة تندى في

المجتمع جديداً ، لكنه تنتقل هذا المجتمع الى دور تاريخي جديد ،
ثم لكي نرفع هذا المجتمع الى منزلة ارحب ونضوء اوسناع
وأنسانية اسمى وحياة اجمل وأفضل » ٠

هذا هو حسين مروءة :

يعلن دائماً فرحته بالجديد ٠ سواء كان قصيدة او قصة او كتاب ٠
وسواء كان الجديد الذي يراه كامناً في سكري مفقر يقرأ الكتب ،
أم في مفكرين باززين كل منهما عالم في ميدان اختصاصه ، ويمارس في
الوقت نفسه ، معركة الأدب الجديد .

وقد توصل الفرحة ابا نزار الى نوع من الحكم الجازم ، دون تحفظ
لصلاحية الجديد واحتفاء به ، كان يدعو ، مثلاً ، في مقدمة كتاب في
« الثقافة المصرية » نفسه : « أن نجعل من هذه الدراسات مرتكزاً لكل
محاولة نقدية ثقافية في أي بلد من بلداننا العربية ، وأن نتخذ من هذه
الدراسات كذلك منهجاً علمياً للكشف عن كنوز ثقافتنا الوطنية .
ولاحياء تراثنا المكوى العربي القديم ، حين يتيسر لنا أن نتوفر على
احياء هذا التراث وفق أسس نقدية موضوعية حية من هذا القبيل » ٠

هنا لا تستوقفني مبالغة الحكم القاطع ، بقدر ما تبهجي - في هذه
الفقرة بالذات - فرحة حسين مروءة بالجديد ، واعطائه الكثير من ذاته ٠

وعلى أساس من هذا الفرح نفسه ، الصادر عن عافية نفسية
وعقلية ، الفرج الشيوعي المسؤول أعني ، تابع حسين مروءة مسيرته
ال الفكرية الكفاحية الخصبة : يعمل على كشف الجديد في الآخرين ودفعه
إلى ميدان الفعل والتقدم . ويعمل في الوقت نفسه على بناء جديده هو ،
في المقالة ، في النقد الادبي ، وفي البحث والنظر العلمي في التراث العربي
القديم .

ويستوقفني في هذه الفقرة بالذات - وقد كتبت قبل ٢٥ عاماً -
ذلك الهاجس الذي كان يسكن أفكار أبي نزار وطموحه : أن نتخذ من
هذا المنهج العلمي ، الماركسي ، أداة « للكشف عن كنوز ثقافتنا الوطنية
ـ ولتحياء تراثنا المكوى العربي القديم ، حين يتيسر لنا أن نتوفر على
احياء هذا التراث وفق أسس نقدية موضوعية حية » ، ٠٠

ومن طبيعة تكوين أبي نزار ، أن يجعل دائماً لتحويل الهاجس
والاحلام والطموحات الى اعمال ملموسة . وهكذا تحول الهاجس القديم

إلى عمل موسوعي تأسيسي : « النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية » .

ومن المدهش أن هذا الحلم ، كان يسكن كذلك أنكار محمود أمين العالم ، وقد عبر عن حلمه هذا عندما نشر في « كتابات مصرية » ، وفي « الثقافة الوطنية » عام ١٩٥٦ بحثاً بعنوان « الفكر العلمي عند العرب » ، « ملأ » أن يجعل من البحث نقطة بداية لدراسة تفصيلية شاملة ، .

فهل هي مصادفة : أن يعبر الحلم عن نفسه ، عند العالم وعند حسين مروة في وقت واحد ؟ .. وهل هي مصادفة : أن يعبر حسين مروة عن حلمه في مقدمته لكتاب محمود العالم نفسه .. وأن يعبر محمود العالم عن حلمه في « الثقافة الوطنية » ؟ وهل هي مجرد مجاملة أن يقول محمود العالم ، بعد ٢٥ عاماً ، أنه حق حلمه هو عندما ظهرت موسوعة حسين مروة ، وأن يكتب باعتزاز :

« .. عندما رحت أغوص في مسفحات كتاب حسين مروة
التي تقرب من الألفين ، أدركت - في غير مقللة - أن الحلم
الذى طالما حاولت به قصد تحقق على مستوى من العمق
والجديبة والشمول ما اعتقادت أننى كنت قادرًا على بلوغه » .
ثم يدعو هذا العمل - بحق - « ملحمة فكرية تاريخية في حياة
الفكر العربي الحديث » (١) .

العقلون النيرة تتلاقى .

والعقلون النيرة هي التي تحول الاحلام الى اعمال ووقائع لتلد أحلاماً
جديدة .

والعقلون النيرة هي التي ترى في كل انجاز جيد ، فني أو علمي ،
إنجازاً لها هي ، كما لو أنها هي التي حققت ، فتهتف بفرحتها بهذا
الإنجاز . وهي ترى هذا لأن الحقيقة هي هذه بالضبط : فالإنجاز الجديد
هو إنجاز لشعوبنا ، وللمستقبل .

فهل أن القناعة الراسخة بهذه الحقيقة هي في أساس السلوك
المعلمى لأبي نزار طوال حياته ، أم أن سلوك أبي نزار هو الذي أوصله
إلى هذه القناعة الراسخة ؟

اعتقد أن القناعة وحدها - وإن كانت علمية - لا تكفي .

* * *

(١) راجع دراسة محمود أمين العالم في مطلع هذا الكتاب .

نكيف نظر عبد العظيم أنيس ، عام ١٩٥٥ ، إلى ثرحة حسين مروة بكتاب « في الثقافة المصرية » والتي عبر عنها في مقدمته لكتاب ؟

يقول عبد العظيم في رسالة خاصة :

« .. قرأت في أمعان وتدبر مقدمة الاستاذ الصديق والاخ الكريم حسين مروة . وانا ارجوك ان تنقل له شكرى الشديد نيابة عن نفسى وعن محمود على هذه المقدمة الطيبة التي لا شك انه كتبها بعد عمق تفكير وامean ، وان كان الثناء الذى اسبقه علينا اكبر من التحقيقة وما كنت اقول . وكما قلت لك في بيروت : ان تأكيدنا لوحدة الكفاح بين الشعوب العربية يجب ان يأخذ صورا مادية ملموسة في المجالات الكفاحية المختلفة ، ومنها دون ريب المجال الثقافي بالذات » . ١٩٥٥/٦/٢٢

هذه المرة ، أيضا ، من رسالة عبد العظيم - شأن رسالة رفيقه محمود العالم - تقول أشياء عديدة عن حسين مروة ودوره الريادي في النقد الأدبي المستضيء بالنهج العلمي ، وعن مرحلة التهوض في حركة الانباء والكتاب العرب التقديرين .

وما كانت مقالتي هذه سوى إشارات تمهيدية ، أو إطار لرواية مسيرة انسان ، أعيد القول بانتهى ، (أنا - وكثير من أمثالى في هذا البلد ، وفي أنحاء من الوطن العربي الشاسع - مدین له بأكثر من الانطباع الاول وأكثر من الدفعة الأولى) .

تصحيح

نشر في العدد السادس مقال بعنوان « حول قضية المصطلح النقدي » بقلم الباحث يحيياوى رشيد ورد في هامش التعريف به انه جزائرى والصحيح انه مغربى .. لذا لزم التصحیح .

سيطّل منارة مضيئه... أبداً

محمود أمين العالم

كنت في موسكو عندما صدرني التبا ..

كنت عائداً من زيارة لبعض البلاد السوفيتية الشرقية متبرراً بما شاهدته من مظاهر العناية الفائقة والاحتفاء الجليل بالتراث الإسلامي في هذه البلاد الاشتراكية . وكانت أفكراً في تراثنا العربي الإسلامي وأقول لنفسي : لعله لن يتاح لهذا التراث هذه العناية والاحتفاء والتطوير والتوعية والنشر على المستوى الجماهيري العام لا بجهود الاشتراكيين الحقيقيين العرب ، وربما في ظل سلطة اشتراكية عربية حقيقة . وكانت أفكراً في الجهد الكبير للجهاد الذي يبذله نفر من الماركسيين العرب لدراسة هذا التراث وتطويره . ولاحت لي من بينهم ابتسامة حسين مروة ، سامقة نبيلة سخية طيبة متواضعة ..

وما كنت أعلم أنه في ذات اللحظة كانت قوى العداء للتراث العربي الإسلامي ، قوى العداء للعقلانية والديمقراطية والإبداع ، قوى العداء لقيم الاستقلال والتقدم ، قوى التواطؤ والتحالف مع العدو الصهيوني الامريكي ، قد تسربت الى بيت حسين مروة ، واغتالته وهو يجلس بين أسرته وكتبه .

وعندما علمت بالنبا تفجرت عيوني بالحزن العبر كل ، بكته كما لم
أبك أبي وأمي وأشقاء وأعز أصدقاء ورفاقى . كان حسين مروء معنى في
حياته لكل هؤلاء ، وكان تجسيدا حيا واعيا مناضلا لأشرف ولأنبل ما في
الحياة من مبادئ وقيم .

لم يكن اغتياله خطأ أو مصادفة سيئة بل كان عمداً وترصدها وتريصها ..

لم يكن حسين مروءاً يحمل بارودة ، لم يكن قناعاً يختفي وراء ساتر ليتصيد غنائم حية من خصومه وفنه .. ولكن كان في يده ما هو أخطر وأفضل من ذلك :

كان في يده مصباح ، قلم جسور .. يفيه للناس طريق الحق والعدل
والحرية والمحبة والسلام ..

وكانت حياته أخطر وأفضل من ذلك كذلك :

كانت تجسيداً للعقل العربي المدقنير ، للعقل العامي ، للعقل الديمقرطي ،
العقل المبدع ، للعقل الملتزم ذكرها وسأوكا بعوم وطنه اللبناني وحبّته
العامة ، وحزبه الشيعي وقضائياً أهله العربية وأشواق الانسانية جماء ..

ويقال .. ما نفع أن يغتالوا حياته وقد أصبح شيخاً كبيراً قارب
السبت والسبعين من عمره ولم يبق له ، لنا ، من أيامه الكثير ؟ ..

لا .. بل أرادوا اغتيال أيامه الباقية مهما كانت . محدودة ، فكل يوم
في حياة حسين مروء ، بل كل ساعة من ساعات عمره قيمة نابضة بالفعل
إضافةً للمبدع اللهم . ولكنهم ما أرادوا اغتيال أيامه الباقية فحسب وإنما
أرادوا كذلك اغتيال كل ما تعنيه حياته ، كل ما يعنيه فكره ويعنيه نضاله
ويعنيه هو كرمز للوعي الإنساني المترافق المقاتل . أرادوا قتل القيمة ،
أرادوا قتل المعنى .. أرادوا قتل الأمل والمستقبل ، بقتل القيمة والمعنى
لذين يصنعان الأمل والمستقبل ..

على أن اغتيال حسين مروء ، وإن ارتبط بخصوصية الوضع اللبناني
الا أنه موثق الصلة كذلك بالوضع العربي العام . فليست بخصوصية
الوضع اللبناني إلا ثمرة من ثراثه المرة ..

ان اغتيال حسين مروء ليس ظاهرة لبنانية فحسب ، بل هو جزء
وخصيلة لظاهرة عربية عامة ..

فالعقل العربي الديمقرطي الثوري المناضل الذي يتمثل بامتياز في
حسين مروء ، يغتال كل يوم في كل ركن من أركان عالمنا العربي الكبير ..

ان الذين اغتالوا حسين مروء ويغتالونه وسيغتالونه كل يوم ، هم
الذين سعوا ويسعون إلى تفكيك وتفكيك وحدة لبنان ووحدة الأمة العربية ،
والقضاء علىعروبة لبنان وعروبة الأمة العربية ..

هم الذين يغتالون الأطفال والنساء والشيوخ والشباب والرجال في
المخيمات الفلسطينية وفي السجون الإسرائيلي ، وهم الذين تزعجهم وحدة
منظمة التحرير الفلسطينية واستقلال قارات تحياتها التاريخية الشرعية .
هم الذين - هؤلاء اختلفت أسماؤهم واختلفت بلادهم العربية - هم الذين
يتصالحون بشكل أو باخر مع العدو الإسرائيلي ، ويتحالفون بشكل أو

بآخر مع العدو الامريكي ، ويسلمون اقتصادنا الوطني العربي للشركات الاحتكارية الامبرالية ، ويملؤن في السجون والمعتقلات بخيرة القوى الوطنية والديموقراطية والتقدمية ويقيدون الحريات ويزيفون ويشوهون الثقافة القومية ، ويملؤن وسائل الاعلام العربية بكل مرتخص ومبتذر ومسطح ، ويكسون رؤوس الناس ووجداناتهم بالاكاذيب والاضاليل والانبهار الاستهلاكي .

على أن الذين اغتالوا حسين مروة ، ويقتلونه كل يوم ، ليسوا حكومات فحسب ، وليسوا عصابات طائفية فحسب ، بل ويما للضيحة مثقفون عرب كذلك . ما أكثرهم في أيامنا هذه يتحامون بكراسي السلاطين والامراء ، يبررون سياساتهم ويستخدمون وسائلهم الاعلامية لترسم وتتصمم أصواتهم الهزيلة في خبيعة الجمahir ، تارة باسم الدين ، وتارة باسم القومية ، وتارة باسم الشخصية والوسطية والاتزان .

بعضهم مثقفون ارتفعت قاماتهم ذات يوم بالانتساب للذك العلمي والنضال الثوري ، والالتزام بمصالح الجماهير ، وإذا بهم اليوم يذيرون ظهورهم للتراث الذي صنعهم وللجمahir التي احتضنتهم ، ليصبحوا ابواناً أيديولوجية للفكر الظلامي والسلفية الجامدة ولتكريس التخلف والتبعية .

وبعضهم الآخر مثقفون من الصفة ، يتحلقون حول الامراء ، ويعقون ندواتهم في قصورهم ويتشدقون بمفردات آخر ما بلغته الطومن الانسانية الحديثة ، داعين في غير حياء - إلى تجسير الفجوة وازالة الجفوة وتحقيق الوحدة الانيقية الرشيقة العطرة بين الصفة من الحكم والصفة من المثقفين ، حيث لا محل في نظرهم لخلاف ولا ضرورة في نظرهم لصراع .

وبعضهم الآخر ، لا يتزد في أن يبيع ثمرة ما وهبته لهم شعوبهم من قدرات وكفاءات وعلم ، إلى أعدى أعداء شعوبهم ، لوكالات ومكاتب خبرة وعراكة ثقافية أجنبية مشبوهة متهمة ..

وبعضهم باسم مفاهيم شكالية مسطحة لموضوعية العلم وفنية الادب وحيادية الثقافة يشطرون ويتغربون بعيداً فوق «mom واقعهم وجراح شعوبهم ..

كل هؤلاء بمستوى أو باخر ، ساهموا ويساهمون - ايجاباً أو سلباً - في اغتيال العقل العربي الديموقراطي الثوري المناضل ، في زريمة اراده التحرر والتقدم والابداع ، في اغتيال حسين مروة ، وفي مواصلة اغتيال ما يمثله ويعنيه حسين مروة .

ولكن ميهات لهم ذلك مما فطروا . . . نسيط حسين مروة بشهادته حياته ومنجزاته ، وباستشهاده البطوليحقيقة حية ناصعة ، ونمونجاً هذا ملهمها للمنكر العربي والناضل العربي الذي لم يستخدمه أمير أو سلطان لضرب شعبه أو تضليله ، بل كان أميره وسلطانه .

وسيغفل حسين مروة منارة مضيئه هادية أبداً في أكثر من معركة من معارك الادب والنقد والتراجم والفلسفه والنضال السياسي والسلوكي الاجتماعي والأخلاقي .

منذ أكثر من ثلاثين عاماً عان لقاونا الاول في بلودان بسوريا . كنا نؤسس معاً مع آخرين من بينهم ضيفنا العزيز وصديق العمر ورفيق حسين مروة الأمين محمد ابراهيم دكروب - كنا نؤسس أول اتحاد عام للكتاب العرب ، وما أكثر ما أنس حسين مروة قبل ذلك وبعد ذلك من مؤسسات ثقافية ، من مجلات وجمعيات واتحادات . ولم يكن مصادفة عابرة أن يعقد في عام ١٩٥٦ هذا المؤتمر الادبي الاول قبل أسبوعين من العدوان الثلاثي ، ولا أن ينتهي باصدار بيان يعيّن جماهير المثقفين العرب لمواجهة هذا العدوان الصهيوني الامبريالي المتظاهر . ومكداً منذ تلك اللحظة التاريخية تعمد بالنار والنضال ، وتتأكد على مستوى جماهير قومي شامل في غمرة معركة قومية شاملة ، ارتباط الادب بالواقع الوطني والاجتماعي ابداعاً ونقداً .

وفي مثل هذا الشهر منذ أكثر من ثلاثين عاماً في مايو ١٩٥٥ على وجه التحديد كتب حسين مروة مقدمة لكتاب مشترك كتباه معاً عبد العظيم أنيس وأنا عن الثقافة المصرية . . . ما كتبه حسين مروة لم يكن مجرد مقدمة لكتاب . بل كان افقاً فكريأ رحباً عميقاً . اكتشف حسين مروة في حدود دراستنا المصرية المحدودة بمصريتها القانون العربي العام برغم هذه المصرية وبسببها .

واكتشف حسين مروة بين عناصر المقالات المختلفة المتنوعة التي يضمها الكتاب ، القانوني الموضوعي العام الذي يحدد العلاقة العضوية الحميمة بين بنية الابداع الادبي والبنية الاجتماعية دون اغفال للقيمة الابداعية ذاتها .

ولقد كانت كتابات حسين مروة في النقد الادبي قبل كتابتنا هذا بدأية رائدة للخروج بالنقد الادبي من اطار النظرة التنووية الانطباعية الوظيفية اللغوية الخارجية للادب . ومكذا كان لقاونا الاول في مدرسة ادبية واحدة هي المدرسة الواقعية او الجدلية ومكذا كانت المسيرة الطويلة العميقه المتصلة لهذه المدرسة التي يحمل حسين مروة بغير شك شرف

المبادرة والريادة فيها ، والتى ما تزال متصلة متطورة رغم كل المحاولات الراهنة بوجه خاص الذى تسعى لطمس الدلالة الاجتماعية للأدب والنقد ، باسم الأدبية الخالصة أو الوضعيه والعلمية أو البنوية .

وكما ارتبطت هذه الدراسة منذ بدايتها باحتدام المعركة الوطنية في الأربعينيات والخمسينيات مستظل هذه الدراسة وستزداد عمقاً وكفاءة نظرية وتطبيقية بالتجذر الاجتماعي المتصل لمعاركنا الوطنية والقومية في الثمانينات وما يتلتها من سنوات .

وسيكون استشهاد حبيب مروء وما تركه من انجاز في النقد الأدبي نظرياً وتطبيقياً ملهمًا للمزيد من الكشف والابداع .

وف الخمسينيات ، كان لدى حلم عزيز ، أن أتفرغ لدراسة التراث العربي الإسلامي من زاوية اجتماعية طبقية متسلحاً بالنهج الماركسي . وكانت لي محاضرة القيتها في دار العلوم عام ١٩٥٦ حول الفكر العلمي للعرب ، تمنيت بعدها أن أواصل تعميق أطروحيتها . ولكن سرعان ما جرفتني دوامت أحداث الخمسينيات والستينيات والسبعينيات بعيداً عن تحقيق هذا الحلم .

وفي ذات هذا الوقت المبكر من الخمسينيات كان حسين مروء يراوده الحلم نفسه . ومكذا التقينا مرة أخرى في حلم آخر هو التراث ، الا أن حسين مروء انفرد وحده هذه المرة بمعالجة هذا الحلم الجليل . وكان فيه الفارس الذي ارتفع به إلى مستوى من الاستيعاب والدقة والعمق والابداع ما كنت أطمح أبداً بلوغه . إن كتاب « النزعات المادية في الفلسفة العربية الإسلامية » هو بحق ملحمة من ملامح فكرنا العربي المعاصر . إنها ليست دراسة لتراثنا القديم ، وإنما أعمال فكري مبدع يعمق فكرنا الحاضر ، أكثر مما يضيء فكرنا الماضي .

وكما ارتبط النقد الأدبي في مبادرة حسين مروء بالسياق الوهني والنضالي ، ارتبط كذلك عمله في التراث بالسياق نفسه . يقول حبيب مروء في نهاية الجزء الثاني من هذا الكتاب « وهذا الكتاب « وهذا الكتاب بالذات ، كتب كاسهـام جـدى في توطـيد المفاهـيم التـراثـية التي تـغـنى الروـح الكـفـاحـية لـلـشـعبـنا في سـبـيل التـحرـير الوـطـنـي وـالـاجـتمـاعـي في مـخـالـفـة اـقـطـارـه وـمـسـلاحـه فـكـرى بـوجـهـ الـعـملـيـة الـأـرجـعـيـة الـتـي تـجـرـى هـذـ زـمـنـ بـعـيدـ في حـذـلـ التـرـاثـ الفـكـرىـ الـعـربـى لـطـمـسـ الـوـجـهـ التـارـيـخـىـ لـهـذـ التـرـاثـ قـمـدـ الـعـولـ لـاستـمراـرـةـ الـاـرـتـباطـ بـيـنـ حـاضـرـنـ وـفـكـرـنـاـ وـمـاـضـيـنـ الـبـعـيدـ » .

لم يكن عمله في التراث دراسة اكاديمية متعلقة ، ولم يكن عمله مجرد تحذيل وصفى لنصوص معلقة في فراغ غير تاريخي ، ولم يكن عمله يفرض الماضي على الحاضر ، أو يتخذ الماضي معيارا قيميا للحاضر ، ولم يكن عمله نخبويا يقتصر على الاسماء والزعامات الفكرية اللامعة كائنا هي عبقريات ملهمة من السماء ، ولم يكن عمله مقتضا على جانب من جوانب الفكر العربي دون جانب ، هو الجانب المادى وحده ، أو الجانب الروحي وحده ، وما كان اقتطاعا لمرحلة فكرية من سياق تاريخى شامل ، بل كان عمله بحق ملحمة فكرية - اجتماعية - تاريخية ، يستوعب الماضي استيعابا نقديا في إطار سياقه الاجتماعي كله وفي عمارة عمليته الصراعية كلها . لم يعزل الفكر عن الواقع الاجتماعي التاريخي ، ولكنه برغم ذلك أكد للفرد استقلاليته النسبية ازاء الواقع الاجتماعي التاريخي . ولم يكن يضىء الماضي بالحاضر محسب بقدر ما كان يضىء الحاضر كذلك بفضل هذه الاضاءة للماضى ، ويجعل من هذه الاضاءة للماضى توعية وتغذية لumarak الحاضر .

وهكذا ثبت وتاكيد علم جديد بالتراث . وعلم جديد للتراث في مواجهة مختلف المحاوالت الوصفيية والوضعية والمثالية واللاهوتية والسلفية وللا تاريجية والتؤديقية والبنيوية والانتقائية التي كانت وما تزال تعج وتضطرب وتنتخط فيهما وبهما الدراسات الرائبة .

وأضع يدى على قلبي متسائلا : هل اغتالوا الجزء الثالث من هذه الملحمة هذا الجزء الثالث الذى لم يظهر بعد ، والذي كان حسين مروة عاكنا على انتهاء عندهما اغتالوه¹⁹

في بعض اعداد من مجلة « الطريق » قرأت بحثا لحسين مروة عن ابن رشد هو بغير شك فصل من الجزء الثالث واستمرا للجزء الثاني الذى وقف فيه حسين مروة عند ابن سينا . أتمنى أن يكون الجزء الثالث قد استكملا أو أتمنى - على الأقل - أن يكون محفوظا مصونا ما كتبه حسين مروة منه وأن ينشر علينا قريبا . وأيا ما كان لامر فان المدرسة المادية الجدلية التاريجية في التراث التي كان حسين مروة رائدا من روادها بل أبرز المحققين والدارسين والمبدعين فيها ، لن يستطيعوا اغتيالها باغتيال حسين مروة ، بل سيكون اغتياله ، ستكون شهادته العلمية فيها ، واستشهاده البطولى من أجلها ملهمًا لمزيد من التعمق والمواصلة والإبداع . وحسين مروة لم يكن المثقف رائد مدرسة أدبية ونقدية محسب ، أو المثقف رائد منهج علمي تاريخي جلى في دراسة التراث محسب ، بل كان كذلك المثقف المناضل ، العضو القيادي البارز في حزب الطبقة العاملة

اللبنانية ، الحزب الشيوعي اللبناني ، وكان المشارك بقلمه وفكرة في مختلف المعارك السياسية والاجتماعية والقومية فضلاً عن الثنائة .

عندما اجتاح العدوان الاسرائيلي الامريكي لبنان ، وبلغ بيروت وببدأ في محاصرتها تمهدياً لاجتيابها كذلك ، ما انتقل حسين مروة من بيروت بل ظل يكتب بها كل يوم مقالة ينشرها في جريدة النداء تحت عنوان «**الوطن المقاتل**» يتغول في احدى مقالاته «اكتبه في لحظة يعرّب فيها الخطير المباشر فوق رأسى . إذ الهمجية الصهيونية تعرّب في السماء ، وفي الأرض وفي البحر أى في سماء بيروت في أرضها ، في بحراها ، أى تعرّب عواناً واغتصاباً لسمائنا وأرضنا وبحرنا » .

كان حسين مروة يتعرض للموت كل لحظة ، ولكن ظل ثابتاً في مكانه يشارك في المعركة بقلمه مع رفاقه المقاتلين . يتغول في مقالة أخرى من مقالاته : « هذه هي بيروت أيها العالم ، وقفنا كالمحجزة ، كالأسطورة ، أنا ديك أيها العالم لترى بيروت كيف وقف وما انحنت »

نعم وقف بيروت وما انحنت لأن بنياً كان مثل حسين مروة يقف تحت عصف العدوان العاتي ولا ينحني ويقحم المثل للآخرين بل يتتبأ في غمرة مرحلة الحصار باتفاق المعركة المتقدمة فيكتب « أقول لكم يا رفاقى أن «**الطوفان** » العسكري الإسرائيلي الامريكي هذا قد وضعنا أمام الامر الواقع ، أى أمام هذا الاحتلال الغاصب البغيض . ولكن من هنا نبدا .. ما الاحتلال ليس **النهاية** ، بل علينا ان نقرر لأنفسنا منذ الان ، انه البداية ، أى بداية مرحلة نوعية جديدة من النضال . والنضال بمفهومه الجديد في ظل الاحتلال هو مقاومة الاحتلال . . . ويعلق محمد ابراهيم حکروب صديق عمره على هذه الكلمات في مقال له قائلاً : « كتب حسين مروة هذه الكلمات قبل اكثر من شهرين من صدور البلاغ الاول (يوم ٢١ ايلول ١٩٨٢) عن العملية الاولى ضد تجمع لجيش الاحتلال الإسرائيلي في حقيقة الصنایع ببيروت وكان البلاغ موقعاً باسم « جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية » . . . حسين مروة وهو وسط جحيم الحصار . وسط الخطير . المربد فوق رأسه بالذات . . . رأى بوضوح وثقة واعتزاز ان حركة المقاومة الوطنية اللبنانية تولد في النار في بيروت بالذات ، وان عملياتها لا بد أن تبدأ وأنها سوف تطرد الاحتلال » .

مكذا كان حسين مروة المثقف المقاتل في الوطن المقاتل ، المثقف الثوري بحق ، ثقافته ما كانت تاماً مجرداً من فوق او من بعيد بل كانت انخراطاً علیها في النضال ، فضلاً عن أنها كانت التزاماً نضالياً في الثنائة .

كانت حياته امترجاً وتمانعاً خصباً حمياً بين الفكر والعمل ، بين النظرية والممارسة ، بين التأمل والإبداع .

- على المستوى الوطني اللبناني كان نضاله النظري والعملي .
- وعلى المستوى القومي العربي كان نضاله النظري والعملي .
- وعلى المستوى الأعمى كذلك كان نضاله النظري والعملي .

للمزيد يقف نضاله عند الحدود الوطنية والاجتماعية والقومية ، بسلسلة مثقفاناً مناضلاً أميناً كذلك ، لا بمجرد عضويته في الحزب الشيوعي اللبناني .

فلقد كان طوال حياته في طليعة المناضلين ضد الفاشية والنازية ، في طليعة المناضلين من أجل توطيد السلام العالمي ، في طليعة المناضلين تضامناً مع مختلف حركات التحرر الوطني والديمقراطى في العالم في طليعة المناضلين تضامناً مع نضالات الطبقة العاملة في كل مكان ، في طليعة المدركين للدور التاريخي الإيجابي البارز الذي تعنيه منظومة البلاد الاشتراكية عامة والاتحاد السوفييتي خاصه، في مساندة النضال التحريري والديمقرطي والتقدمي في العالم أجمع ، وكان في طليعة المدركين للأهمية الاستراتيجية الحاسمة للتحالف والصدارة والنضال الموضوعي المشترك بين المنظومة الاشتراكية وحركة الطبقة العاملة العالمية ، وحركات التحرر الوطني .

ولهذا قد يكون من محسن الصدق أن يكون احتفالنا الليلة بحسين مروة مرتبطاً باحتفالاتنا بعيد أول مايو ، بالعيد العالمي للعمال ، باليوم الجيد للطبقة العاملة في حياتنا ، في صياغة مستقبلنا ومستقبل العالم أجمع ، في تنمية الحياة وتتجديدها وفي الدفاع عن السلام العالمي .

اختيال حسين مروة

محمود درويش

ف زحام الموت العام في بيروت ، يفتح حسين مروة شارعه الخاص ،
ليموت على آخر المعانى ..

هل من معنى ؟

هل من معنى ؟

على الرغم من تواضعه الفذ ، في مدينة لا يتواضع فيها شيء ، يخرج
موته من بين الصنوف ، ليتميز بما تميز به الرجل من حياة كانت تختلف
عما شاع في المدينة من فكر ونمط وحياة ..

فما ذنبه ، أن قتل في وقت قتلت فيه مئات الأسماء التي لم تعطن
اسماءها ؟ ما ذنبه ليجرف مع مئات الضحايا إلى مقبرة جماعية ، ليقال :
ليس لقتول على مقتول ، في هذه الغابة ، من فضل إلا في النسيان !

كلا !

لأن حسين مروة ليس ضحية حادث طائش ، بل لأنه رجل مختلف مما
حوله ، ويتفوق على ما حوله ومن حوله بانسانية تفصح ساحة النارق .
ومن الصعب ادراجه في « أعداد الآخرين » منذ استطاع أن يبرر قوله ،
وفكره ، ولغته .. من آفة التلوث العام التي ضربت مجتمعا باكمله ومدينته
بكمالها ، تارة بذرية الاعتراف العلمي بالطاقة كادة فهم لا بد منها
لتأسيس حادثة الانحطاط ، وتارة لضرورات رد الاعتبار إلى مكيانيلى
المظلوم النافعة لاستطاب غرائز الشارع المتعب من ثبات المعانى من جهة ،
ولتقدير انتهازية للتحالف على أي مبدأ آخر من جهة ثانية ..

لذلك كان حسين مروة « قدِيما » في نظر حادثة الانحطاط ، وكان « حديثا »
في نظر من توسلتهم الحادثة ، من السلفيين والظالمين ، وتوجت تاريخها
المرن باستبدال مرجعيتها العلمية بمرجعية ملائمية ..

ذلك عادي في بيروت .

لأن بيروت مدينة غير عادية !

اما حسين مروة ، فلم يكن غير ما هو ، الماركسي العلماني ، ابن تاريخه القومي ، المسلح بآدوات البحث عن خط التطور في تاريخ لا يلزم بالخروج من التاريخ ، والعاجز عن اعادة القراءة لتبرير عادة ظرفية طارئة أصابت من عاصروه من قرأوا التاريخ بارتوكسية مغلوبة ، لا هاجس لها الا تقليل فشل ما غاب على نجاح ما هو مهدد بالغياب ، والاحتکام الى عملية بتر سهلة ، من فرط ما هي مستقيمة ، تسيطر التاريخ الى اثنين : خيز ، وشر ..

ولذلك ايضا ، لم يشاهد حسين مروة في مفاهي بورصة المعرفة في بيروت .

ولم يشاهد في مسرح انقلاب الحليف على الحليف .

ولم يشاهد في ازياء حداة العراء من الذات ومن التاريخ .

كان كلاسيكيا في احتفاظه بادوات منهجه من جهة ، وبایمان صلب لا يرتد على ذاته في كل منعطف او مأزق ، من جهة ثانية .

كان شيخ الشباب المفتون بتصويب « عقيدته الجمالية » على كل ما تقدمه الحياة من جديد انسانى في الثقافة ، ليبرهن ما اعتند أنه قانون للتطور : الجديد ينبثق من القديم ، وما هو جديد الآن سيصير قديما غدا عندما يخرج منه جديد جديد .

ماهرته الكبرى ، وتميّزه على من حوله وفيه ، ينبعان من أنه كان مخلصا لطريقته في الادراك ، والقراءة ، والكتابة .. لا يتقطع ويترج ولا يقطع السياق ، فمدينة تقدم اعتذارا يوميا عن عيدها وذاكرتها ، لذا ، كان ظاهرة شاذة ، بقدر ما يكون الشذوذ عن الشذوذ شاذًا .

ولم يمجد بيروت الفيسさえ ، بيروت السياحة ، بيروت الحلم المصائب بالتضخم المرضي ، ولا بيروت الاستهلاكية في الثقافة والسياسة ..

مجد بيروت حين فجرت قوة ارادتها في دفاعها عن هويتها الوطنية وعن انسانيتها ضد العدو المشترك ، ضد العدو الاسرائيلي المشترك ، وصاغت ملحمة صمود تجلت ذروة نشيد لاحلام الشيخ المناضل الذي توج عمره بهذا المشهد ، مشهد قيام بيروته الصغيرة من سبات امة ، لترتديها للروح المشردة ، ولترتدي اليه فتوة شباب لم يذهب سدى . فها هي معاناته ، ما هي طاقة الصراع ، ما هي اسوق الكتابة ، ما هي قوى التحالف الحقيقي تنهض من اقتربوا عليها من زيف ، للتتوحد وتتجسد في نشبید بيروت للعظيم .

كاز، أكثر منا شبابا ، لانه كان يدانع عن صواب قلبه ، وعن مقطع الوداع .

وحيث حطت سحابة الوعي الزائف واعادة النظر بالمعانى كلها .
من يسيطها الى معقدها - على مناخ قابل للتلوث من شدة الحرية والبلبلة ،
لم يعد العدو المشترك عدوا مشتركا واحدا ، اذ تم خلط الاحتلال الاسرائيلي
«بالاحتلال الفلسطينى » وتم الاصطفاف الانتحاري على شعار « لا عودة
الى ما قبل حزيران ٨٢ » ، ومنحت قطuman «أمل» حق التعبير الحر وبطريقتها
الخاصة ، عن الحرمان وعن الوطن وعن العوام ، واختلط حايل الوعي بناياه ..

حينئذ ، تميز حسين مروءة عن المذاخ العام وعن الاطار العام . صمت
قليلا ، لتمر همجية الكلام .

ومنذ ذلك الوقت ، بدأ مشروع اغتياله ، واغتيال ما يمثل من تميز عن سياق عام طائف ، حيث أسيط انهزامية التحالفات مقدمات الانتحار الذاتي والاغتيال معا ، بانحصار حلفاء الامم أمام تعدد «أمل » وأمن أميادها ، بلا شروط تفاوض ؛ وبتبرع كريم في مجاء الفلسطينيين ، والتخفيض من خطورة ذبحهم في مخيانتهم .

فما ذنبه ، ما ذنبه هو ؟

ذنبه أنه كان يعرف ، ويعرف جيداً أن وضع دم في مفاضلة مع دم آخر ، وتصعيد الهوة بين المقاومة الفلسطينية والمقاومة اللبنانيّة ، سيتيح للوحش الطائفي بأن ينهش لحم الفلسطيني ، ولحم الشيوعي ، ولحم الاشتراكي ..

وھا ہو یئھش، ۰

وعلى مرأى من دمشق - السلطة ، حامية « امل » ، التي قدم لها بعض قادة حسين مروءة من المذاق والولاء المجانى ما لم يحرك فيها النخوة والنجدية في وقت الشدة ، نشهد الآن الفصل الثانى من المجزرة ، اغتيال الحزب الشيوعى اللبناني .. . الحزب العريق للذى يشكل أحد الاسماء البساطمة لهوية لبنان العلمانى الديمقراطى ، ونطريقة اجتهاضنا في الذعاب إلى المستقبل ..

لقد اغتالوا حسين مروءة ثلاثة مرات :

المتالوه حين اغتالوا الفلسطينيين ،

واغتالوه حين اغتالوا رفاقه في الحزب ،

واغتالوه حين اغتالوه ..

فمن يوقف هذا الاغتيال ؟ من يدافع عن الحزب الشيوعي اللبناني
ليدافع عنه وعن نفسه ؟

هل يمكن أن يقال : لكل غطاء غطاء ، ونون كل سقف سقف أعلى ،
وحرب النجوم تبدأ من حروب الأرض ؟

لم يعد في وسع أحد أن يدعى لللام فهم أمام سريرالية سياسية تنتج
موتًا وأضحا ، المشهد واضح . القتلة وأصحابون . حلفاء القتلة وأصحابون .
وأصدقاء حفاء القتلة وأصحابون أيضًا ، لم يريد أن يرى .

ومرة أخرى نتساءل بسخرية : الم يبق من معوقات أمام « هانوي »
العرب ، أمام مهمة التصدي للامبراليالية الاميركية والمطامع الصهيونية ، غير
القضاء على الوجودين لازديدين : الوجود الشيوعي والوجود الفلسطيني في
لبنان ؟ ومن يقوم بهذه المهمة ، من هو القاتل ؟

ولماذا عاش حسين مروة إلى هذا الحد ؟ لماذا أصر أن يبلغ الثمانين
دون أن يسام ؟

الآن أمامه ما يعلم .. وما يعلم ؟

أم ليتمكن القتلة في بيروت من استخراج هوية أخرى لم يستخرجها
قتلة من قبل : وهي هوية قتل الجد !

وهل يصدق أحد أن درجة التسمم الروحي والأخلاقي في لبنان قد
بلغت حدا يدفع شابا إلى التقدم من سرير الشيخ حسين مروة ، حارس
الطلولة والبراءة ، ولفراغ الرصاص في رأسه ؟

نعم ، هذا يحدث في لبنان ، لينسجم مشهد الجريمة مع حواجز الجريمة ،
وليختلط اللوضوح الوحشى مع الغموض الشد وضوحا لخارطة قوى تمزقها
صلابة القوى الظالمية الأشد أخلاصا لمشروعها ، مشروعها الراسى على اللحظة
الاسرائيلية ، في زمن مائع ميوعة التحالفات اليائسة أو البائسة ، منذ
اعتذر وعي البدايات عن شبابه ، ودخل في « شيخوخة الفكره » ..

لعل اغتيال حسين مروة هو محاولة اغتيال للتثبت الاولى في الجدل

السياسي والفكري والثقافي الذي أصيب بالضلال منذ وضعت القضية للبنانية، كما يفهمها المعتبرون الطائفيون والمذهبيون ، في مواجهة القضية الفلسطينية، ومنذ استحقى على الفهم الاعتراف بأن ربيع الشمال قد تلقى مع ربيع الجنوب، في محاولة للاطاحة بوعود حقيقة رفعتها بيروت ، للبنان ولما يحيط بلبنان من شرق ، قبل أن يتحول للتلامم اللبناني - الفلسطيني الثوري إلى نكبة في المجالس السياسية ، ليس في لغة الصهيونيين العرب فقط ، بل في لغة اطراف هذا التلامم أيضاً .

نهل يستخلص أحد العبرة من مشهد الاغتيال الجماعي والفردي
للطويل؟

وهل ما زال مثيراً للسخرية والضحك أن ينادي أحد بعودة ما إلى
وعي بداية لم تكن خطأ؟

لا أعرف .. ولكنني أعرف أن الحفاع عن الحزب الشيوعي اللبناني
واجينا ، وواجب من يعنيه مصير لبنان .. وليس من القففاء والقدرة أن يموت
جميع الناس ، وكل الأفكار في لبنان ..



آخر ما كتبه الفكر العربي

نشر هذا المقال في العدد رقم « ٧ » من مجلة « الوحدة » - التي تصدر في باريس - وهو العدد الخاص بمهرجان « تحديث الفكر العربي » . ونحن نعيد نشره اليوم ، ضمن هذا الملف ، لأنـه كان واحدـاً من أواخر مـسـاـهـاتـ المـذـكـورـ حـسـينـ هـرـوـةـ فـيـ المسـاـلةـ الـفـقـهـيـةـ وـالـأـدـبـيـةـ ، نـاحـيـةـ . وـلـانـ الـكـثـيرـ مـنـ ذـاـ ، اـمـ يـطـلـعـواـ عـلـىـ نـادـيـهـ . نـظـراـ لـمـحـدوـيـةـ الـأـهـمـيـةـ الـتـيـ تـنـدـخـلـ مـصـرـ وـجـالـةـ «ـ الوـحدـةـ »ـ مـنـ نـاحـيـةـ ثـانـيـةـ . وـكـيـ تـبـحـثـ الـفـرـصـةـ لـلـشـلـلـ الـأـدـبـ انـ يـطـلـعـواـ عـلـىـ نـادـيـهـ هـذـاـ الـفـكـرـ الـكـبـرـيـةـ دـنـ نـاحـيـةـ ثـالـثـةـ . وـلـانـ هـذـاـ مـاقـالـ بـعـضـ اـصـيـاطـ الـسـلـيـمـيـةـ لـلـعـلـقـةـ الـجـلـدـيـةـ بـيـنـ الـأـدـبـ وـالـسـاسـةـ ، تـلـكـ الـعـلـقـةـ الـتـيـ يـنـوـرـ حـولـ صـيـاغـتـهاـ الصـحيـحةـ الـكـثـيرـ دـنـ الـجـدـالـ فـيـ حـيـاتـنـاـ التـقـدـيـةـ وـالـفـكـرـيـةـ الـراـهنـةـ .

« أدب ونقد »

بحث عن واقعية الواقعية

د. حسين هروة

سنظل نبحث عن الواقعية دون أن نصل إلى جوى البحث ما دام غائباً عنا النظر النقدي إلى المفاهيم السائدة للواقعية ، أو ما دام غائباً عنا المفهوم الواقعي للواقعية ..

الممارقة هنا طريقة وجارحة معاً .. إننا نبحث كثيراً ، ونتخصص كثيراً بأمر الواقعية في مجالها الأدبي والفنى ، بين مؤيدین لها ومتندسين ، ثم لا تكون حصيلة كل ذلك سوى أن يبقى كل من طرف المعركة في موقعه ذاته لا يتزحزح عنه شعرة واحدة ، أى أن الصراع هنا يبقى محاصراً في دائرة المقلدة ، لأن الواقعية التي يدور عليها الصراع تبقى منظوراً إليها كجوهر

ثابت لا يتحول ، منعزل عن مجال الحركة الدينامية ، أو منظورا اليها
حقيقة بصفة مستحيلة ، محرومة شرط وجودها النسبي هي ، أي شرط
وأقيمتها ذاته ..

هذا الحصار في الدائرة المغلقة ، المنعزلة ، المستحيلة ، قد حان لنا
أن نخرج منه أو أن نخرج فيه ، أي أن نبحث عن واقعية الواقعية .. أقصد
في مجالها النسبي ، أي المجال الحركي والدينامي لواقعية الادب والفن .
لكي نرى الادب والفن في واقعيتهما الحية المتركرة ، المتطورة ، واللطبيعية .
ممكن ، هل يمكن أن تكون للادب والفن هذه الواقعية ان لم تكن واقعية مستنفرة
دوما للدخول في سياق واحد مع دعوات التجدد والتحول الاتية من نبع
الحياة ، متحققًا في اوردة الوطن والعالم ؟

قد حان أن نبحث عن واقعية الادب والفن ، لا في « العلب » المختوقة
المصنوعة من خلاصات الآراء والمذاهب التأملية « الصافية » .. بل نبحث
عنها في ثنيات الدم الجاري تحت جلد الادب والفن ذاته

إذا أمكن أن نخرج من ذلك الحصار التقليدي ، فسنرى للادب والفن
وأقيمتهم الحياة فعلا ، والمستنفرة على الدوام لدعوات التجدد والتحول
فعلا .. وإذا أمكن أن نرى هذه الواقعية في مجراما الطبيعى من جسد
الادب والفن ، فسنراها ان تنتجاوز - بالقطع - كل ما تكس من محاصيل
الآراء والمذاهب التأملية التي ستظل تتتصارع ، إلى غير نهاية ، داخل الحصار
المغلق ، المنعزل ، المستحيل .. سنراها تتجاوز تلك الأكاديمى المكشدة ،
لتقول لنا ان الادب والفن لا يحتاجان إلى مزيد من الكلام على واقعيتها
ياتى من خارج كينونتها الادبية والفنية ..

ان كينونة الادب والفن هي نفسها كينونة واقعية ، متحركة ، متحوله
ومتجدد دائمًا .. لأنها هي نفسها نتاج طبيعى لتلك العلاقة التفاعلية
الخلاقة بين الآلية الداخلية المستنفرة لعملية الخلق الادبى والفنى ، وبين
الآلية الداخلية المستنفرة لعملية تطور الواقع : واقع الوطن والعالم ..

هذه الحقيقة البدوية تضم لنا ، بدقة ، حدود المفهوم الواقعى
لواقعية الادب والفن ، وتتجلى لنا ، بالثقة نفسها ، عن حقيقة ثانية ، هي
أن الاعمال الابداعية ، أدبا وفنًا ، لا ينفصل وجودها النصى المباشر عن
وجودها الواقعى غير المباشر ، لأن علاقة الارتباط بين الوجودين علاقة كيانية
.. وهي - لذلك - علاقة موضوعية ، بمعنى أنها ترفض أن تخضع ، في
اثبات وجودها أو اثبات « عدم » وجودها ، إلى قرار ارادى يأتيها من خارج
حركتها الكيانية ..

ان رؤية مفهوم واقعية الادب والفن على أساس من هذه العلاقة التفاعلية الخلاقة ، تكشف الخطأ الذي يعياني ، بمستوى واحد من المعانة ، مفهومان للواقعية نقبيان ، مما للذان يتصارعان داخل ذلك الحصار الدايرى المقلل ، المنعزل ، المستحييل :

المفهوم اليسارى الذى لا يرى في علاقة النص الابداعى بواقعه الخارجى سوى علاقة انعكاس مرآتية ، او أنها علاقة الفرع بالاصل ، او التابع بالتابع ، او المفعول بالفاعل ، بمعنى أن العمل الابداعى هو دائمًا لطرف الآخر الأضعف .

لسنا نتردد ، لحظة ، في رفض هذا المفهوم الطفولي رفضاً قاطعاً ، لكونه - أولاً - مفهوماً سائحاً إلى أقصى ما تعيشه السذاجة ، ولكونه - ثانياً - يقدم علاقة ميكانيكية لا يمكن أن تكون تعبيراً عن العلاقة ذات المستوى الرفيع من التركيب والتعميد ، القائمة - عضوياً وموضوعياً - بين عملية الابداع الادبي والفنى وبين حركة الواقع ثالثاً - يدرج العمل الابداعى من قيمة الجمالية العليا التي هي - أساساً - سر كيونته ، والتي بها يستطيع الادب والفن احياناً ان يعطيها الواقع هذا أكثر مما يأخذان منه ، وبها يستطيعان احياناً أن يرفعا من شأن الواقع ذاته ، وأن يضيفا إليه ثراءً حضارياً عظيمـاً .

المفهوم اليسارى : الذى يقطع حبل الاتصال بين العمل الابداعى وواقعه الخارجى . يقتل ابواب كل منها عن الآخر .. او انه يضع الاستقلال المطلق النهايى لكل منهما ، بديلاً عن الاستقلال النسبي ..

ينهض هذا المفهوم باسم الدفاع عن جمالية الادب والفن ، او باسم الدفاع عن القيم الروحية في وجه التيارات المادية .. او بحجـة التسامي بالادب والفن الى أعلى المثلـنـ الجمالـيـةـ بعيدـاًـ عنـ أشيـاءـ العـامـ العـادـيـةـ وـشـوـونـهـ العـابـرـةـ لـلـغـ ..ـ الخـ ..ـ

لكن الاساس الخفي لكل هذه الزرائع كثيراً ما يشـرونـ اليـهـ ويـقتـرـيونـ منهـ ، حينـ هـمـ يـرـدـونـ المـقولـةـ الشـهـيرـةـ : «ـ ماـ دـخـلتـ السـيـاسـةـ شـيـئـاـ الاـ أـفـسـطـتـهـ » ..ـ فـهـمـ ،ـ اـنـ ،ـ يـشـفـقـونـ عـلـىـ الـادـبـ وـالـفـنـ أـنـ تـفـسـدـهـماـ السـيـاسـةـ ..ـ

ترجـعـ الآـنـ الـكلـامـ عـلـىـ الـعـلـاقـةـ بـيـنـ مـقـولـةـ السـيـاسـةـ هـذـهـ ،ـ وـبـيـنـ مـفـهـومـهـمـ عـنـ وـاقـعـيـةـ الـادـبـ وـالـفـنـ ،ـ لـكـىـ تـنـاقـشـ ،ـ قـبـلـ ذـلـكـ ،ـ مـوـضـوعـ هـذـاـ السـؤـالـ :

- لماذا اطلقت على هذا المفهوم الآخر للاواقعية صفة «اليميني»؟
لأنه من المعروف جيداً أن هذا المفهوم لا يحظى به ويدافع عنه ،
فبما ذاتنا العربية وفي سائر بلدان العالم ، سوى أهل اليمين .. وكتابون
منهم يوظفونه لخدمة الأيديولوجيات اليمينية بمختلف تياراتها .. وليس
ذلك من غير سبب «عقلاني» .. فهناك سبب معلوم ، وأوضاع ،
و «عقلاني» أيضاً ، هو كون هذا المفهوم يوم لأهل اليمين المحافظين شيئاً
من الأطهان الموقوت ، بفضل ما ينجم عن الأخذ به مفهوم القطع الكامل بين
الابداع والواقع من عزل فئة المبدعين عن حركة الصراع الاجتماعي أو الوطني
أو الفكري أو الأيديولوجي ، وبادعهم عن معاناة هذا الصراع ، ليحضروا
مفهوم الابداع في نطاق التأمل الذاتي «للصاف» ، مرتهنين لحالة الاغتراب
عن هموم الوطن والعام ..

من هنا ينكشف سر العلاقة بين هذا المفهوم يميّز لواقعية الأدب والذّن وبين المقوله اليمينية المعروفة عن السياسة (ما دخلت السياسة شيئاً الا بالسجنه) . . . إن هذه المقوله بذاتها مصنوعة في مصانع الفكر اليميني ، وهي تتشكل جانباً من جوانب الایديولوجية لهذا النكرا . . .

أما السياسة التي تفسد كل شيء تدخله حتى الأدب والفن ، فهي السياسة بمفهومها المبتدئ ، أي المفهوم المتداول في «بورصة» الارتفاع بالسياسة ، والنفاق والخداع والسباحة في مسكنات التآمر على مصالح الوطن العليا وعلى المطامع الوطنية والقومية والتقديمية للشعب .. إننا - أذن - مع القول أن سياسة - بهذا المعنى - تفسد كل شيء صحته ، وتفسد الأدب والفن بخاصة . لكن هل هذه هي السياسة ؟ إن السياسة علم ، لها جلال العلم ، ولها قوانين العلم وثوابتـه الكونية .. هذا أولاً .. والسياسة - ثانياً - سلوك من طراز رفيع ، سلوك كفاحي لا يسلكه غير المكافحين من أجل حرية الإنسان في الإبداع ، ومن حق تحرر الأوطان ، وتقىم البشرية ، وسعادة شعوب ، وسلام العالم .

للسياحة مفهومها التقديمي اذن .. وهي - بهذا المفهوم التقديمي - ترفض تلك المقوله اليمينية عن السياحة رفضاً قاطعاً ، وهي ايضاً - بمفهومها التقديمي نفسه - تدخل في حالة الانسجام بالاتساق مع الادب والفن ، من حيث كونها تلتلاقى مع الادب والفن ، على مبادئ وقيم مشتركة ، وعلى مثل عليا متساوية .. معنى ذلك ان السياحة اذا دخلت الادب والفن ، لا تفسدحهما ، بل تحقق بهما احد اشكال تعطياتها المتميزة والممتازة ، بل تتحقق اعلى اشكال تعطياتها للرفيعة ..

لكن هذا الشكل الاعلى لتجليات السياسة ليس ممكناً أن يتحقق الا ضمن التجليات الجمالية الفنية العليا لكل من الادب والفن .. فان لم يكن هذا الشرط ، فلن يكون الادب ادباً ولا الفن فناً ، ولن تكون السياسة سياسة ، اي لن يكون العمل / النص صالحاً كنص أدبي او فني ، ولا صالحاً خطاباً سياسياً .. على ان ذلك ليس شرطاً في دخول السياسة وحدها في حرم الادب والفن ، بل ذلك شرط أيضاً لكل ما يدخل في جسد الادب والفن من أشياء الواقع وهومه وقضاياها ومشكلاته جميعاً ، بالجملة وبالقصصيل معنا ..

- لماذا ، تخصيص السياسة وحدها بانساد الادب والفن في مفاهيم أهل اليمين ؟ ..

السؤال هكذا يكشف البعد الايديولوجي في هذه المفاهيم ، ويعرى هذا البعد تعرية كاملة .. ان تخصيص السياسة هذا يقول ، بفصاحة ممتازة : ان المسالة عند أهل اليمين ، حين هم يتشددون في رفضهم للقاطع القائم لكل علاقة يمكن ان تتحقّق بين الادب والفن وبين السياسة ، ليست مسألة دفاع عن جمالية الادب والفن ، وليس ايضاً مسألة بحث في النظرية الادبية والفنية ، وإنما هي - حسراً - مسألة تتصل مباشرة بالسياسة ذاتها .. فان للسياسة ذاتها عندهم خطرها الأشد ، فكيف اذا جاعتهم السياسة تندفع اديباً او فناً أخذاً ، ونفذاً ، هادراً هغير البحر ، او منسوباً انسياپ العطر ؟ .. انها السياسة ترعبهم ان تدخل في زحام الناس محمولة على اجنحة الادب والفن .. ذلك الادب او اللن الذي يقتضي على ظالمي الناس حصونهم ليذكروا مهما كانت حصونهم هذه ممنعة مرددة ..

تلك هي المسالة هند أهل اليمين المحافظ الرجعي .. المسالة كلها ان أهل اليمين هؤلاء مشفكون من السياسة على انفسهم وحدهما ، لا على الادب والفن ..

اما نحن ، الباحثين عن واقعية الواقعية ، فنشفق بالفعل .. نشتفق صادقين مخلصين من السياسة على الادب والفن .. لكن ، آية سياسة ؟ .. نحن نشفق بالفعل ، صادقين مخلصين ، على الادب والفن من السياسة الآتية اليهما من ايديولوجيات هذا اليمين ، التي تحاول ان تخنق الادب والفن بالحيلولة بين خلايا جسديهما وبين شحنات الحياة والنشاط والعلانية تتقدّم من أنفاس الوطن والعالم ..

ونحن نشفق ، بالفعل ، على الادب والفن من السياسة الآتية هذه الارة من الموجات اليسارية التي تحاول هي ايضاً - دون قصد - ان تخنق

الادب والفن بتحميلهما جسديهما الجميلين أثقال السياسة المباشرة وشعاراتها المتحجرة ، دون اشتقاق ، دون وعي بأن جسديهما لا يطيقان احتمال ذرة واحدة خارجة عن طبيعة البنية الجمالية الفنية لكل منهما ، دون وعي أيضاً أن نقل الذرة الواحدة من هذه السياسة المباشرة وشعاراتها ، شأنه أن ينجر السياسة والشعارات قبل تفجيره جسد الادب والفن ، أى ان اختلالاً ما يصيب وعي العلاقة الصحيحة بين السياسة والفن ، وبين الواقع الخارجي ، لابد أن يكون هذا الاختلال اصابة مباشرة وقاتلة لكل من الفن ومن السياسة ، أى اصابة للقضية المراد صياغتها فناً ابداعياً ٠٠

- اذن ، ما العلاقة الصحيحة هنا ٩٠٠

- هي علاقة الواقعية بمفهومها الواقعي ، لا بمفهوميها الآخرين : الليسارى الطفولى ، واليمينى الرجعى ٠٠ أعني الواقعية القائمة ، طبيعياً وموضوعياً ، في أساس كينونة الادب والفن ، وهى التي قلت في مستهل البحث انها نتاج العلاقة التفاعلية الخالقة بين الآلية الداخلية المسئولة نعمليّة الابداع الادبى والفنى وبين الآلية الداخلية المستقلة لعملية تطوير الواقع : واقع الوطن والعالم ٠٠

علاقة الواقعية هذه مشروطة - كما ثری - بشرط اربعة ، أو هي مكونة من عناصر اربعة :

- أولها ، ان العلاقة هنا ، علاقة « تفاعلية » ٠٠ وهذا شرط أو عنصر ، يعني رفض هذه الواقعية ان تتحضر وظيفة أحد طرق العلاقة . وهو الفن ، في كونه « منفعلاً » دائمًا ، وتتحضر وظيفة الطرف الآخر ، وهو الواقع الخارجى ، في كونه « فاعلاً » دائمًا ٠ ان هذا الحصر ، بكل وجهيه ، يتعارض صراحة مع مضمون « التفاعلية » ٠٠ فان شرط العلاقة « التفاعلية » بين طرفين : أن يتبادلاً وظيفتي « الفعل » و « الانفعال » ، لا أن يختص أحدهما « بالفعل » مطلقاً ، ويختص الآخر بـ « الانفعال » ، مطلقاً ٠٠ هذه الواقعية اذا رفضت ، هكذا ، حصر وظيفة الادب والفن في كونهما « منفعلين » للواقع ، فقد اعترفت لهما - ضرورة - بدور « الفعل » والتاثير في الواقع ٠

- ثانيةهما ، ان التفاعل هنا يتحقق بين طرفين يتمتع كل منهما بميزة ارتباط وجوده بـ « عملية » ٠ وكون هذه « العملية » ذات آلية داخلية خاصة مركبة ومعقدة ٠٠ ان اعتراف واعييتنا هذه للادب والفن بهدا المستوى من التركيب والتعقيد الداخليين ، يعني أنها تنفي عن نفسها

تهمة القول ب العلاقة الاتعكاس المترافق للبساطة ، المساجدة ، بين العمل الابداعي والواقع الخارجي ... كما تنفي عن نفسها تهمة القول بـ ميكانيكية العلاقة بيها ..

- ثالثاً ، ان كلا من العاملتين المتفاعلتين مستقلة عن الأخرى باليتها الداخلية ، اي ان لكل منها منطقها الداخلي متمتعا باستقلاليته عن المنطق الداخلي للعملية الأخرى .

- رابعاً ، ان هذه الاستقلالية نسبية وليس مطلقة ، اي ان استقلال عملية الابداع الفنى بمنطقها الداخلى الخاص لا يعني انفلاطها عن الواقع انفلاتها هو الاستحيل .

هذه الشروط ، أو هذه التكونات / الأساس لواقعية الادب والفن ، ليست مفروضة فرضا عليها بالقسر من خارج البنية الفنية الابداعية لها ، بل هي شروط وتكوينات داخلية تعمل في تأسيس بنيتها الفنية الابداعية ذاتها .. من هنا قلت ، في ما سبق ، ان تكوينة الادب والفن هي نفسها كينونة واقعية .. وقلت ان هذه الكينونة ، تكونها واقعية ، موضوعيا ، فهي اذن متحركة ، متحوله ، متتجدة دائمًا ..

بهذا للزمن العربي وحده استشهد على ما أقول .. فهذا زمان شاع وصفه ، بينما نحن العرب ، انه زمن ردى .. لكن وسط ركام الرداء في زمننا هذا ، يتوجه أمر جديد : لم يبق الحد في بلاد العرب ، بل في كل بلاد كل العالم ، لا يرى هذا الجديد الذي يتوجه الآن .. وأين ؟ - في لبنان بالذات .. في هذا البلد العربي الاصغر والضعف والاكثر غرقا في بحر الرداءات في هذا الزمن العربي الردى .. في لبنان الان شعب يشق عن نفسه غلاف المأساة الصلب والفظ .. ويخرج من جده للبشرى للعادى ، مستبدلا به جدًا للإنسان / الاسطورة ، مقاتلا وحده أقوى عوين شرسين للعرب ، اي لحركة التحرر الوطنى العربية هما : اميركا والامبرialisية ، ودولة الصهاينة العنصرية .. ومقاتلا معها عدو لجنان الداخلي الحالى والهائم بمشروعه الاتحاري ، مشروع السيطرة الطائفية العنصرية الفاشية على لبنان ..

شعب لبنان يقاتل ، في جنوبه المحتل ، جيش اسرائيل ، واسطورة القوة العسكرية الاسرائيلية ، وغطرسة السياسة الاغتصابية للتوصيعية الاسرائيلية .. قاتلن بشجاعة ، بمهارة ، بقدائمه ، بتنظيمية دقيقة مذلة .. وبتصعيد يومي لوتائر القتال ، لكان لديه « ترسانة » ضخمة لا تتفنن من الطاقات يستمد منها كل يوم ذخيرة أشد بأسا وأعظم اصرارا ..

شعبنا في لبنان يقاتل ، يقاتل ، يقاتل ، لأن القتال هكذا هو على
الوحيدة لفتح نافذة امام الوطن ستتفق منها بشائر النصر ، وستظل منها
ملامح الحرية ..

استشهد لكم بهذا الامر الجديد المتوجه جداً في الوطن العربي وفي
العالم ، مهربنا لكم ان الادب والفن واقعيان ، موضوعياً ، بطبيعة
كينونتها الفنية ذاتها ..

استشهاد لكم بهذا الامر الجديد ، لأن هذا الامر الجديد نفسه أراه
الآن يستدرج الادب والفن ، في لبنان خصوصاً ، إلى المشهد العظيم حيث
جبهة المقاومة الوطنية اللبنانية تصنع ملحمة التحرير العربية المعاصرة ،
في أردا زمن عرفه تاريخ الثورة التحريرية العربية .. ولرأي المشهد العظيم
نفسه وقد استدرج الاد بولفن بالفعل إلى طبيعة كينونتها الاصيلة ،
أى اراه الآن وقد استدرجها إلى اعلان واقعيتها الكيانية ممارسة
صريحة ، دون التغيب عنها وراء جبال الغيوم ..

ان الموقف الابداعية حيال الواقع اللبناني القتالي وتطوراته ،
وتحولات هذه الموقف من التردد بين موقف الهمود و عدم المبالاة و موقف من
الغضب والنقمـة ضد الحرب بوجه مطلق ، إلى الاعتزاز بمجد القتال اليومي
المقصـاد عنـا في الجنوب .. اقول : ان هذه الموقف بكل تحولاتها تضع .
بساطة وعمق ، حقيقة بسيطة وعميقـة ، هي ان كل موقف ابداعي ،
مهما يكن اتجاهـه ونـزوعـه الفنى والفكـرى او الـايـديـولـوجـى ، هو موقف
واقـعـى ، مـوضـوعـى ، يـتحـول ويـتـجـدد دون تـوقـف ، وـان كل عمل ابداعـى
هو عمل واقـعـى ليـضا ، تـرـتـبـط صـفـتـه الـواـقـعـيـة بـصـفـتـه الـكـيـانـيـة ذاتـها ..

هـذا يـعنـى ، فـي اـجـهـادـى ، أـنه لـيـس صـحـيـحاـ تـصـنـيفـ الـوـاـقـفـ وـالـأـعـالـمـ
الـابـدـاعـيـةـ إـلـىـ وـاقـعـىـ وـغـيـرـ وـاقـعـىـ ، أـىـ لـيـس صـحـيـحاـ وـضـعـ صـفـتـهـ الـواـقـعـيـةـ
فـيـ مـواـزـاـةـ الصـفـاتـ الـآخـرـىـ لـهـذـهـ الـأـعـالـمـ ، كـالـرـمـزـيـةـ وـالـسـوـرـيـالـيـةـ وـالـرـوـمـانـسـيـةـ ..
الـخـ لـذـلـكـ ، لـكـونـ هـذـهـ الصـفـاتـ جـمـيعـاـ اـنـمـاـ تـجـ، كـاـضـافـةـ إـلـىـ الصـفـةـ
الـكـيـانـيـةـ الـاـصـلـيـةـ ، وـهـيـ الـواـقـعـيـةـ ..

لـكـنـ الـمـسـالـةـ تـخـتـلـفـ فـيـ النـظـرـيـةـ النـقـدـيـةـ ، وـفـيـ الـعـمـلـ النـقـدـيـ التطـبـيـقـىـ
لـهـنـاـ تـبـرـزـ لـلـوـاـقـعـيـةـ كـمـذـهـبـ نـقـدـىـ ، أـوـ كـمـدـرـسـةـ فـنـىـ ، وـكـاتـجـاهـ فـنـىـ
أـوـ فـكـرـىـ أوـ اـيـديـولـوجـىـ فـيـ قـرـاءـةـ الـأـعـالـمـ الـابـدـاعـيـةـ فـوـاءـ نـاقـدـةـ ..ـ انـ
الـوـاـقـعـيـةـ هـذـهـ تـقـفـ مـوـقـفـ الـمـواـزـىـ وـالـمـارـضـ مـاـ لـكـلـ مـاـ ذـاـهـبـ أوـ الـمـارـسـ
أـوـ الـاتـجـاهـاتـ الـنـقـدـيـةـ الـآخـرـىـ ، لـكـونـ الـعـلـمـيـةـ الـفـقـحـيـةـ ، وـانـ كـانـتـ فـيـ

بعض وجوهها لا تقع خارج العملية الابداعية ، تحتاج الى حضور الوعي للتحليل والتركيبى ، وهذا الوعى لا يؤدى دوره النبدي ان لم يكن له منهج وللمنهج قاعدته النظرية ، مستمدة - أولا - من وعي القوانين الداخلية لعملية الابداع الادبى والفنى ، ومستمدة - ثانيا - من وعي القوانين العامة للتطور الواقع الخارجى .. وهنا يختلف النقد الواقعى من غير الواقعى بان الأول يتميز بنهجيته الواقعية ، اي المستندة الى حضور كل من هذا الوعى واذاك ، او المستندة الى وعي العلاقة التفاعلية الخالقة بين عملية الابداع الادبى والفنى وبين عملية تطور الواقع ..

على اساس من وعي العلاقة الخالقة هذه ، لا يكتفى النقد النهجى الواقعى بتحليلات البنية النصية وحدها ولذاتها ، بل هو - الى ذلك - يدخل في عمق البنية النصية كاشفا علاقتها الواقعية المنحدرة في ذلك المعم ..

ان العمل النبدي القادر على كشف هذه العلاقات بخصوصياتها الذاتية والموضوعية ، يشكل عملا ابداعيا نقديا من حيث كونه يصل الى استنباط العناصر الجمالية الاكثر حيوية وخصوصية ونضارته في العمل الابداعى الادبى او الفنى ، اي في النص موضوع النقد ..

* * *

وختاما ، أستخلص المطلقات المركبة لهذا البحث عن واقعية الواقعية :

* أولا ، ان كل الاعمال الابداعية في الادب والفن واقعية موضوعيا ، مهما اختلفت مذاهبها او اتجاهاتها الفنية او النكرية او الايديولوجية ..

* ثانيا ، ان واقعية الاعمال الابداعية هذه : متحركة غير ساكنة ، متحولة غير ثابتة ، متعددة غير متجردة ..

* ثالثا ، ان العمل النبدي وحده ، دون العمل الابداعى ، يخضع للتصنيف الى : واقعى ، وغير واقعى .. والواقعى نفسه يخضع للتصنيف الى : منهجى ، وغير منهجى ..

* رابعا ، ان العمل النبدي التطبيقى هو في بعض وجوهه عمل ابداعي نبدي ، لكنه يستدعي - بالضرورة - الى جانب العناصر النهجية والنظرية ذات الطابع الموضوعى ، عناصر اخرى مكملة لوجوده ، لها طابع ذاتى ، كعنصر الفنون الفنى الشخصى ، اي عنصر القدرة الذاتية على كشف مكان الجمال الفنى في النص موضوع النقد ..

القصائد الأخيرة لعبد الرحمن الجنيسي

(١)

حزن القلب

أحبائي بمصر
إذا يرفرف في الحمى صوتي
كمثل الطير ،
يختلس الرجوع على جناح الليل والصمت
ويسرق زورقة الشتاق للعش
من الصياد والموت ،
ليحضن مصر بالاجنحة الظلامى
وبالفظارات ..
ويملاً صدره ،
برواش الأشجار والأفراح .. معتبريات
ويisksب في ربوع الوطن الأخضر
للأحباب اغنيات ،
فلا تنحووا على بلوهكم
لو فاض حزن القلب في شعري ..
فسوقى هدنى
شوقى هدنى ،
وأحال عمرى كله لهفات !

(٢)

أسافر في الزمان وغربتني عجب
ومصر تعيش في قلبي حرائق ،
وما بيدي اطفىء من تهيبى
فكم علق لي حبى مشاتق
أظل أحب وجهك يا بالدى
ولو أصبحت في صدرى بنداق !

(٣)

يا آسى الجرح هل للشوق من آيس ؟
لو أنها امراة تحمل أحمسى ،
لهان أمر الفراق المر واليأس
لكنه وطني المعبد يا آسى :

* * *

يا آسى الجرح قلبى في الدجى يكتف
ويعمر في أدمغ العينين تنفس
شارفت أعلى وأحبابي وما عرفوا
بان شمس نهارى بعدهم سدف !

* * *

يا آسي الجرح رفقاً أن لي أملا
أنى ولو لحظات أملا القلا
بمصر قبل انطفائي في الآسى أجيلا
يا آسى الجرح ما مصب لمهر سلا !

(٤)

طلعت في عينيك ان الزهر موطنه الربيع ،
والنازح المريض لا تشفيه
غير فرحة الرجوع ..
من يشتري عمرى
بحذلة أن أقوى الى الرجوع !

(الآسى : الطبيب يداوى الجراح)

كسروا يراغي ولكنى
خترت على جدران مصر اناشيدى باظفارى
دمى هنالك مكتوب ،
فان طمسوا حروفه اج في الظلماء كالنار ،
وهنالك حيث هم صلبونا
كلما بزغت شمس
رأى الناس فيها ثون اشعارى !

مصر في القلب

حملت مصر بقلبي ،
واغتربت بها
وصنتها في رجائى من اعادتها
انقذتها في ابتهالى
من نظر دنس
قد اضرمه
ايادي مستبيحيها ،
وان مصر فصول
في تماقبها ،
ربيعها
لن يؤجل موعدا فيها :



في العاصفة
كم ت quamمت يا عصف الرياح
وعلى جسمى علامات الجراح
كم توسرت اعاصير الانسى
ونتفعت بطعنات الرماح ،
كم شربت القها الكواوى لظر
وطعمت الجوع مكتوف السراح ،
غير انى لم ادنس هامنى
بانحناء .. المستقل المستباح :

شعر

النفح في صور الخروج

السيد النمس

هي ذي الطرقات القديمة
منق طافيات على النفط والدم واللهب المذكىء
أعين فاغرات تموت وتحيا .. تغيب وتظهر
أنزع حاسرات عن العظم .. عن عانة القيد .. عن سلطان الحجر
فافتقت
قلبك المنطفيء
واستدر
واجه الأرض قبل السقوط

* * *

هي ذي الطرقات القديمة
هي ذي المرأة الطفلة البكر والمومس الفاضلة
تجتلى صحوها في انطفاء الزناه
تجتلى عرسها في مراريا السبات ..
.. يغيم ، يبین ، يضاجع أشواطها الآفلات
يهزم للطمث في حملها الكاذب
تتمطى السنون العقيمة في شبق الخضراء اللاهب
فافتقت
قلبك المنطفيء
واستدر
واجه الأرض قبل السقوط

* * *

هي ذي الطرقات القديمة
هي ذي الطرقات التي قد بقت
موعداً للتفتح للانقسام

انتننها حروب القبائل
 بين ليل خوؤن وصبح مخايل
 متوجه بقلب خصته الصهاين
 واستلتم عضوك الخنثوى بصيرا
 وانحدر نحو سفح الجنون تسرطن بزقوم بيروت ، مهل شاتيلا
 وانتظر في عويل النساء طويلا
 وأستعد بالرياح وبالارض ، سر التراب انفين
 وأستعد بالحجار وماء المحيطين ، رجم السنين
 لا تخن
 واستخر
 واجه الأرض قبل السقوط

* * *

هي ذي الطرقات القديمة
 هنا رشق الذاهبون خطى للغياب
 هنا فتح الغائبون كوى للذهاب
 هنا مدت الرغبة الصاعقة
 الف الف نراع
 دونها فلوات للفيسس
 وشطوط تقيء الرياح تمج العواصف
 دونها نهنهات البغايا سدى
 وصريفت الجياع
 فلمن تسرجين خيول البداءة
 ولمن تضربين دفوف الوداع
 ولمن مدت الرغبة الصاعقة
 الف الف ذراع

* * *

هي ذي القاهرة
 هو ذا النيل ، ذا شجر الذاكره
 ظلت فوقهم سحب القلب ، أغنت
 صهست شهوة ما طره
 صوب الميسس المركزي السلاح
 قالت القاهرة
 لا لا تقايضهمو النيل بالسائحين وبالسائحات »

صوب العسس المركزي السلاح
 قالت القاهرة
 « لا تقأ يضنهوا القمع باللومسات »
 صوب العسس المركزي السلاح الى نفبه
 اطلقوا مهراً الموت من شاهق الصمت والانتحاب
 قتلوا للقتل في دمهم
 هاجروا من ظلال الأسماء
 هاجروا من رماد الصنفات ، نثار الحروف ، رميم الثياب
 فاقتفت
 قلب المنطفى
 واستدرن
 واجه الأرض قبل السقوط

* * *

هو ذا آخر الحطم ، آخر ليل طويل
 ربى الذكرة
 وأمنحى القلب آخر باتة حزن ثقيل
 واجرعي الحلم - الحمضى عن آخره
 طرزى وردة الشمس فوق سهوب الرحيل
 افصلى حطمنا عن كوابيس عارك لا تتصالى
 افصلى يائساً عن ديماميس نارك لا تتصالى
 افصلى دمعنا عن نواميس عشقك لا تتصالى
 افصلى موتنا عن متاريس حربك لا تتصالى
 ما بقى في الديرين سوى ظلك الطسمى براوغ طمى التجسد ،
 نار التيامة
 ما بقى في الديرين سوى ندف الخصر ذاب على شفة الرقصة المستحيلة
 ما بقى في الديرين سوى رجفة مزمنة
 وسراب جديله
 ما بقى في الديرين سوى ما بقى في الديرين ،
 سوى ما بقى
 آخر الحطم ، آخر ليل طويل
 ربى الذكرة
 وأمنحى القلب آخر باتة حزن جميل
 وأمنطى آخر الليل آخر زوبعة حاثرة
 وأمنحى القلب آخر باتة حزن جميل

شعر

سيف في نفسي

وصفي صادق

سيديتي الحبلى ..
بالجوع .. الصبر .. السخط .. القراء ..
 بالأوغاد .. القوادين .. الجلادين ..
 بالآلهة .. الأحلام .. الشعرا ..
 سيدتي الحبلى ..
 بالحزان .. وبالآموات ..
 يا عابرة بحر الآلام ..
 لجهنم !
 بالسبعة آلاف مخاض ..
 ان لم تلدی الآن ..
 زلزالا .. برkan ..
 برقا .. أمطارا .. أقمار ..
 لجهنم !
 بالسبعة آلاف مخاض ..
 ان لم تلدی الآن ..
 انهارا .. وزهورا ..
 وعصافيرا .. وسنابل ..
 ان لم تلادي - من صلبی - شمسی ..
 عذرا يا سيدتي ..
 قد طفحت بالعوضي كأسي ..
 قد جاز الليلة سيف في نفسي ..
 نفسي تطلب من تهوى ..

تبكي .. تتوجع ..
 وشفاهي في ثديك ظماء تتقطع ..
 آه .. سيدتي ..
 يا واحدتي .. في المشق وفي اليتم ..
 يا ربة قيدي ..
 وهلاكي وخلامي ..
 ردی الآن ..
 الى بكاره أحلامي الأولى ..
 ومرايا زهوى المكسرة ..
 ردی ناري .. وردائي ..
 وذراعي .. وجيادي .. وقرباني ..
 ردینی .. ردینی ..
 ردی بصری ..
 فانا شاعرك الأعمى المجهول ..
 راهنت بعيوني على قلبك ..
 أعاما .. وقرعونا ..
 وخسرت رهانی ..
 لكنی لم أخسر بعد ..
 نور القلب .. وشمس الحرف ..
 وأنا شاعرك المحزون ..
 موالی .. من زفرات الظهر ..
 ووشم الأغلال ..
 وضراعات المقراء وراء الأبواب ..
 موالی .. من عطش الأرض ..
 وضفت الانهار ..
 من أنشودة عصفور في التليلة نشوان ..
 وذبالة مصباح ..
 بيترسم على وجه الظلامات ..
 وأنا شاعرك للعاشق ..
 العالم في محبرتی ..
 قافية تندحاز تتم يدا ..
 لغريق الظلمة في كل مكان ..
 قافية لا تستطع الا ينجموم خمسة ..

و حروف خصّة :

« الف ..
نون ..
سین ..
الف ..
نون .. »

..*

سيديتي الحبلى ، قوله :

أين - ترى - من كاسك أهرب ؟

أين - ترى - من عشقك أهرب ؟

نفسى تطلب من تهوى ..

تبكي .. تتوجع ..

وشفاهى في ثييك ..

ظماء .. تقطّع ..

اعترف ..

أنى مت على صدرك مقرورا مشتاق ..

اعترف ..

أنى مت على شطائنك ظهآن ..

وجاز الليلة سيف في نفسى ..

نفسى .. لا تتعزي أبدا ..

نفسى .. لا تتعزي أبدا ..

الحياة في الزمن الظاهري

مدحت ابيوب

تنتعنقت أصابعنا على ضفاف النهر .. نسير .. نهذى بكلمات الحب
أحبك .. أحبك .. أراك في نفارة وجه أخي الرضيع ..
أراك في تجاعيد جحني الباسمة ..

بيتنا عش العصفور .. شرابينا قطرات اللندى .. طعامنا حبات الفاكهة
غدنا كالليوم حب في حب .. وهم في وهم ..

* * *

أطهى مسا لاحلى شباب .. شد يا أبو على شد .. مساء الفل
الصنف النهاردة ملين .. بعد دقائق أنسى ما على وجه البسيطة ..
أنسى ماذا .. لا انذكر ..
يسعدنى أولاد الحال حتى باب غرفتى .. أنام حتى اللجد .. أكره
كلمة « غد » ..

* * *

صباح الخير .. محاضرة الليوم كانت صعبة .. لم أستطع إكمالها ..
هل يمكننى الاستعارة كشكوك .. موعدنا غدا في الكافيتريا ..

أتوه بين المعامل .. أذوب داخل أنبوبة اختبار .. اتلون بلون
الاحماض .. ولون الفساتين الفاضحة ..
* * *

أسير وحدي على ضفة النهر .. أضيع وسط همومي ..
أين أنا؟ أين أمداق .. مبادئي .. ميلوي ..
أين المثل العليا التي آمنت بها يوما .. أراها اليوم تتبع الكلمات
لتشترى المركز .. الشهرة .. المكتب المكيف .. التصنيف في أوروبا ..
لذهاب إلى النادي .. الذهاب إلى الجحيم لهم جميما !!
أين الانتفاء إلى التراب .. إلى هدف .. أروى بعرقى نضارته ..
احفر بأظفارى حروفه .. أرسم بدئى ملامحه .. أعيش لاحقته فى غدى ..
ما زلت أكره هذا الغد ..

أريد خلاصا في دنيا بلا لون .. سوى لون سحابات الحشيش
الأزرق .. بلا طعم سوى طعم القبلات الباردة .. بلا رائحة سوى رائحة
الاحماض في حجرة الدراسة ..

أشعر أنى جئت في الزمان الخطأ .. والمكان الخطأ ..
أعيش حياة لشخص آخر يحمل اسمى .. عنوانى .. بطاقتى
يقطن داخل غرفتى .. يومه أبي الطيب بأنه ابنه ..
يهتف في المظاهرات .. يحب في أوقات الفراغ ..
يضيع في باقى اليوم ..
سأقتل هذا الشخص لأحيا أنا .. أنا .. أنا ..

* * *

أصعد على سور الكورنيش .. القى بهذا الشخص الغريب في باطن
النيل .. دواير من الماء تتسع وتتضيق حتى تختفى تماما ..
الحق يا جدع .. واحد رما نفسه .. شد يا مراكبي ..
يا ميت ندامة على الشاب ..
يا ميت ندامة على مصر ..

شعر

* حوار

إلى طفلي على محمد

سهر عوض

ما أقدرش أكون عرافنة يوم .
ولا بعرف الحكمة في وشوشة الودع .
لكني كالطفلة امتنلت ..
وقدحت على الفرشة اللي كلها الزمن .
توب العجوز اسمرا طويل .
وش العجوز اسمرا غريب .
قالت بصوت نغمة رتيب
مدى كنوفك يا صبية ووشوشى ودعى وسمى .
أنا قلت باسم الواحد الرحمن ووشوشت الودع
قالت العين في طريقك يا بنىيـه .
واللام في ليل قمره تمام
والبيـه يـمام ..
قلـت الصـبـى ..
قالـت المـيم مـادـنه بـتبـوسـ الأـدانـ
والـحـه حـاميـكـى لم يـنـام ..
والمـيم مـطر ..
والـدـال دـواـيرـ دـاـيـرـهـ لـلـيـومـ وـالـلـيـ جـايـ ..
قلـتـ فـيـنـ بـكـرهـ يـاـ خـالـهـ دـاـ اللـيـ جـايـ ..
مدـتـ يـديـهـاـ وـبـعـتـرـتـ كـلـ الـودـعـ

وقالت لى حلمك لسه صورته مبهمة .
ضمى كفوفك وفرديها
نظمى غزلك وقولى واسالى
يمكن بيان ملخ فى كنك يتقرأ .
أنا قلت مين يقدر يرجع للبكا والفرح
واللحب القديم غويته .
والللب فى الميدان وتجميع الطوابع والصور
وجماعة التمثيل وخوننا من النمر .
قالت الصورة ما زالت مبهمة .
قلت لها مين ع الحزن يوم كان دلنا .
واللطم ليه قبل الاوان طاله الزمن .
وانتكسرت جوانا قدرة الاندماش او القلق .
ولفاتنا ليه مهزومة والكلمة فى حوطنا بتختنق .
قولى مين فتح عيوننا ع التواريخ الكثيبة والنظم .
قالت لى دا الزمن اللي دار
أنا قلت زمن المسخ آت
فيه السيف معروضة وسط الانتيكات .
للزينة مش مرفوعة بابدين الجنان .
آدى الزمن آدى اللي دار ..
هایقولى ايه ودعك يا حاله ..
وأنا شاينه ناسه بيتحتو منفى لجسد
وأنا شاينه ناسه بيشتروا منفى بوطن
وطحينا معجون بالوجع ..
والصارى ما يرفرش فيه أطلى علم .
لمى الودع
وسيبى لى اسمين في البراءة بيكبروا .
يمكن في يوم اسمع نداهم في الميدان بيكبروا .
لمى الودع .
لمى الودع .

شَهَادَةُ مِسْتَشْرِقٍ

في العالم المعابر يحاول باعة السياسة والابيديولوجيات مثلهم مثل المندوبيين التجاريين ، يحاولون أن يتذمروا ما هو قد يفهم على أنه شرء حدث ، وعلى العكس في المجتمعات الإسلامية التقليدية ، لا تجد الأفكار والعقائد الجديدة تقبلا واستجابة الا إذا قدمت باعتبارها تتضمن عودة إلى التقاليد التراثية النقية ..

هكذا يقول المستشرق برنارد لويس الذي وضع أبحاثا رئيسية عن الإسلام ولكنه كلاسف الشديد لا يطبق هذا المفهوم على كل ما فعلته دولة إسرائيل وفأسفتها العنصرية الصهيونية حين احيت في الدين اليهودي تلك الوعود التي قالت ان الله قد وعدها بها ومنها ارض فلسطين ..

كانت لجة الدفاع عن الثقافة القومية قد أصدرت قبل أسابيع بيانا أدانت فيه مبادرة المركز الثقافي الفرنسي لاستضافة المستشرق الصهيوني برنارد لويس بعد أن كان قد استضاف الممثل الفرنسي إيف مونتان الذي لا يكف عن اعلن عادته للعرب ومناصرته للصهاينة ..

وهنا نقدم للقراء المصريين شهادة مستشرق إسباني عن عنصرية وصهيونية برنارد لويس الذي يدعى الموضوعية والحياد ..

برنارد لويس .. مأهداً أو ماءكاً

بقلم : جوان جويتيسيول ..

ترجمة : ليلى الشربيني

في ثمانى عشر مقالة كتبها « برنارد لويس » تحت عنوان يدعى للغضب الا وهو « عودة الاسلام » (دار جاليمار ، باريس ١٩٨٥) يعرض للقارئ المتحدث بالفرنسية ملاحظاته التاريخية التي سبق ان جمعها في دراسته :

« الاسلام في التاريخ » كذلك يعرض للانطباعات التي اورحتها اليه الانهضة الاسلامية الحالية ، والواجهة العربية الاسرائيلية بشأن القضية الفلسطينية .

ومن الاممية بمكان التركيز على وجهة النظر المزدوجة تلك ، فالدراسات التي جمعها بالجزء الاول من الكتاب وهي « الثورات الاولى في الاسلام » ، « الاسلام والتطور » ، « اليهود المناصرون للإسلام » بالإضافة الى الدراسات الخاصة بانتشار افكار الثورة الفرنسية في الامبراطورية العثمانية . كلها دراسات قيمة لما تحتويه من كم معرفة تثير ذهن القارئ ، الغربي فيما يتعلق بخصائص الحضارة الاسلامية التي تعد مجهولة احياناً او يندر ما يعرفونه عنها :

وفي المقابل فانه لكتابات المضادة التي اختصت بموضوعات اكثر تضاداً وحدة ، غالباً ما اخذت طبيعتها المتحيز تحت غطاء من الادعاءات التي قد تبدو موضوعية ومحايدة . وحقاً عان اسلوب « برنارد لويس » الذي تميز بالكشف الدقيق عن الاصول ، ونمو الافكار والاهداف المنظمة للتحرير الفلسطينية ، ليس فقط اسلوباً مهتماً بالتاريخ بقدر ما هو فكر مشاهد مشارك .

وبتصفح الدراسة التي تخص ماضي الاسلام نجدناها غنية مفيدة ، ونحن نقدر الوضوح الذي يتعرض فيه المؤلف الى القيم في الاسلام والذي يبهر فيه أن العقيبات التي تتعلق التقدم الاقتصادي الاسلامي اليوم ليست سوى القواعد الجادة التاريخية التشريعية منها والاجتماعية التي تنبع من التقاليد المحكمة للامبراطوريات الاسلامية الشرقية القديمة .

﴿ جونسون جوتيسول ٢٠ مؤرخ اسباني معاصر ﴾

وكما حذر في مجالات اخرى ، فان هذه التقاليد قد فرضت جموداً ثقيلاً على ديناميكية التجديد فيما يخص تلك الانكار العقائدية المتعسفة التي أدت الى آثار سلبية شابت الجهود الناجحة لتحديث ، وازمت القائمين بذلك سواء في الامبراطورية العثمانية او في الدول العربية الناشئة منذ الحرب العالمية الاولى ، الزمتهم باخفاء الافكار والقيم الواردة من الغرب تحت ستار من ادعاء النقاء ، والمحافظة على التراث . ويكتب « برنارد لويس » : « في العالم المعاصر يحاول بادعة السعي ، والايديولوجيات - مثلهم كالمندوبيين التجاريين - يحاولون ان يقدموا ما هو قد يهم على انه شيء حديث ، وعلى العكس في المجتمعات الاسلامية التقليدية ، لا تتقبل الافكار والعقائد الجديدة ، لا اذا قدمت على أنها تتضمن عودة الى التقاليد القديمة النقية (ص ١٣٦) .

وهكذا يلخص « برنارد لويس » التوازن الذي دام خلال القرنين الماضيين كما يراه بين الانظمة التركية والعربية وبين المجتمعات التي تعد نموذجاً موفقاً للتراث الاسلامي ، مماثلاً لحركة التحرير البرجوازية التي ادخلت على يد الصحفة الحاكمة في القرن التاسع عشر رغم عدم وجود برجوازية أو تحرر ، يجب ادخال الثورة الاشتراكية في القرن العشرين بلا بروليتاريا أو حركة طبقة عاملة ، وذلك على يد الصحفة السياسية والعسكرية لlama .

وفى المقالة المقطعة بمعنى البدع فى الاسلام ، فالملاحظات المتعصنة عديدة ، لكن المستشرق يخطئ النظر ، مثل معالجته لموضوع « الشيطان داخل الماكينة » الخاص بالعقيدة الاسلامية الذى يشير فيه الى اتجاه العلماء لاخفاء اختلافاتهم فيما يخص امور الدين تحت ستار عبارة « مؤامرة لنصف الاسلام من الداخل » (ص ١١) الا ان هذه الخاصية التي لا تعد ميراثاً يورث عن تاريخ الاسلام ، توجد بشكل اكثراً وضوحاً في تاريخ الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ، كما توجد ايضاً في تاريخ الانظمة марكسية الحديثة . ومن تعسفية فكرة المقصوم ، ظهر مباشرة اتجاه التعمّب . هذا وما زلت تتفطبق الملاحظات التي ذكرها المواطن الاسپاني المحنى « خوزيه بلانكو » منذ اكثراً من قرن ، الا وهي « سيقاوم قساوسة الارشونكسيه بكل الطرق او محاولات لتعريف وحدتهم للخطر وسيعزلونها حيث كان مبدؤهم المفضل دائمًا هو « تسمية اي خصومة بالعداء » .

وفي جزء آخر من الكتاب يذكر « برنارد لويس » في اسلوب أقرب لاسلوب معاصره الرحالة « سير ريتشارد برتون » مدى الحقارة التي عاملت السلطة الدينية حرقاً ومهناً في البلاد الاسلامية بالشرق الادنى وهي الحرف التي تجدها الطائفة الدينية حرقاً وصيغة ان الحونية قد استمرت حتى بعد أن توقفت تلك الحرف عن التواجد ، وقد كانت مهنة التجارة والمال تثير الريبة في الذين يمتهنونها (فقد ارتبط التوفير بصفة البخل) .. ، وارتبطة المنشأة مع فكرة الاستغلال ، بينما اعتبرت وظائف خدمة الرب والدولة اسمى الوظائف) وكان العلماء اكثراً الناس احتراماً ثم يأتي بعدم العسكريون والتخصصون ، وهؤلاء فحسب كانوا النبلاء وفقاً لوظائفهم . وكان الباقيون من عمال المدن والتجار أقل شأناً ، وكان من يجعل بيبيه على وجه التحديد شخصاً محترماً .

وخارج دائرة الحرفين ، فالمعاملة اليدوية لم يكن لها اي تقدير ، (ص ١٣٤) .

وبالرجوع لمحاضرات «أمريكيو كاسترو»، و«دومينيجز أورتز»، فإن هذا الوصف ينطبق تماماً على وضع المجتمع الإسرائيلي لمدة ثلاثة قرون وذلك فيما يخص المهن التقليدية التي كانت تقوم بها طائفة اليهود والمرسيك، وللأسف فإن «برناردلوييس» لم يربط تاريخياً بين هذين الوضعين المتشابهين حيث كان هذا الرابط يمكنه من توضيح فكرته.

وحين تتناول الدراسة التي تختص بالوضع الحالي للعالم الإسلامي، يجب أن نحتاط بشأن الجدل القائم، فلجوء «برنارد لويس» إلى التجزئة، بثير اشكالاً، ممثلاً في تعقبه للمشكلة الفلسطينية ذكر: «بين اعوام ١٩٤٧ - ١٩٤٩، نزاحت أعداد كبيرة من السكان العرب من المناطق التي خضعت لدولة إسرائيل الجديدة، وتركوا بيوتهم ولجأوا إلى التسلط، الغربي بقطاع غزة وبالدول المجاورة». ويدعى الإسرائييليون أن سبب نزوحهم هو أوامر زعمائهم تقسيم حركة قواتهم، ووعودهم بالعودة مع الجيوش العربية الفارقة. وبينما يذكر العرب أن الإسرائييليين هم الذين طردوهم، فإننا نجد الادعاءين صحيحان وكاذبان في الوقت ذاته (ص ١٧٦)». وهذا حيث يتجلّل الكاتب بعض الواقع التاريخية كمذبحة «دير ياسين»، واز يشير في كل مناسبة إلى مسؤولية الدول العربية وإلى ديماجوجيتهم للرمانة، بل يلغى كل اشارة إلى انشطة منظمة «الارجون الإرهابية»، والتي أدانها مع الكثرين «البرت اينشتين» في رسالة احتجاجه على زيارة مناحم بيغن لنьюيورك، ولا يشير الكاتب أيضاً إلى زرع إسرائيل الذي تم بالعنف والارهاب في المنطقة.

غقوله: إن العرب لا يمكن تفهمهم أو يصعب تفهمهم لأهمية المحرقة ليهود إسرائيل (ص ٢٠٢)، إنما هو قول خطأ عليه، إذ انه لا شأن للفلسطينيين بحرق اليهود أو بصلبهم، بل أصبح الفلسطينيون صحايا ابرية لجرائم أوروبا الغبية.

فبنفس المنطق المخادع يمكن أن تبرر طائفة الهوغنة البروتستانتية المهاجرة إلى جنوب أفريقيا، استيلاءها على أراضي السكان الأصليين.

إن المصاعب التي خلفتها نشأة دولة إسرائيل مع سياستها التوسعية أدت إلى اضطهاد الطائفة اليهودية بالعراق وببلاد عربية أخرى، والتي نشوء دعاية مناهضة للسامية، لكن «برنارد لويس» لا يذكر هذه الأمور بل بالعكس يذكر احتجاج عاشر المغرب على سلطات

ثيسي لاضطهادهم للمواطنين العبرانيين ، هجرة أعداد كبيرة من المغاربة لإسرائيل لم تكن بسبب اضطهادهم بل كما يذكر تماماً « ألمون عمران صالح » كانت ناتجة عن الدعاية الناجحة لعمالء تل أبيب .

بالإضافة إلى ذلك فإن « برنارد لويس » يمجد الأفكار والاقعات التي تخضع للجدل بتجاهله لسائل رئيسية ، مثل الطبيعة الاستعمارية لعملية غرس الصهيونية ، في أرض يسكنها شعب آخر ، ويختفي بذلك تحت ستار الموضوعية مهمة الدعاية لفكرة . والتحدث عن مخاوف العرب من التوسيع الإسرائيلي . حيث أن الحدود الأقلية لإسرائيل تتغير . فيلقى الكاتب على العرب مسؤولية ذلك نتيجة رفضهم المستمر لایة تسوية (ص ٢٠٤) .

وإخيراً كان برنارد لويس وهو يدافع عن مفهوم جيو ستراتيجي كمؤرخ للشرق الاذنى أقل قدرة على الاقناع بكثير عنه حين يتعرض للتاريخ الحضارة الإسلامية .

خَتَّانُ بِرْوَسْلِيٌّ

محمد المغزلي

لم يظهر متواشاً في ركضه بين البيوت مع مطلع الصبح كل الأيام الماضيات . لم تسمع صحته المضحكة « هاى هو » ، يبادر بها كل من يلقاه مع فقرة (كارانتيه) في الهواء على سبيل التحية . لم يهومه ل الكلب نائم في بئر سلم يوقظه . ولم ينونو لتحيد قطة عن طريقة السريع . ولم يسبقه دبيبـهـ وغاـوـهـ على درج البيوت التي يخطـهاـ دون حاجة لاذن . لكنه راح يتبدى في نفس الأماكن عبر النور للرمادي المزرك للصباح الباكر ، ساكناً على غير العادة وخائفاً من شيء ما لم يكن معروضاً بعد ، ثم .. هذا الذي الغريب عنه : جلباب من العجلان الإبيض وحذاء (بلاستونيل) ناشف مربوط بجوبـارـةـ أـينـ اـقـادـمـهـ السـريـعـةـ الـحـافـيـةـ الـتـرـبـةـ ، وـ (ـ الشـورـتـ) الـأـزـرـقـ الـمـبـثـعـ وـفـانـلـةـ الـالـعـابـ الصـفـراءـ الـقـدـيمـةـ الـتـيـ اـبـيـضـتـ ؟ مـلـابـسـ عـلـمـهـ اـنـصـبـاحـيـ السـرـيعـ وـهـوـ يـطـنـ كـالـنـحـلـةـ بـيـنـ الـبـيـوـتـ .. يـظـهـرـ وـيـخـتـفـيـ وـيـظـهـرـ وـيـخـتـفـيـ لاـ يـكـفـ عنـ الرـكـضـ اـثـنـاءـ ذـلـكـ .. منـ الـبـيـوـتـ إـلـىـ (ـ طـابـونـةـ) اـنـخـبـ إـلـىـ الـبـيـوـتـ إـلـىـ طـابـونـةـ الـخـبـرـ منـ جـديـدـ وـمـنـ جـديـدـ الـبـيـوـتـ شـمـ دـكـاكـينـ الـبـيـقـالـةـ مـالـبـيـوـتـ فـعـرـقـةـ الـفـولـ الدـمـسـ - الـبـيـوـتـ - سـوقـ الـخـضارـ الـقـرـيبـ - الـبـيـوـتـ - محلـ الطـعمـجيـ - الـبـيـوـتـ . مشـاويـرـ عـدـيدـ خـاطـفـةـ يـلـبـيـهاـ وـهـوـ يـلـعـبـ لـعـبـ (ـ الكـارـانـتـيهـ) هـذـاـ الـذـيـ الصـقـ بـهـ اـسـمـ لـاعـبـ « بـرـوـسـلـيـ » ، وـكـادـ انـ يـنسـىـ النـاسـ اـسـمـ الـحـقـيقـيـ فـنـارـ « اـسـمـاعـيلـ بـرـوـسـلـيـ » ، اوـ « بـرـوـسـلـيـ » ، فـقـطـ ، اوـ « المـخـنـىـ بـرـوـسـلـيـ » ضـحـكاـ منهـ وـصـفـةـ لهـ اـذـ عـادـةـ ماـ يـظـهـرـ فـجـاءـ فـيـ مـطـابـخـ وـرـدـهـاتـ وـصـالـاتـ الـبـقـوـتـ وـشـقـقـ الـعـمـارـتـينـ الـكـبـيرـتـينـ فـيـ الـحـرـ . يـعلـمـ عـنـ وـجـودـهـ عـبـثـ الـطـفـوليـ فـيـ شـءـ مـاـ مـنـ (ـ اـبـلـيـكـاتـ) هـذـهـ الـأـمـاـكـنـ اوـ صـوـتـهـ يـنـادـيـ سـيـدةـ الـبـيـتـ « عـاـيـزـهـ حـاجـةـ بـسـرـعـةـ اـصـلـىـ مـسـتـجـلـ » حـكـذاـ بـبـسـاطـةـ مـضـحـكـةـ تـنـقـلـ غالـباـ فـيـهاـ العـيـنـ إـلـىـ حـاءـ وـالـزـايـ إـلـىـ سـينـ وـالـجـيمـ إـلـىـ كـافـ وـهـوـ عـلـىـ الـعـمـومـ ماـ زـالـ يـنـطقـ حـرـفـ الرـاءـ لـامـ « حـايـسـهـ حـاـكـهـ بـسـلـعـةـ اـصـلـىـ مـسـتـجـلـ » . وـيـضـحـكـنـ عـنـهـاـ تـقـمـ اـنـظـارـهـ عـلـيـهـ اـذـ اـنـ مـلـامـحـهـ لـطـيفـةـ رـغـمـ الغـبـرـةـ .. تـقـولـ اـحـدـاـهـنـ ضـاحـكـةـ « اـنـتـ جـيتـ يـاـ مـنـيلـ » فـيـرـدـ : « بـسـ مـاـتـقـولـيـسـ يـاـ مـنـيلـ اـحـسـنـ وـالـلـهـ اـسـعـلـ مـعـاـكـيـ وـمـاعـنـتـسـ اـكـلـمـكـ » . وـتـفـاجـأـ بـهـ أـخـرىـ اوـ تـبـدوـ كـمـنـ فـوجـتـ بـهـ تـقـولـ : « يـوـهـ ، بـسـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ ، اـنـتـ طـلـعـتـ لـنـاـ مـنـينـ يـاـوـلـهـ » ، فـيـكـونـ رـدـهـ : « حـسـلـامـ يـاـ اـخـتـيـ يـنـحـنـيـ مـسـ حـالـفـهـ وـالـلـامـسـ حـالـفـهـ .. وـهـوـ ٩٣

يمط حروفه مطا مضحكا ثم يرسلنه في مشاوير الصبح يلبيها ويضمن في
 جيوبه الفروش وبين يديه شيئا مما اشتراه : رغيفين ، قرصي طعمية ،
 بيضة ، حبة مطاطم . يتنفس لحظة ثم يقبل ويطر .. يحط بين يدي
 أنه وأبيه الفرير وأخواته البنات الأربع ، في الغرفة المجاورة للسلم
 ببدرورم منزل « حسين صلي » ، ويعاود الطيران ، كانه لم يخلق ليهدا
 لحظة ، لهذا سرعان ما اكتشفت السيدات في هذا الصباح سكونه ، ثم
 اكتشفن زيه المضحك والذي كان مضحكا لاتهن لم يتصورن « بروسلى »
 في شكل آخر . وانتشر النبا ، بعد التقى ، بين التبرفات والنوافذ
 انصباجية المفتوحة والمقابلة : « الولد ما يتظاهر النهارده يا عينى » ،
 « الحاج صلي عاملها صدقه عن ولاد ولاده » ، « بعد ما المizin يظاهر عيال
 صلي ما ينزل يظاهره على حساب الحاج » ، « فوق البيعة يا عينى » .
 وياعينى ، يضحك ، وتاثر ، ونوبة صعود لشقة راحت تنهال منها على
 « بروسلى » العطايا : دجاجة مجده لتطبخها له امه حتى يتقوى بعد
 الختان . وعلبة بسكويت راح يتامل رسومها بانبساط متعدد ، وكيس
 فاكهة ، وشاش وقطن ومركريروم من لجزخانات البيوت ، ونقدود ورقية
 حشت بها السيدات جيب جلباه الصغير الذي ركبته الخياطة معوجا ، وكان
 « بروسلى » من كل هذا ومما سيحدث له بعد ساعة او ساعتين في
 استغراب ، ودهشة ، وترقب وجل .. يمضى دون ان يتراكم متواطبا
 تواثب « بروسلى » ، دون ان يتتصايم مثله ، ودون ان يطير .

* *

مد « سعد الاسكافي » اللمية بالسلوك من دكانه وأدلاها من نادلة
 البدرورم القريبة من الأرض ووضع الفيشة فاضيات ، لكنه لم يتمكن من
 رؤية ضوئها اذ فاجأته المرأة « الناشفة » - كما جاء في لازمة سبابه لها فيما
 بعد - أم « بروسلى » بالوقوف في وجهه مائعة اياه من الدخول للمعاونة في
 الاسراك بالولد عند الختان . وضفت ذراعيها الجافتتين في حلق الباب
 ووقفت بطولها الناحد اليابس تمنع برجاء وحسمأ أحد من الدخول غير
 « ونه » المizin ، وأخرجت البنات الى الشارع . وقالت ان الولد سيمسكنه
 أبوه وتقوم هي بالتناولة مع الاسطى « ونه » . ولم يثنها ابدا زعيق سعد
 الاسكاف و هو يضرب كما يكتب لاما حوله الناس متعجبها لجنون المرأة
 ومرددا : « خيرا تعلم شرا تلقى » ، واتفق الذين التموا على اثر زعيقه معه
 في الرأي حول جنون المرأة . فابو الولد ضرير ومقعد منذ سنوات كما
 يعرف الجميع وربما ينفلت الولد منه ، وهو - سعد الاسكاف - لم يكن
 يزيد الا المساعدة لوجه الله . واوشك أن ينتزع الفيشة ويسحب اللمية
 والسلوك لولا أن اثناء الناس واتقوا معه أن « يعمل الخير ويرميء البحر » ،
 وأن « الجزاء عند الله » لكن هذا لم يمتنع الجمهرة الصغيرة من القبض ،

بل راحت تزداد مكتسبة فضوليين جداً .. أصحاب الديكابين المجاورة ونساء البدوريات الأخرى القريبة وبعض الأطفال .. وقفوا في ترقب ينتظرون ما يسفر عنه ختان ولد سيمسك به أب ضرير مريض ، وتحضره وحدها - أم مجنونة .



فـ النور بدت حيطان حجرة البدروم القريبة من السلم كثيبة ، تسودها آثار أياد كانت تتساند عليها وتلتسمها في العتمة ، كانت هناك بقع من العبن الداكن . تنتشر بطول الحيطان وعرضها ، وفي الركن تكومت أشياء بدوا أنها من لوازم جهاز البنات . أشارت إليها المرأة قائلة للمزين : « البركة في اسماعيل يا عم ونه » وشعر « ونه » المزين بانتباش ، بـ بوجل يدخل ثقته بنفسه كما لم يحدث له خلال ثلاثين سنة ختن فيها ألف من البشر . ومع ذلك استمر في اعطاء أوامره بالتجهز للختان .. أمر المرأة بأن تعطى (وابور الجاز) نفسها يشدد من نيرانه حتى ينظى الماء فوقه أسرع لتطهير العدة قبل وبعد استخدامها ، وتأكد من م坦ة الكرسي الذي سيجلس عليه الرجل الضرير والولد . وأخذ يداعب الولد ويطمئن ، وكان يرتل بلا انقطاع عبر حديثه سورة الفرقان . وكانت المرأة تتحرك بلا انتظام في الغرفة الضئيلة دون أن يبدو هناك أى داع حقيقي لحركتها ، ودون أن يكون هناك ما تفعله . وكان الرجل الضرير واقفاً يضم الولد إلى جنبه ماسحاً بيده الضريرة على رأسه ومردداً : « ما تخافش يا اسماعيل دى حاجة بسيطة خالص ، بسيطة خالص ياباً » . وكان اسماعيل مبهوناً وشاحباً حتى بدت عيناه السوداوان أكثر لمعاناً ونكثة . ثم ركز المزين المبعد جيذاً إلى الجدار وراح يجلس الرجل الضرير معدلاً من جلسته لتقلائم مع مجىء الولد في حجرة . وارتفع الولد ثم أحاطت به الأذرع الضريرة تفتحه مهياً في وطبع المسك جيذاً كما شكلها المزين ، وبـ الولد يصرخ ، صراخاً غطى على زعقة المزين أذ رفع جلباب الولد يكتشه : « أيه ده ١٩ » وهو روت الام سائلة بلا صوت ، مبهوتة كمن تلقى نباً ظل يخفية طويلاً . وأجابها المزين : « الولاد دا مش عيل يا أم اسماعين » ، وعااجلته المرأة تسكته بتسلل رافعة يمناماً في مواجهة فمه : « حفتك يا الله ما تجipp سيرة . يقطعوا رجله يا عم ونه وما يدخلهموش لا هنا ولا هنا » ، لكن دا مش صغير يا أم اسماعين » . « والنبي ما هو داري بنفسه ياباً . والنبي ما هو داري بنفسه . أحب على رجلك ما تجipp سيرة لحد يا حاج ونه » وهو ت المرأة على قدمي المزين تقبلها ، فترجع متلتمتاً : « استغفر الله العظيم .. استغفر الله العظيم » وكان صرائخ « بروسلي » يتتصاعد مطعماً بسياباه المصحف . وكان يشرق بصرخاته ، وبين الصرخات يبین طين « وابور الجاز » ، وضنكه لم للناس في الخارج ..

مع الأنسان

ابراهيم البانى

متدافى داف وبيجوب جليد الغربة يصبح نيل
أصل الطبع رحمنى
وعينى شمس بتصوى فى قلب الليل
ووجدانى
رهيف الحس انسانى
تقابلينى
تلاقي الضحكة فجرية
مصاحبينها الجنainيه
وكف الايد ربيع أخضر
مخاخص كل شىء أصفر
وروحى نسمه رفافه
تداعب خد ياسمينه
وحضنى ضل صفصافه
يمد جناح على المينا
ولكتنى
لتقيتني لما حبيتك كما القابض على جمرة
من النيران
لامونى اللي ما دق الحب بطلوبهم
لان محبتك عصيان
وف عيونهم بقىيت آدم
سرق تلاحة الجنـه
وقالوا أخرج مع العاصين
ما تستنتى

وبحرنا

أنا وأصحابي شرقنا .. وغربنا

وكنـا بدور

نـكـابـد لـجـلـ نـقـش لـكـ عـلـىـ الـهـ

حـرـوفـ الـنـورـ

نـقاـومـ لـدـغـةـ الـحـيـهـ

وـعـىـ تـورـ

عشـانـ تـفـذـ وـتـلـسـعـنـاـ

تـنـاـورـنـاـ

تـتـلـقـنـاـ

عشـانـ الـخـوـفـ مـ يـفـضـلـ سـجـنـ أـحـلـمـنـاـ

وـنـصـبـحـ شـءـ بـلـاـ مـعـنـىـ

لـكـينـ الـعـزـمـ فـ قـلـوبـنـاـ مـحـصـنـنـاـ

يـمـوتـ الـزـيـفـ وـتـنـفـلـ رـوـعـةـ الـثـنـانـ بـوـجـادـنـاـ

نـفـمـ خـالـدـ

وـبـنـوـاعـدـ

مـعـ الـإـنـسـانـ

عـلـىـ الـحـقـ اللـلـىـ مـاـ يـقـدـرـ عـلـىـ ظـالـمـ وـلاـ سـجـانـ

لـاـ عـمـرـ التـوـهـ غـلـبـنـاـ

وـلـاـ عـنـ نـصـرـةـ الـظـلـومـ تـسـكـنـنـاـ

وـبـيـوـمـ الـعـتـمـهـ مـاـ تـحـاـوـلـ تـفـرـقـنـاـ

مـشـاعـرـنـاـ .. بـتـجـمعـنـاـ

وـخـيـطـ مـنـ ضـوءـ سـنـاـ حـبـكـ فـ قـلـبـ الـضـلـامـ يـهـدـيـنـاـ

يـوـحـنـاـ

نـقـومـ نـوـصـلـ أـمـانـيـنـاـ

نـمـدـ جـنـاحـ عـلـىـ الـيـنـاـ

مـرـاسـيـنـاـ هـنـاـ باـقـيـهـ

فـ ضـلـ التـوـتـهـ وـالـسـاقـيـهـ

وـفـ عـيـونـ الـقـمـرـ وـالـنـيـلـ

وـأـبـوـ سـمـيلـ

بـنـتـحـمـلـ

وـلـادـ أـيـوبـ وـطـالـعـيـنـ لـأـمـانـ نـامـسـهـ

وـعـنـ دـرـسـ الـآـلـمـ وـالـصـبـرـ مـاـ نـغـفـلـ .. وـلـاـ نـفـسـ

فـ رـيـحـ الـكـعبـهـ مـسـجـدـنـاـ

وـمـنـيـتـنـاـ

وَجْنَبُ السَّدِ مَذْلُلًا
وَأَمْجَادُنَا
أَوَانُ الْجَدِ نَتَلَاهُ
وَقَتْهُ الْحَزَنُ نَتَرَاهُ
نَرْتَلُ غُنْوَةَ النُّورُسِ فِي وَشِ الرِّيَاحِ كَمَا الْجَوَقُ
نَصَدُ الْعَاصَفَةَ نَهَمَهَا
نَطَقُهَا
بِجَبَلِ الْعُدُلِ مَخْنُوقَهُ
نَرَدُ النَّيلِ أَصْبَلُ الطَّبَعِ رَحْمَانِي
يَدْفَعُ الْوَادِي وَدَرُوبَهُ
يَنْبَتُ فِي الرَّبِّيِّ ثَانِي
وَيَرْجِعُ لَوْنَكَ الْأَخْضَرِ
يَخَاصِمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْفَرَ
وَيَا مَحْبُوبَةَ أَوْلَادِكَ
أَوَانِكَ آنَ عَشَانَ نَمْسَحُ عَذَابَاتِكَ
نَرَدُ الْبَيْسَمَةَ لِعَيْونِكَ
وَنَتَصَالِحُ مَعَ الْأَيَامِ عَلَى الْإِفْرَاجِ بِاعْتَابِكَ
رَجَمَنَا لَكَ نَدْقَ الْبَابِ
نَقَابِلُ صَحْبَةَ الْأَحَبَابِ
وَنَتَصَافِعُ . . بِكُلِّ الْحُبِّ وَالْتَّحْنَانِ
وَمِمَّا يَكُونُ مِنَ الْقَضَبَانِ
وَمَا لِسَجَانِ
مَا تَنْفَضِلُ عَايِشَهُ جَوانَا
حَقِيقَةُ رُوعَةِ الْأَنْسَانِ .

رؤيه الستتر : المعرفة والسلطه في أيريلوجيا لاستشاره

عصام فوزي

ان وعيها بالعالم منظما على نمط المزدوج (نحن / هم) او (انا / الآخر) ليس جديدا على الذعن او الخطاب الانساني ، وليس وقتا على جماعة بشرية دون الأخرى - اتسعت تلك الجماعة او ضيافت - وفي كل مراحل تطورها التاريخي .

نموذج تفكير العلاقات هذا ، هو الاسلوب التصنيفي المعتمد في التحديد والتعرف على الذات والآخر ، ومن ثم في تحديد الواقع التي يجب ان تتتخذها الذات من الآخر بناء على فهمها له وتصنيفها اياه ، لكن هذه المعرفة بمن هو مغاير للذات غالبا ما تكون ضمية أكثر منها صريحة ، أما كثافتها ، أهميتها ، مزاياها ، والدور الذي تلعبه بنية الآخر ، رغبته أو رفضه الاتصال . فكل ذلك يتغير مع كل اطار اجتماعي (١) .

وحين يسكن الآخر عالما خارجيا - منفصلا عن الحدود التي تتصورها الجماعة لعالماها الخاص - فان غرابته تصبح مضاعفة ومكثفة ، حتى انه يصبح معايدا في جوهره باعتباره : الوجود المشوه المنحرف عن المألوف .

الا ان العدائيه المضمرة في تعبيرات مثل « هم » او « الآخرين » ، باعتبارهم نفيا محتملا - (نا) ليست ذات سلطة مطلقة بل هي عدائيه منزوعة السلطة احيانا متربعة بها في احيانا أخرى . وان تكون في الحالتين شديدة الوضوح - عدائيه امتلات بها تقسيمات للحضارات البشرية واكتنها تلك الحضارات في تواجهها ، فكل حضارة كما يرى « بيار كلاستر » هي « أنوية على الاقل بعلاقاتها النرجسية مع ذاتها » (٢) فنجد هذا المضمون النرجسي جليا في التقسيم الارسطي لسكان العالم الى اغريق وبيرابيرية (٢) او وصف اليهود لأنفسهم بأنهم « شعب الله المختار » ولباقي الشعوب بالأغيار . الى آخر مثل هذه التقسيمات .

لكن ذلك الشعور بتقوّق « الأناء » او باحتقار وتخوف الآخر - مع الرغبة في قمعه - وهو ما وصفناه بالعدائيه ، لا يعني الاقتتال التواصلي بين الجماعات ، لكنه يعني في الاساس حالة التوتر القائمه والمصاحبه لوجود الآخر باعتباره مجهولا غير مفهوم ومتغيرا لنا ومن هنا تنبع خطورته (٣)

ان عمومية ذلك النوع من النوع الاجتماعي وتواجده للضرورى في كل المجتمعات - قديمها وحديثها على السواء - لا يعني ثبات مضمونه ولا احتلاله لكانة ثابتة ضمن نماذج الايديولوجيا الاخرى فالضمنون والمكتانة انما يتهددان بتاريخية البنية الاقتصادية التحتية وانعكاساتها في البنية الاجتماعية الكلية ، اي يتهددان في النهاية ببنية علاقات الانتساج السائدة في المجتمع ، انها كايديولوجيا تأخذ كامل معناها ودلائلها بل وافساحها عن نفسها من لغة ، افعالات (قبول / رفض) ، او في موقف فعليه (تحالف - صدام) من خلال المعيار الاقتصادي الاجتماعي ، الذى تدرج فيه كعنصر من عناصره .

١ - المعرفة الاسطورية : ان ما يميز العلاقة نحن / هم في المجتمعات البدائية هو كونها عادلية / تكاملية ، حيث لا يمكن للجماعات ان تتباين دون تعارف معين فيما بينها حتى لو كانت هذه المعرفة مقتنة بخوف متبادل (٤) .

يحتم ذلك الاحتياج بدخول الاخرين ك فعلة ضدن علاقات داخلية تتعلق بتناسق الجماعة ، فالزواج الخارجى Exogamy ، وتبادل المدايا ، والانقسام والالتحام في المجتمعات الاقتصادية Segmentary Societies كلها آليات تستهدف احداث توازن داخلى ، غالياً يتبادل معها مع الداخل تأثيرات قوية لكنها غير تسلطية .

نرى ان ضعف امكانيات السيطرة على الطبيعة موازياً للمستوى المأكثنى للقوى المنتجة استدعاً رؤية مزدوجة للآخر :

١ - الآخر بصفته مكملاً (؟) في مواجهة عنف قوى الطبيعة والجاج الاحتياجات الاجتماعية .

٢ - الآخر بصفته « دنسا وشيررا » كموجود خارجي يسكن ارضاً « دنسه » هي نقيس أرضنا « الطاهرة » - هنا يتم تحويل الأفراد والامكنته بطابع صوف وأسطوري معين .

ب - في المجتمعات الزراعية الضريبية المركزية - مثل مصر الفرعونية: نجد أن العزلة الطبيعية - الظرف الايكولوجي - واحتلاء السلطة المركزية بالمناطق الضخم المفترع من الداخل . قد انتجا شعوراً فائقاً لدى المصري القديم بانفصاله عن الغير وتمركزه في ذاته ، تأسس ذلك الشعور على تصور بُرُوسي توحيدى : الله واحد - حتى وإن تعددت الآلهة يظل جوهرها في النهاية واحد - والملك - الله واحد مركزى يحتل سرة الدولة ، التي هي أيضاً هركيزية في سيطرتها على أقاليم مصر : من الطبيعي اذن

ان تكون مصنف بذرة العالم او بالاحرى هي الارض الحقيقة ، تقد نما شعور المصريين القدماء بأن ارضهم هي الارض الوحيدة في الدنيا التي لها شأن ، وانطلاقا من ذلك التصور كان المصري القديم يرى ان كل اجنبي باعتباره قرويا جاهلا (٥)

ج - اما في المجتمع الاوروبي الاقطاعي : فان ايديولوجيا الآخر - العالم الخارجي كانت تتوضع في المرتبة الاخرة من سلم المعرف الادراكية ، ذلك لانغلق المدن والقرى على نفسها ، ويتذكر الاكتيروس في بذرة هذا المجتمع الاقطاعي كى يفرض تصورا عن الآخر يسمى فيه بالكفر والوثنية لجهله بال المسيحية وعدم خضوعه للكنيسة . لقد فرطت هيبة الكنيسة رؤية استعمالية منفلقة ومتحورة حول الذات الاوروبية ينظر من خلالها للمسيحي الاوروبي الى العالم الخارجي بوصفه كافرا باليسيخية او على الاقل مهبطا منحلا .

لكن العن المتحرر واتحاداتها وتجارتها الدولية كانت ترد على الطابع الانكماشي للمجتمعات الاقطاعية فالمدن التجارية حين طورت الملاحة استثمرت المعرفة الادراكية للعالم الخارجي ورفعت من مقامها (٦) .

د - تقدم لنا الامبراطوريات التجارية الكبرى : مثل الامبراطورية العربية الاسلامية بدءا من القرن السابع الميلادي - نموذجا مختلفا ايديولوجيا آخر - العالم الخارجي .

تحتفى من ذلك النموذج الى حد كبير النبرة الاستعمالية والاذوية ، بل تستبعد القوالب الجاهزة في تصنيف الآخرين ، ويسوده نزوعا تجريبيا ملائما لسيطرة العلاقات التجارية .

لا شك أن انتعاش الحركة التجارية وما استلزمته من تحديد دقيق لجغرافية العالم وطبيعة الشعوب كان الدافع الاول لظهور العاجم الجغرافية كمعجم ياقوت الحموي والموسوعات الجغرافية الفضخمة مثل مسالك الامصار لابن فضل الله العمري ، ونهائية الارب في فنون العرب للنويiri .

استبعد ذلك كما ذكرنا اية تصورات ذاتية مركزية - رغم الحساسة الدينية أحيانا - يلاحظ ذلك في غياب التعصب الثنائي أو الديني في الوصف الانتوغراف للشعوب غير العربية في كتابات المسعودي وابن بطوطه وغيرهم .

لم تكن تلك الا بعض السياقات الاقتصادية الاجتماعية التي انبني خلالها وعيها معينا بالعالم الخارجي وساكنيه ، لكن مسألة التحديد

الأبستمولوجي لهذه المعارف تصبّح ضرورية قبل الانتقال إلى اشكاليات
وعى الآخر في المجتمعات الرأسمالية الحديثة .

نحن أمام نوعين محددين من الانتجاجات المعرفية :

١ - معرفة أسطورية : تدرج فيها معرفة الآخر في المجتمعات قبل الطبقية
التي تغيب عنها الطبقات الاجتماعية وكافة التناحرات التي تقوم بينها ،
والاجزء التي تدار بها التناحرات - الاجزء القمعية والإيديولوجية -
تكون التصورات الأسطورية المنتجة محتواه في منظومة من التساؤلات
والاجوبة المنتجة بواسطة الجماعة والمرتبطة إليها دونها توسط عن أجزاء
أو مؤسسات طبقية تتحدد المعرفة الأسطورية اذن بمساوايته مشاعية
بدائية .

٢ - معرفة إيديولوجية : تكون فيها معرفة الآخر عنصراً من عناصر المستوى
الإيديولوجي المرهون في تواجهه والتحولات التي تحدث فيه بالمستوى
الاقتصادي المحدد ، اي بناء علاقات الانتاج السائدة ، ويكون المستوى
الإيديولوجي محل اهتمامات إيديولوجية طبقية للصراع الطبقي تسود فيها
إيديولوجيا الطبقة المسيطرة - او التحالف الطبقي المسيطر بوصفها
إيديولوجيا المجتمع كله .

عذأن هما النوعان المعرفيان السائدان في المجتمعات السابقة على
الرأسمالية ، يسود أحدهما - المعرفة الأسطورية - في المجتمعات المشاعية
اللا طبقية ، أما الثاني - الإيديولوجيا - فيحتل مكانه في كافة المجتمعات
الطبقية . ويستمر المستوى الإيديولوجي كمستوى مميز في المجتمعات
الرأسمالية الحديثة ، لكن ثمة فارق هام نرصده هنا ، هو أن إيديولوجيا
الآخر - العالم الخارجي في المجتمعات قبل الرأسمالية لا تبني على سيطرة
اقتصادية استعمارية على هذا الآخر اي ان البنية الاجتماعية لساوا لآخرين
متجاورة متوازية ليس لبنيه سيطرة فعلية على بنية أخرى ، وعليه ،
مان المستويات الإيديولوجية في هذه البنيات الاجتماعية قبل الرأسمالية
تنتفق دون سيطرة بمعنى أنها قد تتبادل الاستعلاء - الأنوية - وتحقير
الآخر . وتتجاذب في نفس الوقت تاثيراً وتأثيراً .

من هنا يتوقف عنف الواجهة بين الاطراف المتصارعة في الحقب
السابقة على الرأسمالية عند حدود معينة ليس بالأمكان تجاوزها ، وليس
بمقدور مجتمع ما ان يمارس عذنا مطلقاً الا بانتقاله الكامل إلى الطرف
الثاني أي غزو واحتلاله استيطانيا . والثقافتين - تبادل العنف
او احتلال مجتمع آخر - تقام على أساس ايجابية تمس الطرفين . حتى

لو مورس التطوير الثقافي أو التجرين على ثقافة المجتمع المزوم فـان نتيجة ذلك تكون تهجين متبادل *Transculturation* للثقافتين الغازية والمغزوة وهو ما عنيه بالثقافة الإيجابي ، تجلى ذلك في الصور المتعددة التي اتخذها الإسلام بعوره بنيات أيديولوجية مغايرة : الإيديولوجية الإسلامية السنوية في شبه الجزيرة ، الإسلام الشيعي لجبال لبنان والعراق ، القرمطية البحرينية ، الإسلام المصري الأوزيري الشيعي في العصر الفاطمي ..

الذات والآخر في المجتمعات الحديثة :

تكلمنا عن نمط المثقفة - التجادل الإيديولوجي - في المجتمعات قبل الرأسمالية باعتباره إيجابيا يتم فيه تجادل الثقافات تجادلا حيا ، والمرجع الأخير في تعريف ذلك النمط الإيجابي للمثقفة هو تكافؤ أساليب الانتاج في هذه المجتمعات ، حيث يسودها جميعا نمطا طبيعيا استثنائيا ، اي ان القانون الأساسي الذي يحكمها هو سيادة القيمة الاستعمالية والانتاج الطبيعي بعض النظر عن امكانية وجود تفاوتات في نمو القوى المنتجة بين مجتمع وآخر أو الاعمية التي تحوزها التجارة البعيدة في بعض المجتمعات دون غيرها ، ليس بإمكان أحد هذه المجتمعات اذن ان يحدث تحويلا جوغرافيا في أسلوب الانتاج والعلاقات الانتاجية السائدة في مجتمع آخر ، او ان يفرض بالقوة أيديولوجيات لا تتلائم وطابع الطبقات الاجتماعية السائدة فيه .

اذا انتقلنا الى العصر الحديث - عصر الرأسمالية بحقبيها : التناصية والاحتكارية - فان الامور سوف تختلف كثيرا ، فلقد غادرنا انى غير رجعة عالما تتجاوز مجتمعاته وتنوازى ، الى عالم يحكمه بصرامة - وشراسة - قانون واحد هو قانون القيمة ، الانتاج من أجل التبادل ، والربح هو السيد المطلق والكلي الجبروت الذى يتحكم في مصر البشر ، لقد توحد العالم تحت راية الانتاج الرأسمالي من منظومة رأسمالية عالمية واحدة . تかりع الامبرialisية الغربية في مركز هذه المنظومة كى تمارس هيمنتها وتسلطها على الآخرين ، ليس فقط على المستويين الاقتصادي والسياسي وإنما - وهذا سوف نحاول توضيحه - على المستوى الإيديولوجي أيضا من خلال رؤى محددة للأخر .

مع ترسين الرأسمالية في أوروبا في بدايات القرن التاسع عشر ، دخل الانتاج الرأسمالي أزمة توسيعه ، فلقد صارت حدوده الجغرافية عن ان تحيط بامكانيات النمو الضخم والتراكم الواسع ، كان الحل الذى فرضه منطق النمو الرأسمالي آنذاك هو البحث عن امتدادات ملائمة في المجتمعات لم تصل لسبب أو لآخر للمرحلة الرأسمالية ، فتم فتح واستعمار تلك

المجتمعات بالقوة العسكرية ، أولاً ، ثم تكريس هذا الفتح بقوة السلعة الرأسمالية وبلغ الأبنية السياسية والأيديولوجية الملائمة لاستكمال عملية التبعية في البلدان المستعمرة ومنها بالطبع البلدان العربية ، الا أن هذه الأبنية التابعة لم تخلق من فراغ بل صنعت صنعاً من مفرادات وعناصر قديمة ذلك بعد تهيجينها واعادة صياغتها كى تصبيع مؤصلة للقيام بمهامها الجديدة .

١ - على المستوى السياسي : صعدت إلى السلطة السياسية في المجتمعات الشرقية - وهى محط اهتمامنا هنا - طبقات اجتماعية هي من الطبقات المسيطرة في المراحلة السابقة على الرأسمالية ، وأن تغير موقفها من العملية الانتاجية بتحولها من الانتاج الطبيعي الاستكشافى إلى الانتاج من أجل السوق العالمي (وليس السوق الداخلى طبعاً) ، وتم تعظيم هذه الطبقات بقوى اجتماعية جديدة هي نتاج خاص لعملية النمو التابع كالشرائح التجارية والكونبراڈورية وغيرها ، وأصبحت تلك الكتلة الطبقية المسيطرة زبوناً دائمًا للمنتجات الترفية المستوردة من الغرب ، وهي أيضاً الزبون الأول لنفسيات الفكر البرجوازى الغربي الوارد مع السلع المستوردة .

٢ - على المستوى الأيديولوجي : تحمت تلك الطبقة التابعة فكرها في أكثر من ضورها ذات جوهر واحد تابع ومرهون بالغرب ، وإن اختلفت التعبيرات الأيديولوجية باختلاف طبيعة التحالفات التي تقيمها الطبقة في الداخل والخارج ، والصراعات التي تخوضها مع الطبقة الاجتماعية البديل وهي الطبقة العاملة وطبقاتها ، فصدرت للبرجوازية التابعة في المنطقة العربية أيديولوجياتها في محاولة منها لاجهاض الأيديولوجيا الشورية للطبقة العاملة . من إصولية اسلامية معادية لأى نزع علمي ، إلى جداثوية غربية هشة ، إلى فكر انتقائى هجين - العلم والإيمان - إلى آخره من هذه التجليات الأيديولوجية الساقطة .

يخلق هذه البرجوازيات التابعة وارتباطها الصميمى بالامبرialisية الغربية - وفيما يبعد يالامبرialisية - الامريكية - لم يعد باستطاعة أى من المجتمعات المعاصرة أن يقف معزولاً بمنأى عن المشاركة في العلاقات الدولية أو أن ينجو من الاستقطاب في أحد القطبين المتميزين : المركز الامبرialisي المتقدم ، والأطراف الخاسعة التابعة المتخلفة ، وإن ينظر إلى القطب الآخر النظرة التي يملئها موقعه من العلاقة والآليات العلاقة نفسها : متبعاً أو تابعاً ، ساحقاً أو منسخقاً . أى أن يصبح طرفاً من تنافق في وحدة ويصبح الآخر بالنسبة له موضوعاً استراتيجياً يتعلق بوجوده بالذات .

ان الآخر في هذه الحالة يمثل الشرط والحدود التي يتحرك ضمنها المجتمع فيتحدد كل طرف باعتباره نفيا - حقيقة وليس محتملا - للطرف الثاني : هنا يخلق كل طرف تصوره عن الآخر ثم يوضعه فيه كما يستطيع تحديد نفسه بدقة ، ويقترب هذا التصور او يبتعد عن الحقيقة بقدر ما تحدد ، لك طبيعة العلاقات والمصالح المتبادلة او التناقضات القائمة بين الطرفين ، وطبيعة الطبقات الاجتماعية التي تسسيطر على المجتمع الداخلي في العادة فالبرجوازية التابعة في الشرق العربي قد ارتفعت وضعها المتدني والخاصع بل وأدمنتنه ، وقبضت بال مقابل النمذوج الامبريالي الغربي في كل انتاجاته - افرازاته - السلمية والايديولوجية بينما تزعم البرجوازية الامبرialisية السيطرة بتفوقها وتسعى الى ادامته باحتجاج تطور الشرق وتاكيد دونيته وتخلفه ، مع اظهار سيطرتها عليه بمظهر الرسالة الحضارية او التحديث او التنمية .

في ظل علاقات السيطرة والتبعية ، قدم الغرب خطابه الخاص عن الشرق ، وقدم الشرق ايضا خطابه عن الغرب ، ليس هنا هنا ان نبحث في لبس التصورات عن الاخطاء التي اقترفها كل منها في رؤيته للآخر ، وبعيدا عن حسن النية الذي يتعامل معها ك مجرد اخطاء ، ننطلق نحن من اعتقاد بان الغرب الامبريالي قد خلق تصوراته ليس للمعرفة بذاتها ، وإنما المعرفة من اجل القوة من اجل القمع والسيطرة ، هذا الجانب التعمى الذي نعتبره بمثابة البنية التحتية للانشاء الايديولوجي عن الشرق يسبّب تماما حسن النية ويعصيه عن ميدان التناقض ، حتى ولو كان الانشاء نفسه - مثلا بالاكاديمية الكاذبة في ادعائها الجياد ، وحتى لو لم يدرك فرسان ذلك الفرع المعرق نفسه حقيقة ممارساتهم ولا مآلاتها .

اما الانشاء الشرقي فقد تموّض في الطرف الادنى كي ينظر من ثقب عالمه المستقل والمنسحق الى الغرب ، اما متلذذا بالتبعية والدونية ، ممجد الغرب الاستعماري ومحاولا احتذائه في اردا منتجاته الثقافية الاستهلاكية ، او متقوّعا داخل موروثاته متحصنا بها في هجومه - الذي هو دفاعي في الأساس - المريض والعصبي على الغرب - الاتجاهات السلفية الاصولية ، لكن الليبرالية الغربية والاصولية الدينية ليسا في تناقضهما الظاهرى سوى تعبير عن أزمة البرجوازية التابعة في العالم العربي والشرق فهو متوقرة دائمًا بين تمثيل الغرب الامبريالي ايديولوجيا - نمذجا المدفون - وبين ماضيها الايديولوجي قبل الراسمالى الذي تعيد اجتراره وانتاجه كشرط لسيطرتها الايديولوجية على شعوبها في ظل تبعيتها الكاملة للامبرialisية .

ماذا كان هذا هو مضمون العلاقة أو المزوج الغرب / الشرق ، مان تعريف النصوص الاستشرافية الغربية ، وكشف محتواها التسلطي ، كذلك تعريف الانشاءات الايديولوجية الشرقية عن الغرب وكشف محتواها الخنوعي أو العصابي ، يصبح ذلك الكشف ضرورة تسبق انشاء مناهيم أكثر دقة وعلمية عن الذات والآخر في ممارسة ثورية لتحويل المخلافة أو الاطاحة بمقولات التنبيهية .

في نقد الاستشراق :

ضمن هذا المشروع لتفهم وكشف آليات السيطرة والتسلط في الانشاء الايديولوجي الغربي عن الشرق :افتتح ادوارد سعيد بكتابه « الاستشراق » - المرفة ، السلطة ، الانشاء » جهدا علميا معرفيا ، يضع بعض المناطق المظلمة والمتمددة اظلاماها .

ان الكتاب ينتمي الى ما يمكن اعتباره علما ثوريا لنقد الايديولوجيا ، يناظر كمال ابو دبيب في مقدمته للترجمة العربية للكتاب بين مجهودات سعيد في ذلك وبين اعمال سمير امين التي تهتم بابانة التسلط الاقتصادي للمركز الاوروبي على دول الهاشم (العالم الثالث - الشرق) (٧) .

تجربة سعيد في هذا تجربة رائدة بحق ، وشاقة ايضا ، لكن ثقافته الموسوعية ، ومنهجه العلمي في نقد النصوص قللا كثيرا من صعوبات العمل الأول - في هذا المجال بالتحديد - فقدم لنا نقدا لكم هائل من الوثائق الاستشرافية الادبية والسياسية والصحافية تعطى مدى تاريخي شديد الاتساع ببروزت فيه الثنائية والاستقطاب الحاد بين الشرق والغرب، من « فرس » ، اسخيلوس حتى النصوص الاستشرافية الحديثة في الولايات المتحدة ، مؤرخا لتطور النزعة الاستشرافية وتكامل مؤسساتها وانتقالها من النص الى الفعل ، من تصور الشرق الى احتلاله .

ولم يغلق ادوارد سعيد المجال الذى فتحه في نقد الاستشراق نقدا علميا ، بل رأه ماتحة لمهل منظم يشارك فيه دارسون ونقاد يحملون نفس الهم التحررى المشترك بل وسمى دراسات أخرى متعلقة بنفس الموضوع يتحتم انجازها ، مقرأ بتقصير دراسته عن انجاز مهمات عديدة ، اعتبر اكثراها أهمية على الاطلاق « القيام بدراسات حول البدائل المعاصرة (المكنة) للاستشراق » ، والتساؤل : كيف يستطيع المرء أن يدرس ثقافات وشعوبنا أخرى من منظور تحرري ، لا تلابعي ، أو لا قمعي »

ونحن اذ نعتقد بأن الاستشراق هو الشكل المتعين لايديولوجيا الآخر والعالم الخارجي في المجتمع الغربي المعاصر ، فاننا نهتم معه بالبحث عن

اجابة لهذا التساؤل . لكننا قبل أن نبدأ في ذلك علينا تحديد مفهوم الاستشراق بدقة .

الاستشراق كأيديولوجيا :

اجتهد سعيد في كشف السلطة الكامنة في الانشاء الاستشارافي ، باحثا خلف الكلمات عن رؤى تنتسب إلى عصور بعینها ومؤلف محددة عن العالم ونحن نتفق معه تماما في أن « العلاقة بين الغرب والشرق هي علاقة من القوة والسيطرة ومن درجات متباينة من الهيمنة المتشابكة » تجلي ذلك في النصوص الغربية كما برهن سعيد ، فطبيعة العلاقة وأطرافها : المسيطر والمسيطر عليه ، ونتائجها من الواضح بحيث تختتم على الجميع الاتفاق ، لكن اذا ما مضينا معه فلن نجد أكثر من ذلك التعيمات التي تصف واقعا دون أن تتهلهك معرفيا أى علميا ، والادراك العلمي لواقع السيطرة هو التعرف على المستوى المحدد لها ، المستوى الذي تمنحنا عملية فهمه امكانية ادراك الكيفيات التي تتم بها سيطرة الغرب على الشرق في باقي المستويات ، فالسؤال نوجهه إلى المؤلف ، هل هي سيطرة « انسان » غربي على « انسان » شرقي ، أم هي هيمنة الغرب السياسية مجرد الرغبة في قهر الشرق واذلاله ؟

ان اتفاقنا مع ادوارد سعيد يتوقف عند هذه النقطة بالذات التي كفى نفسه مشقة البحث فيها ، ومن هنا غالبا نرى ان سيطرة الغرب لن يصبح لها معنى الا اذا تعرفنا على المستوى الاقتصادي فيها كمستوى محدد ، فعلاقة التبعية البنوية التي تربط الاقتصاد في المجتمعات العربية بالاقتصاد الغربي ، والكيفيات التي تتم بها من اخضاع قسري للبني الاقتصادية وربطها بعجلة الانتاج الاميرالي مع ما صاحب ذلك من تحويل وتشويه لتلك البنى ، تتعكس علاقة التبعية هذه على كافة المستويات الأخرى في البنية الاجتماعية ، فتفتقر لنا بذلك آليات علاقية السيطرة التبعية في المستوى الايديولوجي (حيث تتركز فقط عمل ادوارد سعيد) .

لقد اتخذت العلاقة الحديثة بين الشرق والغرب أشكالا متعددة محكمة أساسا بمتطلبات النمو الخاصة بالبرجوازية الاوروبية ، ولم تكن تلك المتطلبات واحدة على طول المدة من نشأتها حتى وصلتها إلى المرحله الامبرالية ، لذا فقد تكامل وتنامي نمذجها الايديولوجي الاستشارافي كـ جـال لقطاع العـديـد من النـماـذـج الإـيـديـوـلـوجـيـة (٨) :

١ - ايديولوجيا الأنـا / الآخر لدى النـواتـ البرـجـوازـيةـ الاـورـوبـيـةـ .

بـ - الأيديولوجية الموقعية التضمنية : تلعب من خلالها الذات البرجوازية الأوروبية دور الذكر في علاقتها بالمجتمعات الخاصة (الأنثى) .

ج - الأيديولوجية التضمنية التاريخية : تتكون الذوات البرجوازية الأوروبية كأعضاء في عالم اجتماعي تاريخي هو المجتمع الأوروبي الذي يتحدد بپتماسه مع المجتمعات الأخرى .

ان ذلك يبتعد بنا عن اعتبار الاستشراف مبحثا علميا كما يصنفه مثلا د. فؤاد زكريا في معرض نقده لكتاب ادوارد سعيد ، فما قدمه الاستشراف هو الملاحظة السطحية للظواهر ، وتفصيلها تفسيرا ذاتويا عنصريا ، مستخدما في ذلك أساليب البحث والتصنيف والتقييمات النهجية الحديثة التي قام بها أكاديميون متخصصون ، وأعتقد أن د. زكريا يصر معنا بأن الفهم العلمي للواقع الاجتماعي لا يمكن أن يرتكز على تلك الانطباعات حتى لو كانت ثمرة للتأمل الجدي ، فالمعرفه العلمية للمجتمع هي اكتشاف المنهج الداخلي القائم خلف الظواهر المباشرة . لهذا فإن الاستشراف حين قدم لنا نفسه على أنه الحقيقة عن الشرق ، لم يكن أكثر من ايديولوجيا تتعامل مع الظواهر دون احداث تغيير معرف عليها تجلي ذلك في محاكمة الشرق كما لو كان تراثا دينيا خالصا ، بل انتزع أكثر الجوانب رجعية من هذا التراث الدينى ، كى يتمكن من ادانته لتخلفه ورجعيته ومن ثم يبرر استباحة السيطرة عليه بدعوى نشر الحضارة والعقلانية .

لم ينتج الغرب الامبرialis فى استشرافة معرفة علمية بالمجتمعات الشرقية ، وذلك لعدم احتياجاته لذلك النوع من المعرفة في عملية استنزاف المجتمعات التابعة ، بالضبط مثل عدم احتياج صاحب العمل الرأسمالى الى معرفة قانون القيمة ابان استغلاله للعامل وانتزاع فائض القيمة منه ، بل هو يحتاج الى تحريض الاستغلال وتبريره ايديولوجيا وهذا ما يعطى الاستشراف .

من وجه الخطاب الاستشرافي :

ينهى د. فؤاد زكريا عن الاستشراف تهمة للتسلط والمؤامرة وذلك لانه موجه أساسا الى المواطن الأوروبي بعرض عرض الشرق عليه عرض علميا محليا ، اي اننا ازاء النموذج المتألى كما نستخلصه من مقال د. زكريا (٩) :

منتج للخطاب : أكاديمي غربي لم يجد في متناوله دراسات تصف الشرق أنتجها الشرق بنفسه عن نفسه فاضطر ذلك الغربي أن يستعين بمناهجه العلمية الحديثة لكي ينقل الشرق للغرب .

الهدف من انتاج الخطاب : هدف علمي (محايد) هو تعريف المواطن الغربي ب بذلك الشرق المأبهم .

المتلقى : المواطن الغربي دافع الضرائب وممول تلك الجهات العلمية التي يعمل من خلالها المستشرق .

يرى د. زكريا أن « الاستشراق نشأ عن وجود فراغ علمي لدى الشرق ذاته ، فقد كان من الانفصال بالنسبة إلى الغرب ، أن يتعرف على الشرق من خلال ما يكتبه عنه أهلة لو كانت توجد كتابات كافية » لكنه لم يقل لنا لماذا كان من الضروري معرفة الشرق ، لنا الحق في أن نثير مثل هذا السؤال أمام ضخامة المؤسسات الاستشرافية التي من المؤكد أنها تخبيء أكثر من مجرد الرغبة في المعرفة . إن البحث عن المتلقى المختمن للخطاب هو المدخل الملائم لنفهم طبيعة الاستشراق ودوره المزدوج :

١ - فهو من ناحية يوجه إلى مواطنه الغربي بفرض تبرير عمليات السيطرة على مجتمعات أخرى بالقوة وتغيير الروح العنصرية الاستعمارية ، ولأجل خلق صراعات جانبية بين المواطن الغربي وال المواطن الشرقي تخفي الصراعات الطبقية في الغرب وتقطعي على الضمون التحرري لنضالات الشعوب الشرقية يتم ذلك من خلال انماط الخطابة الأيديولوجية :

ان أيديولوجيا الاستشراك تخضع وتأهله الذوات الغربية بقولها لهم ونسبتهم إلى وجدهم يتعرفون على :

١ - ما هو موجود : الغرب (نحن) - العالم المغير (الآخر) .

ب - ما هو جيد ، مستقيم ، صحيح وعادل : التسلط الاستعماري على الشرق ، مع تقديم معايير ملائمة لتكيف الغزو الاستعماري على أساسها .

ج - ما هو ممكن ومتاح من أجل تنفيذ مخطط السيطرة وتبرير السياسات في كل مرحلة من مراحل العدوان على الشرق .

تقوم انماط الخطابة الأيديولوجية هنا بمثابة خطوط دفاعية عن النظام الامبريالي ، فلقد طرح توسيع البنية الاقتصادية الغربية خارج الحدود القومية مهاما جيدا للنظام الأيديولوجي القائم على هذه البنية ، وعليها أن تؤهل الفراد للدخول في عملية الانتاج في شكلها الامبرالي وكذلك

ادت اليهم كونها وحيدة في التسلط على البلدان الخاضعة وأفراز قناعات لديهم بجذوى وشرعية هذا التسلط .

٢ - يوجه الخطاب الاستشرافي من ناحية اخرى الى الشرق نفسه لذكرى دوسيته ومركزه اوروبا بالنسبة له كمنتهى لطموحه وكنموذج واجب التمثال لقبول التبعية له ، وبالفعل نجح هذا الخطاب في انتاج وتربية اجيال من مثقفى البرجوازيات التابعة تدين له وتحتنبه .

يمارس الاستشراف في عذين الاتجاهين وظيفته كايديولوجيا من أجل تجديد علاقات الانتاج في الغرب الامبرialis على أساس من السيطرة على مجتمعات العالم الثالث ، وقبول الرؤى الاستشرافية في مجتمعات الشرق ينبع ايضاً في اتجاه تجديد علاقات الانتاج فيها .

لقيام الغرب بهذا الدور المركزي كان لابد من (غربنته) اي استبداله كعملاق هائل يمتلك بمفرده كل النقدم والعتانية والتكنولوجية الحديثة ... الخ ، لعب الدور الرئيسي في خلق هذا الوهم وتصديقه ، كل من البرجوازية الاوروبية التي قدمت عقلياتيها الرأسمالية على أنها العقلانية المطلقة والثقافتين المتغربتين في العالم الثالث بتاليتهم للنموذج الغربي .

بتتحديد الاستشراف كنموذج ايديولوجي خاص بالغرب الرأسمالي المعاصر ، فانما نرى - مختلفين في ذلك مع ادوارد سعيد - أن تمثيلات الشرق التي سبقت عهد السيطرة الاستعمارية الاوروبية في القرن التاسع عشر لا يمكن ادراجها تحت مفهوم الاستشراف على نحو ما فعل سعيد حين عمم مصطلح الاستشراف ليس بيـه كافة النصوص الغربية منذ اسخيلوس حتى الآن ، او ان تعميم المصطلح بهذه الطريقة يؤدي الى ظمس خصوصيته الاستشراف المعاصر ومضمونه الاستعماري ، لكننا نتفق معه في أن هذا النوع من التمثيلات التي سبقت الاستشراف قد أمدته بالمرفات والصور والمجازات : الشرق الخامـل ، البربرـى ، الوثنـى ، اللامـنـطـى .. الخ والتى امكن الاستفادة منها واعادة تشكيلها في سياق السيطرة الامبرialisية ، بينما تنتهي التمثيلات المسالفة الى سياق اقتصادي اجتماعي مختلف تلعب فيه دوراً مختلفاً كما سبق وذكرنا .

ماركس وبسائل الاستشراف :

أدى غياب مفهوم الايديولوجيا عند تعريف ادوارد سعيد للاستشراف الى اهدر امكانية التعرف على الوظيفة العملية لها ، ومن ثم الى تقديم اوروبا واحدة على صعيد مفكريها ، اوروبا واحدية بلورية في تعبيرها عن نفسها لا تتعانى اية انسجامات او صراعات داخلية ، فلم يجد سعيد حرجاً

- بتجاهله لحقيقة الصراع الطبقي وما تتحمه من صراع ايديولوجي ونظري - في رصف اسماء مثل : جب ، ماسينيون ، ماركس ... الخ في جوقة استشرافية واحدة ، واعتبرهم جميعاً استشرافيين بلا استثناء .

لكن من الواضح ان سعيد يشعر بازمة ما جراء هذا التوصيف لماركس دون الآخرين ، لذا فهو يبحث عن تفسير - اجتهادى - يلطف به من الرؤية الاستشرافية لماركس ، ولقد وجد ضالته في « انسانية ماركس وتعاطفه مع البشر » (١٠) لكن ما حديث هو ان تغلب المنهج الاستشرافي على الانسانية المطوف فنجد سعيد يتسائل ثانية بائس « أين ضاع التعاطف الانساني (يقصد عند ماركس) وفي أي عالم من الفكر تلاشى لتحول محله الرؤية الاستشرافية » (١١) ان هذا النوع من الفهم يضع ماركس المستشرق وبماركس الانسان في وضع تناقض وصراع ينتهي كما هو واضح بتغلب المستشرق الأوروبي ، ولو اعتمنا ذلك التصور لاصبح التمييز الرئيسي لماركس عن اسلافه سواء في مجال الفلسفة (كانت ، هيجل ، غيورباخ) او الاقتصاد السياسي الكلاسيكي (ريكاردو - سميث - بلتي) هو تحييز انساني بالأساس ، من هنا سنقلص ماركس الى مجرد اشتراكي طوباوي يتمتع بحس انساني عالي وبالتألي فهور عرضة لزوال تلك المضاعفات الانسانية امام أول صدام له مع « تكوينه الأوروبي » ..

هكذا يظل التساؤل قائماً لم يجد جوابه ، فالكل يستشعر تائيراً هائلاً لماركس من غير أن يدرك المصدر الحقيقي له . اكتفى معظم من اعتم بالردد على ادوارد سعيد في هذه المشكلة بان رغب ادراج ماركس ضمن صنوف المستشرقين دونتناول حاد لما اثاره كتاب « الاستشراف » ، ولم يقف عندها احد باعتبارها قضية جديدة بالتناول ضمن هذا الموضوع بالتحديد (١٢) .

ان القضية هنا ليست الدفاع عن ماركس او مهاجمته وانما التعرف على الحقيقي عليه ، فلقد اتخذ ماركس بالفعل موقفاً استشرافياً في بعض كتاباته : تلك التي سمي فيها المجتمعات الشرقية بالاستبدادية ، ولم يكن حتى تلك اللحظة - او في ذلك الموضوع بالتحديد - قد تخلص بعد من التأثير الهيجلي ، فزواجه من هيجل لم يكن ابيض على حد قول التوسيير ، فهيمانت عليه الرؤى التطورية الهيجلية فيترتيب المجتمعات الانسانية ضمن سلم حضاري صاعد تحتل قمة المجتمعات الاوروبية البرجوازية ، اما الشرق فيقف اسفل سلم التطور الحضاري محملًا بكل النعوت التي تستدعيها مرتبته تلك : البدائية ، التوجس ، الدونية ... الخ ، الملاحظ هنا ان ماركس استقى كل معلوماته عن المجتمعات الشرقية من مصدرين غير معيدين عن الشهادات : مراسلات الاداريين الانجليز في المستعمرات (وخاصة الهند) .

والكتابات الأزروبية عن الامبراطورية العثمانية (هيجل - بريثي - مونتسكيو .. الخ) مع كل ما يشوبها من نزوع عنصري استعلائى .

لكن رغم ذلك لم يكن الشرق موضوعاً جتيقاً لماركس ، فقد كان الهدف الأساسي لتحليله الناضج في « رأس المال » إنشاء مفهوم محدد هو نمط الانتاج الرأسمالي باشارة خاصة إلى التركيبة الاجتماعية البريطانية ، وتفقد كتاباته حول المجتمعات الشرقية أهميتها امام تحطيله لنمط الانتاج الرأسمالي حيث يصبح الشرق مجرد موقع للممارسات الاستعمارية البريطانية يتبعها ماركس في مقالاته الصحفية السريعة لجريدة نيويورك ديلي تريبيون .

ان ما يتبقى من ماركس كمنظر ثوري عظيم هو استمرار نظريته العلمية حول انماط الانتاج ، تلك النظرية التي ينكشف من خلالها الطابع الرئيسي للاستغلال في المجتمعات التاريخية - الطبقة - وعلى الاخص قوانين انتزاع الفائض من المنتجين المبashiرين في النظام الرأسمالي ، ان المهمة الثورية في عصرنا كما يقول ليست تفسير العالم بل تغييره ، ولن يتم تغييره الا بفهمه واستجلاء القوانين الفاعلة فيه ، لذا طرح ماركس المسالة الملة وهي كيفية الاطاحة بعلاقات الانتاج الرأسمالية واقامة المجتمع الاشتراكي ، تلك هي اشكاليته المركزية ، وفيها يمكن احتياجنا لماركس ، او استخدام نظريته في التعرف على المعضلات الفعلية في التشكيلات الاجتماعية في الشرق ، في المجتمعات العربية ، التعرف على اساليب الاستغلال التي تمارسها البرجوازيات التابعة للأمبريالية والقوانين التي تحكم تطور مجتمعاتنا .

ذلك التصدى لكل اشكال تزييف الواقع التي تمارس على الشعوب العربية والتي تنحرف بها عن السبيل الحقيقية للتحرر الوطنى والاجتماعى . انتنا هنا نقف في المجال العلمى الوحيد البديل للاستشراق ، والذى نتمكن خلاله من التعرف الحقيقى على الذات والآخر « من منظور تحررى ، لا تلاغى ، لا تقمى » ذلك المجال العلمى الذى افتتحه ماركس هو علم المادية التاريخية : العلم الذى يدرس القوانين الموضوعية الفاعلة في حركة المجتمعات ، ومن خلال معرفة اتلك القوانين وتطويرها نظرياً وممارسة يصبح ممكنا انتاج معرفة صحيحة بالواقع العربى المعاصر ونقص المعرفة القائمة من حيث هي ايديولوجية طبقية . تعبير عن سطوة البرجوازيات العربية على هذا الواقع نفسه ، كذلك يصبح ممكناً نقض ايديولوجيا الاستشراق من حيث هي ايديولوجية امبريالية مؤاكبة لحالة السيطرة الغربية على المجتمعات للعرب . انتنا في تلك الحالة فقط نصبح في حقل المعرفة العلمية الحقة وما تفرضه من ممارسة نضالية واعية للتحرر من علاقات التبعية والاستغلال والتخلف .

مساهمش :

- ١ - جورج جورفيتش ، الاطر الاجتماعية للمعرفة . ترجمة د. خليل احمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ١٩٨١ ، ص ٢٤
 - ٢ - بيار كلستر ، مجتمع الاذلة ، ترجمة د. محمد حسين دكروب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ص ١٧
 - ٣ - يرى ليلى - ستروس أن لفظة ببرى *barbare* راجمة من حيث أصلها الاشتلقى الى ذلك الالتباس والجمجمة الذين تقابها فى اصوات الطيور ، نايلز بربرى ثلاثة، غير مفهوم ولا ينعد فى كلامه القيمة الدالة انى نجدها فى الكلام البشرى ، راجع كود رفى - ستروس ، مقالات فى الاناسة ، ترجمة د. هسن تبیس ، دار النور ، بيروت ١٩٨٣ ، ص ١٦٧
 - ٤ - جورج جورفيتش ، مرجع سابق ص ٢٢٢
 - ٥ - هـ. فرانثكورت وآخرون ، ما قبل الفلسفة ، ترجمة جبرا ابراهيم جبرا ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨٢ ، ص ٥
 - ٦ - جورج جورفيتش ، مرجع سابق ص ٢٢٢
 - ٧ - ادوارد سعيد ، الاستشراق ، ترجمة كمال ابو ديب ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ط ٢ ، ١٩٨٤ ، ص ١
 - ٨ - في النماذج الايديولوجية وانماط المخاطبة الايديولوجية ، انظر جوران زوريون ، ايديولوجيا السلطة وسلطة الايديولوجيا ، ترجمة الياس مرقص ، دار الوحدة ، بيروت ١٩٨٢ ، ص من ٤٢ - ٤٩
 - ٩ - فؤاد زكريا ، نقد الاستشراق وازمة المقاومة العربية المعاصرة ، مجلة نكر ، العدد رقم (١٠) ١٩٨٦ من ص ٣٣ - ٧٥
 - ١٠ - ادوارد سعيد ، مرجع سابق ص ١٧١
 - ١١ - ادوارد سعيد ، نفس المراجع من ١٧١
 - ١٢ - النظر فى المرد على ادوارد سعيد :
- هادى العلوى ، الاستشراق عاريا ، مجلة الكرمل ، العدد رقم (١٠) ، ١٩٨٥ ، ص من ١٨٢ - ١٩٣ د. عز الدين المناصرة ، في نظرية الماقفة ، والاحساس بالصالح والتنازل بالاتباعية عدد سبتمبر ١٩٨٦
- ١٣ - راجع في هذا الصدد : يرى اندرسون ، دولة الشرق الاستبدادية ، ترجمة عمر بدين نظمى ، مؤسسة الابحاث العربية ، بيروت ١٩٨٣

بِصُّمَّةِ الْأَيَّامِ

ليلى الشربيني

اهداء الى صديق رحل

ابا مضت ٠٠٠ سנות ايضا . ونسبيت السنين وما انا يقادره
على نسيان ايام قليلة ، محدودة العدد ، طويلة ، ثقيلة تقتل الاигلال ،
تكتلني ، تكاد تخنقني وتقتفي طعم الايام ٠٠٠ واقول كلها ايام . ايام
تمر ومعها السنين وايام يتوقف فيها القطار وتبعدو الصحراه جداء الا من
صبار منتاثر هنا او هناك .

احسب حياتي بتلك التي توقفت فيها ونظرت فيها الى الصبار .
ادعك اليه لانظر . فقط انظر .. اليه .

اليوم الاول :

اذمع لأنام .

اصحو على صوت .

اصحو على صرخة .

انها صرخة امي ٠٠٠

انزل سريري وأجرى ٠٠٠ لا ادرى لى أين .

احتار بين حجرة امي وحجرة اخي .

ارى اخي يجري مثلى .

تتقابل في حجرة امي .

نتحنى للاقتراب منه .

انه على الأرض

نحمله نجس نبضه .

نخلط بين نبضه ونبض ايدينا .

يذهب اخي . يأتي وعجوز معه .

يخرجوننا من الحجرة ٠

نفهم ٠

ينظر كل منا الى الآخر ٠٠٠

ما زلنا صغار ٠

أصلى ٠

لا أكمل نومي ٠

انتهى الليل ٠٠ وانتهى اليوم ٠٠ واليوم القادم ٠٠ لا اعرف عليه ٠ هل هو نهاية الليل ؟ ام نهاية أبي ٠٠ وتظل علامة الاستفهام بين الليل والنهار ، بين يوم وآخر ، بين الحياة والموت ٠ اصلى كي لا اشعر بالموت ، اصلى كي يبقى يوم ولو بعيد يعود فيه أبي او اعود أنا الى الموت ٠

اليوم الثاني

يخرج الراهب من للباب الايمان وببيده مبخرة

اركم واحنى رأسى

استمع الى التراتيل ولبكي ٠

احب السيد المسيح ٠

اراه مصلوبا ٠

أرى يديه ٠٠ اكاد اشعر بالالم ٠

اخلس من بكائى وارتاح ٠

تنتهى التراتيل واخرج ٠

القى براهب ٠

يساركتى ٠

يسالنى عن بلدى

أرى المسيح مصلوبا

وأذعمر ٠

اليوم الثالث

اصلى

أود أن اصلى

ابحث عن لغة للصلة ٠

أسئل ملحدا

يرد : الانسان ٠

انظر الى البشر

أسئل عن قيمه ٠

لا يوجد جوابا ٠

أتردد ..

اليوم به ساعات كثيرة .. تغيله وبطئه ..

يقولون : العمل

اسأل عن الحب :

يقولون مرض ..

اضرب في الطرقات ..

اذهب إلى المقابر ..

ارى النهاية واتساع :

واليس يوم ؟

اخدرج إلى الدنيا لاعبث بكتاب ..

يقولون قيمة ..

تغير العمدة ..

وتتوه مني الحقيقة ..

اليوم الرابع

ارى بين الاعشاب زهرة ، اشفق عليها من اقدام المارة ، أود لو
جميتها باناملى .. بظلى ..

لكن ظلى قد يعجب عنها الشمس واناملى قد تخفتها
وانام في غراشى فلقة ..
ترى الى متى ستتصمد الزهرة ..

اليوم الخامس

سمعت

سرارات

مشيت

بكية

بحثت عن زهرة صبار ..
قيل عند باشع الزهور ..
قيل ايضا ان سعرها غال ..
قتلت سأبحث في الصحراء ..
وذهبت ..

اليوم السادس

ذهبت الى المقابر لاودع أمي رأيتها كالعروس بعد أن غسلوها والبسوا
ثوبت الموت ..

كانت تبتسم

كانت طيبة

كانت بها مسحة جمال

وكانت ایقناً بارده

خلفت عليها من برد القبر

قبلتها في جبيتها . . . لعل قبلي تدفتها في وحنتها

لم أصلى

معنقط نظرت اليهم وهم يهيلون التراب عليها . . .

انتظرت حتى اغلقوا القبر وذابت

يوم السابع

السلام أمانة

ذهبت الى جامع قبل الصلوة على الشهاده

وذهبت الى كنيسة

قبل الصلوة على الشهاده

قلت على من أصلى

لم يرد أحد . . .

سألت عن الكتب

لم يرد أحد . . .

بكحت الشهاده

لم يسألنى أحد

على من أبكي

ويمر قطار الايام كما تمر المسجحة بين يد المسبحين وانتظر اليوم
سابع كى اذهب الى الصحراء بحثاً عن الصبار المقتاجر . . على اقبال زهرة
جدت الصحراء وافتقرت الصبار لنرى النور في وحدة وصممت . . وحينما
دعا اقتلعوا واذهب بها الى قبر الشهاده . .

صَوْبُ النَّخِيلِ

أحمد زغلول الشيطاني

مدور الوقت ، حد المسيف .

ارى الوجوه في طابور دائري ، نفس الملامع ، بملطخة بالسنخان ،
بكدر الارض هناك ، في البهلو ذى الاعمدة والرخام ، في الردهات الطويلة
المعتمة . حيث رائحة البول المختمر ، وغبار الملفات ، وفي الليل احلم بالفارار ،
او ان اكسر زجاج النافذة بيدي الغارية .

بالامس فكرت ان اترك كل شيء وارحل . لكنني باقى لى الان ، هنا
وسط دخان سيجارتى للخانق ، وسط اكdas الكتب والاوراق . في نمى
طعم النحاس . امام العجوز الريفي ، من اي قرية ، حامل اوراقه وشکاواه ،
منكسر داخلاً جلبابه . قال : انهم حجزوا ابنته الوحيدة ، وانهم
سيعرضونها ، وأنهم ضربوها .. قالوا لها يا وسخة . قال : انها لم
تتعل شيئاً وان ام زوجها هي السبب . قطعت عنها المياه والنور لنطردعا ،
وضربتها ، ارادت ان تسقطها . قال : ان زوج ابنته سافر يبعضى الى الرزق ،
وانهم لا يعرفون المحاكم .. وان (فاطمة) قادرة . قال : ارادت ان تقتل
ابنتى . طلبت منه ان ينتظرنى في الخارج الى ان اغير ملابسى ، نجوى ،
لأول مرة منذ فتحت له الباب اتنى ببسبيجا ، وانثى لم اغسل وجهي
بعد . اغلقت الباب خلفه ، لحت في الحجرة الداخلية الخطا المصوّف مهدلاً
على السرير ، تنبهت الى اتنى حاف فوق البلاط ، وان البلاط بارد . (صرخت
.. (لن تقتلننى) . (لا تتعل) كانت عيناه في عينى كهفين مظلمين . لم
يتكلم . كان بيديا ، وحده في النخيل ، تحت سماء بلون البحر ، يتنفس ..
يتتنفس ويجرى نوق العشب ، وكانت في الشوارع الرمادية الفاضحة بالنماين
والعربات ، اراه فجأة . عيناي في عينيه . يأكلنى صمته) .

على ان اعد نفسي للعمل ، ستمر ساعة حتى يأخذ وجهي الصبغة
الرسمية ، صبغة المكاتب والنيابة والصول الكاكي اللون ، وربما افاجأنا
بخصوم الريفي العجوز وكل منهم في رأسه شرخ يعبر منه جمل ، الآخرون
دائماً هم الوحوش ، وكما ترى يا سعادة النائب ، موكلى حمل وديع . فكيف
لهذا الحمل ان يخشى رأس ذلك الليل ؟
انها لفارة عجيب ، وعليه نلتمس الانفراج عن موكلى دون ضمان

مالي ، وتنتهي مسرحية كل يوم ، بنفس الخاتمة مع بعض التعديل ، مسماً بـ «الارتفاع في نطاق ضيق للمواهب الخاصة».

وضعت رأسى تحت الماء ، تدفقت رغوة الصابون ، تنفست لأول مرة منذ صحوت ، أشعر كأنى مغمى عليه يفيق ببطء . لابد ان وجى الآن كلة صماء . ساضع نفسي في البذلة وأحمل الحقيقة وأمضى ، لحظتها ساكون شخصاً يمكن للأخرين أن يتعاملوا معه .

على ان احلق ذقني واضع عطرا . يضعون العطور للموت ليختروا رائحة الموت . فلماذا نضعها نحن الاحياء ؟

(قال الواقف في المرأة (لاتنا نموت ببطء) ، واطلق على صدرى للزصاص ، انفجرت في عين دم وسقطت قتيلاً فوق الشعب . فوق مدينة بلا حديد وأوراق . في الشوارع البيضاء .. وكذا نجري صوب النخيل . ويترك السنانير في الماء) .

اغلت الصنبور ، وفتحت النافذة للتهوية . لابد انه ينتظرنى الان للؤك لذوى البذات والنجمون ، في مكاتبهم ومحابسهم . ان (فاطمة) هي يخش الكاسر ، وأن ابنته ملاك سقط من السماء ..

(- وماذا أيضاً ؟

- انهم يتكررون ، كانوا انسان واحد في كل الصور ، ملامع الموشك على للهلاك ، هل يمكن للفرز ان يأخذ شكل وجه . ومرات لخرى تنتابهم روح القتل .

- هل تحبهم ؟

- اننى منهم ، ابى وامى بقيا في طين الارض حتى ماتا ، ونا معهم أشعر كأنى مشارك في مهزلة مؤلاء الآخرين في مکاتهم .

(- وماذا أيضاً ؟)

حملت حقيبتي ، خرجت في هواء الصباح البارد ، ربما تكون آخر قضية لي . بعدها احمل ملابسى وارحل اذهب الى قريتنا ، اعيش مع خالقى . ليس جلباباً واعمل فلاحاً كأبى . وازور القبر ليام الجمعة . بعدها استطيع ان انام ، واطم احلاماً عادية .

قد كانوا يجلسون فوق الرصيف ، ودرجات سلم المراكز ، جاؤوا في اون لالار الى هنا ، كان الرجال يشتترون سندوتشات الفول والطعمية لنسائهم . بدنهم اقارب الخصوم . مع هذا أو ذاك .. لا يهم .

— انتبا !! ..

انا والمامور نظر في نفس الوقت على الخشبة .. كل ما يحفظ
دوره .. حتى الارتجال صار جزءا من الدور الاصلى ..

اخذوا الجميع الى حجرة للضابط ، كان بينهم فلاحي العجوز .. برائحته
العلنة ، في ثوبه الصوف المرتقق ، تعلقت عيناه بعيني .. اشار لابنته ..
طفلة حامل ، مقطوع عنها المياه والنور ، فاطمة المتوجسة فعلت ذلك عمدا
في وضع النهار .. ازدحمت الحجرة بالقفاطين الغامقة والجلانيب السوداء ..
والنساء كن يتشابكين بالايدي والاظافر ، بينما رجالهن مدموجين بصمت
الررويف للعتيد ..

(لحت عينيه فعيمها الغضب ، يشير باصبعه ، لا اعرف نحو ماذا ،
وكانا في الليل القديم ، نترك أنفسنا امام البحر العتيق ، نجرى عرايا ..
وكنا نضحك ونفتش عن النساء ، وكنا نحلم بالحب الخارق ، ونبني بيوبتنا
على شكل نهدى الموناليزا .. لم نكن رأيناها .. كنا نحزن) ..

لم تكن فاطمة قد جاءت بعد ، نادى الصول في الردهمة ، قال انها آتية ،
مكذا الوحش المفترس ، دائمآ آخر من يصل وأول من يفترس ..

- حضرت فاطمة ..

(صار ينادياني في الليل .. يقول : (ستموت وحدك .. متاملـا حركات
جسمك الاخيرة .. لن يبقى لك اثر) وكان يسألني (من انت ؟ .. ومع
من ؟) وكان يصمت ، ويصمت .. يربعني صمت عينيه .. يقول : لن
يجدي ان يبقى وجهك للحائط .. وكتبت في كل مرة .. يطلق الباب خلفي ..
اراني وحدى) كانوا يحملونها ، فاطمة نور الدين ، تائهة في جلبابها الاسود ،
ويدها النحيلة الصفراء ساقطة لاسفل كالرياحات النكسة .. فاطمة ، بوجهها
المتأكل ، المضمحل ، لا تمشي ، وقطعت المياه والنور ..

- اتنى فاطمة نور الدين ؟

- دى طرشة يا بيه
لتح المحر ..

- حاضر مع مين يا استاذ ؟

القف على الضابط ، كان صوته قد ضاع مع مين يا استاذ ؟

(كان في المرأة ينظر الى دون ان افهم ماذا يريد ، قلت : (لا تقتلنى ،
سارحل) .. وقفت امام الحاجز الخشبي ، كانت عيونهم تحفر وجهى
المكتوف ، بمرج الضابط : مع مين يا استاذ ..

قلت : لا اجيـد ..

(وكان هو هناك في الردهمة المظلمة ، ينتظرني بسكاكينه) ..

شعر

المهوض من تريف الأزمدة

على عبد المنعم

- ١ -

متجاوزا ركني - على المقهى - القهى
وناظرا من كوة الارض الروطيبة
صوب نافذتين ثابتتين - في الانق ...
المدج بالصحايا
أينما صار الذبيحة في الطريق
وأينما حمل الوسام على الكفين.
همو قادمون من المشارق والمغارب
والمسانق.
فوق أجساد الصبايا في الشوارع .
وجبهم شكل الوثق
في كل زاوية من الصوت - الصدى
وبكل ساقية خاليا من عفن
لكننى آخىت نفسى مرتين
ذهبت للنهر للزج
ما ضمنى النهر - الصفاف حبيسة
فوجدت فوق ميامه - شكل الصحايا ،
شكل كل جراحنا
لا صوت يأتى من صواعق تبتدىء ..
لا صوت يأتى من عوالم تنتهي
لا ... ، ولا حتى المطر
لا شى غير الملح ، يشرى للعيون
فتقت حمل

نُفْتَنِي فَهِي

فجّمّعت أشلاء النّواد

وَمَا تَبْقَى مِنْ بَقَايَا أَضْلَعِي

وَذَهَبَتْ لِلْوَطْنِ الْمُطْبَ - فَوْقَ آنِيَة

لِلْبَنْفَسِ - سَجْ

قَمْ يَا بِنْفَسِي - وَانْهَرَ مِثْلُ الرَّصَاصِ

وَلَا تَقْلِ صِدْقَتْ نَبْوَةَ مِنْ غُلْبِ

آهٌ ۝۝۝ اعْتَقَ سَيفَ الْحَمَارِ

وَاتَّخَذَ صَخْرًا بَثَارَ عَلَى الدَّهَارِ

لَكُنْ لَا تَغْبِ

خَيْلَ الْتَّقَارِ ، يَسِيلُ مِنْ فَمِهَا الْمَطْشَ

وَالنَّهَرُ فَارِغٌ

وَالنَّهَرُ لَا يَمْلِكُ *

يَدِافِعُ مُرْتَنِينَ عَلَى الصَّنَافِ الْمُتَمَبِّهِ

فَامْلَكَ يَدِي

لَنْبِيدَ عَاصِمَتِينَ

كَانَا مِنْ حَجَرٍ

ثُمَّ صَارَا يَنْكِرَانَ الْكَلَ

وَالْدَمُ الْطَّسْرِي

هَرَبَتْ حُرُوفُ مِنْ فَمِي

عَكِسَنَ الْخَرَابِ الْمُطَهَّنَ عَلَى الشَّجَرِ

قَاتَلَتْ ۝۝۝ اورَقَتْ الشَّوَارِعَ خَلِسَةً

جَنِثَانَ مِنَ الْأَسْمَنَتِ

يَقْعِي سَاكِنُوهَا ۝۝۝

وَيَشْتَرُونَ لِلْحَمْ ،

وَالْقَدَاسِ ،

وَالْخَنِيسَارِ ،

وَالْحَبُّ الْعَطْبِ

فَانسَدَلَتْ عَلَى الْمَدِينَةِ

كَمْ أَهْرَبَ لِحَمْهَا مِنْ كَلْبِهِمْ .

وَلَكِي أَنْبَلَ دَمَهَا الْمُجْبُوسَ - فِي صَدْرِي

عَلَى جَمْرِ الْحَطَبِ

وَالْقَاتَلُونَ عَلَى امْتَدَادِ الْأَرْضِ

مُنْتَشِرُونَ ، فِي الْكَفِ الْذَّهَبِ

وَبِكُلِّ نَافِذَتِينَ ، انْظُرْ عَرِيهِمْ

يُقْعِدُ الْعَرَلِيَا مَوْقِعَ دَمِ قَتِيلِنَا
فَأَتَوْمَ اجْمَعَ فِي الصَّبَاحِ قَتِيلِنَا
لَكِنْ أَصْحَابِيْ - كَمَا الْأَرْحَامِ - بِزَدَادِنَ
فِي عَيْنِيْ فَضَاءَ الْقَمْحِ
فِي صَدْرِيْ زَفَافِ الرِّيحِ
انْظَرْ مِنْ حَوَالِيَا - فَلَا أَجَدُ السَّعَادَةِ
فِي الْهَرْبِ

وَمَدِينَتِيْ فِيهَا غَوْسِيْ الْمَسْتَبَاهِ ،
وَسَوْرَةُ الْعَذَارِاهِ ،
أَحْزَانُ الْبَحَارِ الرَّاجِهِ
خَيْطَا يَلْفُ الْوَقْتَ بِالْمُوتِ الْجَمِيلِ
مَدِينَةٌ ..

مَدِينَةٌ

فَأَتَوْمَ .. أَقْعِدَ .. أَنْكَىْ
كَيْ أَجْمَعَ الْجَهْنَمُ الشَّرِيدَةَ
وَالْقَتِيلَةَ مِنْ جَنَاجِرِهِمْ
وَأَضَمَدَ مِنْ رَذَادِ الدَّمِ
وَالْطَّوْفَانِ
أَعْصَاءَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهَبِ



- ٣ -

فِي شَارِعٍ - كَنَا جَلْوَسُ الْقَرْفَصَاءِ
نَتَبَاعِلُ الْأَسْرَارَ عَنْ وَطْنِ
تَهْبِيَا بَيْنَ مَجْرَتَيْنِ
وَهُرِبَتْ أَعْصَاؤُهُ فِي سَاحَةِ الْمَلَكِ
الَّذِي أَنْهَىِ الْمَازَرُ كَلَاهِ
لَوْجَاءُكُمْ نَبِأْ عَلِيمُ عَلَىْ حِجَرِ
عَنْ نَبْتَةِ - سَقَطَتْ - عَلَىْ صَدْرِ الْغَيَابِ
تَعْمَدَتْ - رِيحُ التَّرَابِ - بِكُلِّ مَا هُوَ زَانِفٌ
ظَهَرَتْ فَصَوْصَصَ الْمَلَحِ - فِي مَدِ الْبَصَرِ
قَمَرَا قَتِيلَا فِي فَلَاهِ
بِيَبْعِيْهِ السَّمَارِ ،
وَالسَّمِسَارِ ،
طَائِفَةُ الْغَمَبَامِ

مارخصه

وقاتله ، في صحبة الفتى الجميل
يجيء ، يأتي طالما
من شرفة الطرق القديمة
والنخيل الآتي من مصدر اللقيمات
الجراب . العاجلة

فيبيجمـ

مثل البخائع والسلع .
تلك التي يأتي بها رجل الحقيقة في المطار
فكيف لي - يا أيها النبـر - النبوة
وارتعاشات الامومة
ان تسألنى ان ابيع القلب في سوق
المدار

وانقى دمى من دمى
فالارض - كل الأرض - تحت مفهومهم

دمعت

وضج الحرف في الورق المسائل
والشمسـجر

والسلك شائـك

ونوافذ الصـبع ، ارتـجال فـارـغ
وجنود بـاب السـيف - في وجه الزـمن
ودواوين الخـلافـة

صلوا على جـسدـ الضـحـية
مرتين :

واطلقا غـربـانـهم
صلوا على جـسدـ الضـحـية
في سـلـامـ خـامـضـ
وتهامـسـوا : كـمـ أـجـزـفـ فيـ اـضـبـعـهـ ..
كم ضـفـةـ فيـ مـعـصـمـهـ ..
كم صـوبـوا فيـ بـوـصـتـيـنـ ولاـ خـطـاـ
فـلـقـدـ تـكـاثـرـتـ الـبـرـاعـمـ فيـ الـطـرـقـ ..
وـرـمـتـ ضـفـيرـتـهاـ الطـلـولـةـ فيـ الـاقـقـ ..

لأوصلت عرى العروس الدامية
صوب للتعب
وذكرت أنباء كل الميتين بموتهم
يخشى علينا الآن ٠٠٠
من طين الأغانى البدائة
فشرفة المطر - الحصار

* * *

- ٣ -

هل بيننا اغماضه
والبحر مرتبك وحيد
والموج فيه ملالة مصلوبة
صخب يدور على مسافات التفكير
والقباصرة - الاظافر
والزانزين المؤازرة الكتابة
والمسالخ والحادي
والشاطئان تبعثرا
دوا ،
ومثلثة

وليج
هات الرصاصه من دمى
وادفع بها هذا الجدار ليهدى
ضمد بها اطفال قريتنا
وبعض المتعين
الآن اخرج من نهاري شاحبا
قلبي على صدرى صديد
لكننى مازلت اطرق غوف شارعك - المدى
واكابد الليل البليد
لا وقت عندي للتشابه والتناحر
لا وقت عندي للخيول مسرجه
ورثت سيفون من بثورك
والصدى
قصص يكسر قامة النخل الوليد

جاء الزمان بفخر مقتول جديد
فمد للتنار على الازقة كلها
خطوا لقناع عن الوجوه الزخرفة
وتبادلوا ضرب الرؤوس بنصل هذه المصلة
ولدى الوداع تبادلوا
الفضح - النشيج
فقططيرت - من اوجه - الحفاء
عين زائفة
واجهش من زغب نشيج
فتناولى كفى على صدر المطر
نرمي لطير البحر جمرا
لا مياه، مدجنـه
ونقلب الرمل المؤرخ جرحـنا
دون لنزاـء
نشيج بالفرح - الصهيل



هناك هرثي يرقص القمر

جمال ذكي مطر

١ - كان هذا آخر ما شاهده

بوابة حديبية عالية تنتهي بأسياخ مدبية كالحراب ، على جانبيها نقطقاً مراقبة في كل منها جندى يضع على رأسه خوذة خضراء ويمسك بيده كلاشنكوف « هناك آخرون في نقط حراسة كثيرة تلف هذه الأسوار .. »

في الغرفة التي تقع على يمين البوابة جلس أربعة « صف ضابط » أمامهم منضدة صغيرة عليها « سرفيس » المونيوم على هيئات متوازى مستطيلات تلوّن أطرافهما ببقايا العدس والقيت فيما فنات الخبر وأطراف البصل الأخضر ، موا ليديهم يلتقطون حبات العنبر ، يشاهدون من الباب المفتوح حل الاستقبال الذى أعد للعرس الجديد .

في البداية يشرب الرئيس « شربات » من لكمة تنجر الدم من الأنف لكمة مدربة يوجهها إليه بطل ملاكمه حقيقي ، وعندما يسقط على الأرض ترفعه الأيدي التي تنهراًها أصوات كثيرة متداخلة متجللة أمراة سبابة ، يحتضن عروسه الخشبية ، يلتف حول رسمى يديه المحتضنتين عروسه ، يلتقط جندى مشمع الرئيس ويفرده على الأرض ، ينشر حفنة من الرمال الحجازية النحاسية الخشنة التي تقرش الفناء على المشمع ثم يبرمه ويعقد طرفيه ووسطه في حرص . يسلم المشمع المجنول لجندى آخر .

كان الرئيس يرفع رأسه نحو السماء الصافية فرأه يزفونه إلى عرس الموت يصعدون حاملين قرياناً للشمس الاله منشدين أناشيد جنائزية وأهم يبحرون به نحو الموت .

تلقى الظهر العارى السوطة الأولى فارتعد وتقوس وجزت الضحية على قوارضها وتجمد الوجه وإنسبت عبر ثانياً تعاجيده أنهاي الألم ، ترك المشمع خطأ نارياً نازلاً من عضة لوح الكتب الأيمن حتى الكلية اليسرى .

عوى للعربيس متوقف السجناء لحظة وأذاروا وجوههم صنوب القسام
الجديد فادهالت عليهم خيزرانات الجندي فاكملوا هرولتهم في الدائرة التي
خصصت لهذا .. حين تحول الماء الى صراخ حاد خرج مأمور السجن
إلى الشرفة تباهي الطبيب ، انتقض صف الضابط والقوا بحبات العنبر التي
في أيديهم ..

صاحب المأمور :

- كفني .. زفوة ..

مكوا وثاقه وأشاروا للحرس الباقين وبذات الزفة ، انهالوا
عليه بالخيزرانات : أشباح الطبيب بوجهه ودفع يتبعه المأمور الذي يحدثه
عن مفاتن ابنته التي يبحث لها عن عريسي يناسبها ، طاطا الطبيب راسه
ورضمت طويلاً :

* * *

٢ - التهـى حفل الاستقبال :

سكبوا فوقه دلو ماء ، أخذوه والقوا به في زنزانة منفردة .. أغشـى
عليه مرة أخرى

* * *

٣ - حين أنساق كان رأسه مقللاً بصداع يكاد يفتـك به ياتـيه
موجات متتالية ككلاب مسحورة تنهـش مؤخرة رأسه .. كل جـسدـه
مضمضـع ، غـينـاه متورـتان كخـوـختـين فـاسـدـتـين .. شـفـتهـ العـلـيـاـ مـدـلـةـ ..
تحسس بسبابـيـته خـشـونـةـ اـسـفـلـ سـنـتـيـنـ تـكـسـرـتـاـ ، لا يـسـتـطـعـ انـيـنهـضـ
او يـرـقـ ، لا يـسـتـطـعـ انـيـتـحـركـ اـدـنـيـ حرـكـةـ ، العـقـلـ ذـاهـ فيـ درـوـبـ الذـاـكـرـةـ
الـشـوـشـةـ ، آـنـ كـحـيـوـانـ جـريـحـ وـأـغـضـ عـيـنـيـهـ ..

* * *

٤ - لا شيء هنا يدل على الزمن غير كوة صغيرة تكاد تقارب
السقف المرتفع تطل منها المسماء البعيدة من خلال ثلاثة قفسـانـ
قصيرة غـلـيـظـةـ اـطـلـهـ مـنـهـاـ لـوـنـ الشـقـقـ ..

زحف على ركبـيـهـ وـحـطـ جـسـدـهـ عـلـيـ «ـ الـبـرـشـ » .. البـولـ يـكـادـ
يـغـيرـ مـثـانـتـهـ لـكـنهـ لا يـسـتـطـعـ انـيـنهـضـ اـنـيـصلـ اـلـلـوـنـ المـخـصـصـ لـذـلـكـ ، الغـرـفـةـ
مـظـلـمـةـ يـفـوحـ فيـ جـوـانـبـهاـ عـنـ نـظـرـ الـظـلـمـةـ وـالـرـطـوبـةـ وـالـقـدـمـ يـكـسوـ حـوـافـهاـ
الـسـقـلـيـةـ بـرـبـعـهـ الاـخـيـرـ لاـ بدـ وـاـنـهاـ قـرـبـيـةـ مـنـ دـورـاتـ الـيـاهـ ..

هذه الرائحة تبعث على النوم ، وقعت عيناه على بقع داكنة
متناشرة تصنع لوحات سريالية . . . أيقن أنها بقع دماء . . . انتابه
رعب أزداد مع وقع خطوات الحارس الرتيبة التي تقطع الممر ، انكمش
في الركن وغرق عقله في الليل الذي تسلل . . .
* * *

٥ - آخر مرة أغلق الباب خلفه ، ترك والديه العجوزين وانسحب
في الدرج تلقاه الانزيل ذئب الليل ، راقب حبات المطر الواهنة تنزلق
عن حذائه الميرى اللامع الذى يوقع نغمات منتظمة بكمب الثقيل .

عند طرف العطفة حيا الرفاق الجالسين في المقهى واندس
بيتهم ، رأى الولد الذى يقف دوما أمام صينية المعسل ، في يده مقص كبير
له مقبس أسود يضرب به الطباخ ثم ينشر فوقه المعسل ويرفع الصينية
يضعها على الرف ويعود لينتفح الحجارة من هشيمها ويعيد صنفها على
العاولة ، انكما على نرجيلة ودخل ضمن جوقة المتشدين الذين يوقعون
بشناهم على المباسم فيتحرك الماء في الدوارق بل . . . بل . . .

شم رائحة المعسل . . . حيا الجميع ومضى ، لم يكن يعلم ما سوف
يحدث ، حتى هذه اللحظة كان شخصا عاديا يدخن النرجيلة ، لكنه اطلق
فيما بعد الرصاص .

* * *

٦ - رأى المساجين حين توقيوا في الحلقة كي يرقبوه والحراس وهم
يهوون بعصيهم ، رأى سلاحه وملمة الرصاص المنطلق وروعته وضابطه
وسيناء والبحر واللنس والدلاين تتفجر حوله ، واكتشف في هذه اللحظة
أنه يدخل الزمن من بعدين أحدهما الواجب الآخر المستحيل نهر أحلامه
جميعها .

* * *

٧ - رأى في ذروة الألم حشودا ترفل في الظلام مراثي اعصارها
رأهم جميعا بين الواجب والمستحيل يبعثون أحلامهم .

فلا نسم ..

قالها لنفسه وهو يتحسس ضلوعه المنسقة من ركل البيادات
وأشرت دمعة ترققت أبصار من خلالها التقر يطن من الكوة يرقص
كالمجنون . . .

للتنهي . . .

ستكون قصيدة .. ويكون تهار

هشام مصطفى قشطة

هاكم أمرى
قلبي يستمرى عزف الناي ويعبد
يحيظ كل مقاماته
يجذبه للعمق يضاجعه حتى تتكون لؤلؤة الدمع
فمذ سقطت أوراق الأشجار
تعكر ماء البحر ، وفترت كل الأطياف
سبحـت
وأجلست البوليس بقلبي
وعبـدت النـاي
وعبـدت النـاي
والنـاي رفيقى يغزل لي موتي
يسلبـنى آصرة كانت تمتد عميقاً بين الاشيـاء وبينـى
تأثير قلـى في سرـداب أسود
ياخذـه لـبحـيرات خـارج كـونـى كـى يـسبـحـ فيها
يـجـبرـه إلا يـكتـبـ شـعـراـ
الـاـ فـ مشـكـلةـ وجودـ اللهـ
أـوـ .. شـعـراـ أجـوفـ

* * *

الـنـايـ رـفـيقـى
وـعدـوـ الشـاعـرـ
منـ يـجـطـسـ فـ سـرـةـ هـذـاـ الـكـونـ
يـجـريـهـ حـسـبـ مشـيـثـتـهـ
وـفقـ قـوانـينـ الـأـزـلـىـ الـأـبـدـىـ الـحـبـ
فيـكـونـ الـبـحـرـ
يـسـافـرـ مـنـ قـلـبـ الـرـبـ لـقـلـبـ الاـشـيـاءـ تـكـونـ الـأـعـماـقـ

ويسافر من قلب الأشياء لقلب الرب تكون سماه
 ويكون الطير
 فيخرج منه ملاكا
 ليشتق الصدر باغنيته
 يستاصل منه عفونته
 ويوحد بين الصدر وبين البحر
 وتكون الأرض
 تلم شتات الأنثى المتناثرة
 ويوحد بين الانسان وبين الطير وبين البحر
 وتقلدهم شهبا
 لو يمرق شيطان تصعنه
 ويكون الانسان العشق
 ويكون الانسان الأرض
 ويكون الانسان الانسان

* * *

الناي رفيقي
 وعدو الثائر
 من يصنع من شرف القلب شموسها
 ويسير يجمع آهات الوردة
 آهات النور
 يبئر أضلاع الصدر
 يبئر أنسجة القلب
 يشكل بركانا .. عمرا
 قد أقسم منذ العام الأول بعد الخلق
 أن سيمزق من جامت يده حول الأرض يسيجهها
 ويغض غشاء بكارتها
 قد أقسم منذ العام الأول بعد الخلق
 أن سيمزق من يسطر كل الناس إلى صنفين
 الصنف / الله
 يفرض كل طقوس عباداته
 والصنف / العبيد
 يقسم قربانه
 ان كان دماء يتقبل منه
 أن كان بغير الدم لا يتقبل منه ويكون المحرو

قد أقسم قد أقسم ان ينسف كل دروب التهير
ويغزل أغنية الحرية

* * *

وانا خجل
قلبي يستمرئ عزف الناي ويعيده
يحفظ كل مقاماته
يجذبه للعمق ، يضاجعه ، حتى تتكون لولبة الدمغ
مما سقطت اوراق الاشجار
تذكر ماء البحر ، وترت كل الاطياف
سجدت
واجست البوليس بقلبي
وعبدت الناي
- يا ٠٠٠ ارنستو جيفارا
- يا ٠٠٠ ارنستو جيفارا
سيفي صوتي
وانا غادرني صوتي مذا عبد القلب البابا
وشقاء العالم حاصرني
وانا لا يدفعنى الا صوتي
صوتي سيفي
وانا ابحث عن صوتي كى احيا حيا
يا ارنستو جيفارا اقل لي
اين الصوت ؟
اين الصوت ؟
- ان تدخل ملوكوت الصوت / اليسيف
حطم نايك واتبعنى
حطم دائرة البوليس بقلبك واتبعنى
حيثند يحبس صوتك في سرة هذا الكون
يخلق ديكنا
سيؤذن في الناس
بان ستكون قصيدة
ويكون نهار
.....
ستكون قصيدة
ويكون نهار

الفروند

بسم الله الرحمن الرحيم

فتح الباب الجديد: الصدري بعصبية وقرف بالغين ١١

اندفعت الى أنه نسائم الحياة الحبيبة. فانتعش تماماً. وتبقى
حواسه الخامدة ٠

خطا بسعادة وقيد تلاشت - تماماً - العقبات التي كان يصيّرها
خياله حين يتحرك أو ينفك في الحركة ١٢

أيقظهم صرير الباب المنكرا. متعالت. أصواتهم محتجة تطارده خلال
الشوارع الراكدة ١

لم يهضم هذه الطواهر الشاذة ببساطة . . . فبطوال السينين التي قضاها
معهم لم يكن سعيداً وكان يتبادل معهم - دائماً - الشتائم والشكوى الكبيرة
ureg على شارع جانبي ليختفي عن الانظار بهرت لبات الصوبيوم
وجذبت رائحة أشجار الجوانة والخوخ المصنوفة على الجانبين في رشاقة
ونظام ٠

اصطدم برجل طويل عريض برب فجأة من قلب الشارع . . . يحمل طيناً
من الجوانة والخوخ . . . تذكر أنه جائع واستراح للنظرات الطيبة البسيطة
داخل عيني الرجل تشجع وتناول أحدي التمار فذابت في فمه على الفور . . .
احس بحلوتها تسرى في كيانه . . .
جلس يمدح احسانه قائلاً برجاء :

- انف خارج لتوى من الحجرة المقبرة .

- رمش الرجل الضخم وأدار وجهه فعاد يقول :

- اناك نقى صالح وقد اكرمتني . . . فهل اتشجع وأطلب عملاً . . .
شارعكم النظيف ؟
رفع الرجل الضخم بصره الى لبات الصوبيوم فومضت عيونه مرات
والتار بيده قائلاً بصوت خفيض حاسم :

- سُجَدَ جَدَارًا عَالِيًّا فِي نَهَايَةِ الشَّارِعِ . . إِذَا لَمْ تَجِدْ أَسْمَكَ عَلَيْهِ
نَلَا تَعْدِ ١١

هَرُولَ إِلَى الْجَذَارِ الْمُنْتَصَبِ كَالنَّخْلَةِ وَتَقْرِيسُ فِي الْإِسْمَاءِ الْمُنْقُوشَةِ بِلَهْفَةِ
. . قَائِمَةً طَوِيلَةً يَعْرُفُ بِعُضُّهَا . .

وَصَلَ إِلَى النَّهَايَةِ دُونَ أَنْ يَجِدْ أَسْفَهَ . .

أَرْسَلَ نَظَرَةً مُسْتَحْفَطَةً إِلَى الرَّجُلِ عِنْدَ الدُّخْلِ نَأْوَاهُ ظَهُورُهُ وَتَشَاغُلُ
بِقَطْفِ الشَّمَارِ !!

جَرَ جَسْدَهِ . . يَزْفَرُ أَنْفَاسًا حَارَّةً تَكُوِي بِصَدَهَا شَفْقَتِيهِ . .

وَجَدَ نَفْسَهُ امَامًا بَابَ حَارَّةٍ ضَيْقَةً رَاثِحَتِهِ كَرِيمَةً . .

أَزْدَحَمَ حَوْلَهُ صَبَّيَّةً . . وَبَنَاتٍ وَرِجَالٍ هَبَّا تَهَاتِهِمْ غَرِيبَةً . .

سَكَتَ إِذَا نَهَى أَصْوَاتُ طَرَقِ عَلَى نَحَاسٍ وَاحْتَكَاكِ تَرُوسٍ وَجَلْبَةِ صَبَّيَّانٍ
وَزَكْمَتِهِ رَائِحَةِ شَحْمٍ . . وَزَيْتٍ مُحْتَرِقٍ فَتَهَاوَى إِلَى الْأَرْضِ . .

فِي دَاخِلِهِ شَعُورٌ وَلِيَدٌ بِالظَّفَرِ . . فَالْأَعْمَالُ كَثِيرَةٌ . .

شَنَحَامٌ . . صَبَنِي لَحَامٌ . . مَنْسَاعَدٌ . . أَىْ شَيْءٌ !!

مَجمَعُ عَمَلَقٍ يَرْتَدِي غَرِيبَيَّةَ مَرِيَّةَ عَلَى الصَّغَارِ فَهُشِمَ كَالذِّبَابِ . .
وَجَسَنَ الْفَرَفَصَاءَ بِجَانِبِهِ . .

تَبَادُلا النَّظَرَاتِ لَحْظَةً جَسْمَهَا بِقُولِهِ :

- جَزَاكَ اللَّهُ عَنِّي خَيْرًا كَثِيرًا . . هَلْ تَلْجَقْتَنِي بِعَمَلِكُمْ الْوَفِيرَةِ؟
نَبِشَ الْعَمَلَقَ سَطْحَ الْأَرْضِ بِقَطْعَةِ صَنَاجٍ . . وَأَشَارَ إِلَى شَبَحٍ مُتَكَوِّمٍ لِصَنِّ.
جَدَارٌ حَانُوتٌ تَلْقَصُ مَلَابِسَهُ بِجَطْدِهِ . .

ظَلَبَ بِطَاقَتِهِ الْشَّخْصِيَّةَ . . ثُمَّ فَتَحَ سَجْلًا كَالْجَا تَنْضَحُ حَوْافُهُ بِالْزَّيْتِ
الْصَّقِ عَيْنِيهِ بِالصَّفَحَاتِ ثُمَّ رَمَى الْبَطَاطَةَ وَهَرُولَ مُتَكَوِّمًا فِي مَكَانِهِ . .
تَجْمَعَ الصَّبَّيَّةَ وَدَفَعَوْهُ فِي ظَهُورِهِ حَتَّى الشَّارِعَ الرَّئِيْسِيِّ ثُمَّ رَمَوهُ فِي
أَتْوَبِيْسِ مَسْرَعِ ١١

أَرْتَمَى عَلَى الْأَرْضِ فَاقْدَ المَازَاجَ ، لَكِنْ نَظَرَاتِ الرِّكَابِ تَنَاثَرَتْ فَوْقَهُ . .
حاوَلَ أَنْ يَتَفَادَاهَا . . لَكِنَّهَا كَانَتْ مَصْوِبَةً بِالْحَكَامِ شَدِيدَ . .

أَدَبَرُوا أَعْيُنَهُمْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ جَرَانِهِمْ الْمَفْتوَحَةِ عَلَى صَفَحةِ مَعِينَةٍ . .

تَحْدَثُوا هَمَّا مَعَ الْكَمْسَارِيِّ لَمْصَرْخَ مَوْجَهَهَا الْحَدِيثَ لِلْسَّائِقَ :

- عَبْدُ آتِيقٍ ١١

توقف الأتوبيس .. وقف شرطي إلى الداخل ، اقتادوه إلى القسم ..
فوجد صورته تتصدر لوحة الغائبين !!

سمع النويتجي يرسل إليهم برقية لاستلامه ..
غادر الجميع وقفز من النافذة فوق عربة مطافئ غمز قائدتها التحفز
يجنبهين فانطلق به في الشوارع ..

وصل إلى جبل المقطم فعايقه وأطلق السارينة ..
تبول في دروب الحصى الدبب حتى تشدق حداوه ولسانه ..
وشعر بكراءية حادة لجده الذي ينجز عرقا ..

حين صرخ محجا ردد الفراغ صراخه لاغاظته فتمدد تحت الشمس
الكتشوفة يجز جذورا عطنية يحسو بها فمه ..

أياما طويلا يردد الجبل صراخه .. وتتدخل الطرق أمامه مكوية
متاهة يسقط في داخلها كالفنار ..

- توقف - مكدودا - أمام صخرة ناتئة عازما على الورت تحت ظلها ..
بلا مقدمات اصطدمت عيناه بلافتة فوق الصخرة :
« هنا صومعة المبد الفقير البهارب من جحيم الدنيا !! »

حملق في الداخل .. كان الظلام حالكا داخل بنصف رجل ..
جنبته يد غليظة بعنف ..
ضوء مبهر يعشى عينيه ..

استطاع أن يرى قائد السيارة الذي هرب معه .. واثنين من عتاء
الخبرين !!

وضعوا في يديه سلاسل لها أقفال ورفض الجبل أن يردد صراخه ..
الاكتسوم ..

انطلقت عربة كانت مخفية بشبكة تمويه إلى قلب المدينة ..
فتحوا الباب الصدئ ، والقوه في غيابته وحين صرخ بقوه ليحبس
البهار خارجه اصطفوا أمامه يستقبلونه بابتسمات صفراء باهنة ..

ووجد نفسه - فورا - يبتادلهم الشتائم والسباب والشكوى
للكيدية !!

أحزان العامل عبد الواحد

سعید عبد الفتاح

« الحمد لله ، الحمد لله . قلت لك الف مرة . إن ربنا يعيوض صبرى
خير . جه لفرج والحمد لله » .

أثبلجت تلك الكلمات صبر الزوجة ، وانبسطت أسارير الوجه ، رغم
أنها لم تكن تمام كنه البشري التي يزفها اليها « عبد الواحد » زوجها .

دققت فيه النظر وأعابت التحقيق مرة ومرة ١٠

انتصبت واقفة ، وقبل أن تفاتها بكلمة واحدة ارادت أن تستبقي
ذلك الانبساط ولو للحظات .

كان « عبد الواحد » جهير الصوت . ممتنعا إلى حد ما ، خشن
للشعر ، على عينيه تبدو آثار ارهاق وجهد متوالدين ، يتخللها انبساط
لاغسلات الوجه .

جلبت ضحكاته مرة أخرى ملات ارجاء الحجرة الواحدة . امسك
بقطعة قماش - شبه نظيفة - كانت مستقرة على الكتبة الموجودة بالحجرة ،
مررها على وجهه وراح يجفف جبنته العريضة . فعل ذلك في نفس اللحظة
التي رآها تبتسم وقد وضعت أمامه أوغفة الخبز الجاف وطبق البطاطس
المقلية في الزيت ، وبعض حبات الملح الناعم .

جلست بجواره . شاركته تناول العشاء ، فكرت في أن تبدأ الحديث
عن البشري الذي جاء بها ، لكنها كانت تطعم في الابقاء على الانبساط
أكبر وقت .

ادرها فائلاً :

- مامنالتيش ؟

- والتنبي أنا مبسوطة كده لللى أنت مبسوط .

نالت ذلك في دلال ورقة متابعين ..

- لكن لازم تعرف ان ربنا فرجها والحمد لله .

- طيب الحمد لله - واستطردت - بایه بقه ؟

- البيه المدير استدعاني لكتبه النهاردة .

وقال لي : أنت من الممتازين يا عبد الواحد . وأول دور لك في السكن اللي عاملاته الحكومة للعمال .

اتسعت حدقتي العينين ، زانبسطت مضلات الوجه عن ذي قبل .
كانت تدق زغودة حتى يعلم سكان البيت إن ربنا وفقها لشقة في مساكن
الحكومة . حاولت التغلب على ذلك لكنها لم تفلح ، وخرج الصوت سريعاً
من نافذة (تطل على درجات السلم) في الحجرة الواحدة .

وسرعان ما أغرفت الزوج في أسئلتها السريعة التي تخاللها عرض سريع
تحلل بعض مشاكلها المستعصية .

- يعني خلاص إن شاء الله ؟ أمتني كده ؟

- ربنا يسهل .

- شهر ولا اثنين ؟

- لا . يمكن أقل . شوية .

- والله يا شيخ ما أنا مصدقة ان ربنا هيتوت علينا من الأوضة
ديه . طيب دا الاولاد يا حبة عينى بيقو محصورين وعش قادرین يتلفصوا

- مطت شفتيها - لكن هانعمل ليه (العين بصيرة ١١٩ ٠٠)

- وأطاحت بكلتا يديها وایماء سريعة من الوجه .

- وبالأنت . ساعات تتأخر عن شغلك لنفس السبب ، وطبعاً
ما تقدرين تنزل الا لما تتوفى وتصلى كمان .

واستطردَ .

- طب هو فيه أحسن من شقتك لا تشارك حد ولا حد يشاركك .
وان حبيت أغسل الأطباق وجلالib الأولاد . آخذ دورى زى طابور الجمعية
وأكثُر . كفاسية علينا الشقة ستر وغطا ، والله صحيح صبرنا ونلنا .
قالت ذلك في نفس الوقت الذي كانت ترتديه بعض الأشياء في جانب
الحجرة الداخلية . بينما كان هناك بعض الصبية تعلو أنفاسهم في هدوء .
وتختبئ في هدوء أيضا .

تحركت عينا الزوج وتطلعت إلى الأطفال . شعر أنه لم يبق لا
وقت قليل ، فانتابتة موجة سريعة من الارتياح تنهد على اثراها . مد يده
في جيب سرواله وأخرج علبة سجائر متھالكة . فضها وأخرج سيجارة من
الثلاث الباقية ، وظل يعالجها بحكمة المدخنين . أشعلها ، واستكان بظيره
إلى الكتبة مادا ذراعه أليسى في طرفها السيجارة المشتعلة : عاودت عينا
الحركة ويدت تتفحص جزئيات الحجرة وأشيائها استقرت على الباب وتذكر
ما قد حصل عليه نجnar الحى ثمن الاصلاحات التي قام بها لسد الثقوب
والفتحات التي كان للهوا ينفذ منها .

قال :

- والبيه المدير بيقول إنها من غرفتين وصالات . يعني الأولاد
يناموا مرتججين ويهرخوازى ما هم عازفين ، وكل أوضة لها باب لوحدها
- وخطب بيده على الكتبة في هدوء شديد -

- بس أنا خائفة . دا الحكومة يومها بسنة .

- نصبر بقى .

- وما له . اللي عدى السنين اللي فاتت بيون علينا اللي جاي
أوما لها برأسه . واستقرت عيناه مرة أخرى في الركن القريب على صفيحة
ممثلة بالماء . وبعض الأواني والأشياء .

- وبيقول كمان ليهَا مطبخ عال . وحمام .

وأشارت بكف اليد اليمنى -

- يعني تطبخى في مكان ، وتغسلى في مكان ، وتنامي في مكان
ثانى . شوف العز اللي هاتبقى فيه آ

قال ذلك وهو يداعب الزوجة حينما رأى شعرها مدلٍ على ظهرها و
ضفيرة واحدة . ابتلاع ريقه ، التي عقب سיגارته في فتحة الباب الموارب
في حركة سريعة . وأغلقه بشدة .

كان الصوت خافتًا ، والضوء كذلك ، حامت فراشة حول مصدر الضوء
الخافت والذي كان منبعها من لببة غاز صغيرة معلقة في سلك رباعي ، في
نهاية السلك مسماً أدخل في الحائط الأمامي .

كانت الفراشة قد سقطت وبدأت فراشة أخرى تعاود رحلة السقوط .
انبيت كله نائم عدا حجرته الواحدة ، صوت الوابور ، رائحة الصابون .
شخصية الماء للدفء . افتحت الباب ثم أغلق بصوت مسموع وحركة
علية من الزلاج . وتلاشى الصوت قليلاً - قليلاً .

في الصباح ، كانت الزوجة تقابل تهانى أمل الحى لها بابتسامة
مريرة على الوجه ، وأحساس بنشوة الفوز والانتصار . بما ذلك واضحًا
خلال حديثها . فهى واثقة من نظراتهن . قالت : إنها تتمنى لهن جميعاً
الحصول على شقق في مساكن الحكومة . وأن يوفن زواجهن في الحصول
على ذلك .

احسست أنها تملك طاقة كبيرة من الحركة والتنقل ، بنفس القدر
الذى تشعر به من سعادة . ومن لحظات النسوة فطافت بخيالها تطلق
وتحبب الأمكنة المستحيلة .

حينما انتهى موعد الوردية ، ووقع عبد الواحد في دفتر الانتصاف
كان قد انتهى إلى سمعه من انتشار الملعق باللوجة .

، ان الحكومة قد عدلـت عن القرار الصادر بشأن الاسكان التعاوني
للعمال بتعميلـك هذه الـوحدات الى شركـات الاستئمار الكـبير باسعار مرتفـعة
رـأـن القرـار يـشـمـل اعتـزـامـ الحكومة جـمـعـ هـذـهـ المـبـالـغـ الصـخـمـةـ وـتـخـصـصـ قـطـعةـ
أـرضـ كـبـيرـ تـصلـحـ لـاقـامـةـ مـدـيـنـةـ عـمـالـيـةـ كـبـيرـ . تـسـعـ أـكـبـرـ عـدـدـ مـنـ العـامـلـينـ
وـهـذاـ حـفـاظـاـ عـلـىـ حـيـاةـ العـمـالـ مـنـ التـشـتـتـ وـيـكـونـ العـادـةـ الأـكـبـرـ لهـذـاـ الشـعـبـ
الـأـعـظـيمـ . اـيمـانـاـ مـنـهـاـ بـالـعـمـلـ عـلـىـ رـاحـتـهـ وـتـحـقـيقـ الرـخـاءـ وـالـرـفـاهـيـةـ لـأـبـنـائـهـ»

ولـاـ تـاكـدـ مـنـ ذـلـكـ اـرـتـحـتـ فـرـائـصـهـ ، وـتـقـلـصـتـ عـضـلـاتـ الـوـجـهـ ،
أـحسـ بـجـفـافـ شـدـيدـ فـيـ الـحـلـقـ وـتـغـثـرـ لـأـجهـزةـ الـتنـفسـ عـنـ آـدـاءـ وـظـائـنـهـاـ ، تـاهـ
فـيـ دـوـامـ الـوعـودـ وـالـقـرـاراتـ . أـحسـ بـطـولـ الـثـمـوارـ إـلـىـ الـبـيـتـ فـتـثـاـلـتـ خـطـاءـ .
كـانـتـ نـظـرـاتـ مـنـ حـوـلـهـ . تـبـحـهـ . تـكـيلـ لـهـ صـفـعـاتـ مـتـلـاحـتـةـ . مـضـىـ شـارـدـ
الـذـعـنـ ، مـهـمـومـاـ إـلـىـ حـدـ الذـهـولـ ، وـفـيـ الـمـيـدانـ الـوـاسـعـ الـكـبـيرـ فـقـدـتـ قـصـمـاءـ
الـإـنـدـرـةـ عـلـىـ السـيرـ . فـانـتـحـىـ جـانـبـاـ .

شعر

متقاطعات

* * * احمد زرزور *

(إن البلاد ملائمة بالكائن والمعين)

* * * علوى الواسمي *

* * * مقابض *

أغنى إلى النهر / يعبس
أبعس / يضحك
أشهر حلمي القديم على ضفتيه
وأكتب عن سدة منتهاها انفلات ،
وأهتف :

- ما رايكم - سيدى -
في التماع المقابض
حول
البلاد . . .

* * * فرلو *

ليت كل البنابيع في القلب
لم تنفرد باعتناق النصيدة
فالصحراء اختفت خلف نفط من الوشن
المتحرك ،
والأغاني اشتاهى وجميع . . .
ويلا ليت بعض الشعوب التي تقطن القلب
لم .

تمتنتم
لنجوم
الزوال . . .

انا الذى بدت بالقطيعة /
 المدى مرصع بالف شاهد على
 خيانة الجخور
 لا تصدقى مواسم النفور
 وأعلمى يا طلة القرى :
 « لا تهبط الجبال
 أو تشقق السهول
 ٠٠٠ والدم القديم يمنع الغصون
 عاطب
 الثمار ١٠٠ »

* مسد *

أنباتتني الغيوب الجميلة في ملحة المرأة - المذلة
 أن خرائط أسمى الحجار
 مملقة في دنىء
 المعاول ،
 واستنصرتني بنور القصيدة ٠٠٠

نهل تشعر الآن يا سيدى بالمحبب ٩
 أتسمع سخف الرمال /
 وفي عشيبها
 يستطيع
 . الجنون ١٩٠٠

* هذر *

لماذا تجذبين بين الخراب
 والموت ينبع في مسمعيك ،
 وجن « سليمان »
 عادوا إلى الرقص
 وللقلب فريزوة
 معلقة ١٩٠٠

١٩٠٠، ١٩٠٠، ١٩٠٠، ١٩٠٠، ١٩٠٠

ولماذا تريدينى دفعة للمرانى /
 وقد حاول الضوء ان يحتويك ،
 يلملك بالآية المهمة ١٩ .
 والشموس ماشأ ارذمت فى يمينك /
 وبالجرح : شعشعة
 والدماء : مجلطة
 فوق
 سيف
 الدعاية ١

* دخوی *

الطرق انفلات
 وخلف النواصى متاريس حلم ٠٠٠
 والصين الذى يلعن القاع طوح سفر الخمول
 وها هو في غارة المتخير
 يستلهم
 للناس ٠٠٠

* عصيف *

جرحى هو الاروع المشتهى
 لانتبه - نصفى الصعب -
 واعدل عقال التوحد
 يا نصفى الصعب نمضي معها ، ونزوح الى الحاكم الاممى
 فان زاوجتنا الرادته بالدماء
 اغتصلنا

على
 مظهر
 للعصيف ٠٠٠

* ورد *

يسألنى : هل نطال ؟ ..
 = فاؤون بالورد
 أخطط رأسى
 بصخر
 القحوم ٠٠١

*

القطط في دائرة المظمر

محمد عبد الحليم غنيم

- ١ -

ما عاد يحتمل .. اذن ظبيح »

أكى لنفسه هذه المرة أن ما يحدث له لا يمكن السكوت عليه ..
إلى متى يخفي على أصدقائه حقيقة ما يحدث له ؟

لن يهدقونى ، فليكن ما يكون ، أنا لا أكذب ، وهم يعرفون ذلك ..
ولماذا لا يصدقون أن رجلا يقتل فأررين - وهل هذا كثير - يوماثنين وعشرين
من كل شهر ؟ . سيفقولون لماذا يوماثنين وعشرين بالذات ؟ لكننى مثلكم -
لا أعرف . سأقول لهم لا أعرف وسيصدقوننى . غير أنهم سيفقولون نويد
دليلًا ، أرنا الفثران .. ولهم حق . في ذلك لأن قتل فاريين مرة واحدة في هذه
الأيام أصبح مستحيلا . رغم كثرتها - هناك من يقول أن الفثران تؤلف
فيما بينها جماعات سرية منظمة وأنا لا أصدق ذلك ، كل ما أعرفه أنها
كثيرة جدا - من حسن حظى أننى لاحظت بجمعي للفثران التي
قتلتها ، لن يستطيعوا في هذه الحالة أن يكتبونى ، سينكون مشهدًا مثيرا
عندهما يرون أربعة عشر نارًا قتلى قد تكونوا على شكل هرم يعلوهم أصغرهم
حجمًا . فطلتها في سبعة شهور لأن $2 \times 7 = 14$. وهم لا شك يحفظون
جدول الضرب . سأضحك من كل قلبي عندما أراهم يرتدون خوفاً من رؤية
الفثران .. أنا لا أعرف لماذا يخانون الفثران ؟ « إنها كائنات لطيفة
وجميلة »

سأقول لهم ذلك ، سيفقولون لماذا تقتلها اذن ؟ سأقول لهم .. ماذا
أقول ؟ لأننى أحبها . سيفقولون وهل هناك محب يقتل محبوبه ؟

ستأتول لهم لأنى أخاف عليهما . وانتم كما تعلمون : حجرتى صغيرة .
 سينية التهوية ، لا توجد بها نافذة واحدة - ومع ذلك لا اعرف . كيف
 تستلات الفئران اليها ؟ .. ربما لكي أقتلها ؟ - ثم أنها لا تحوى أى مأكولات
 غير الكتب . سيقولون قتلتها ادن . لأنها تأكل الكتب . ساقسم لهم أننى
 لا أفعل ذلك من أجل الكتب . وعلى العكس . فهو لا تأكل غير الكتب الرديئة
 وساقول لهم دون أن يسمعوا « وانتم ادرى بكتبكم » . سينتظاهرون
 بالغضب ولذلك سانتهز الفرصة حكاية الغارين يوم الاثنين وعشرين من كل
 شهر من جديد .

على أن أذهب اليهم الآن ، الساعة تقترب من الثامنة والنصف ..
 توقيت مناسب ، سيكونون كلهم حضور ؟ ساحكي لهم مباشرة ، لن اتردد
 هذه آلة ، ساحكي قبل أن تغسل رومسهم بالشراب - ربيبة هي الخمرة
 التي يترعونها - قلت لهم أن هذا نوع ردئ ، ويجب أن نغيره ، لكنهم
 ساحكي لهم عندهما أصل مباشرة .

- ٣ -

للاصدقاء قص حكايتها مع الفئران ، دهش ارد فعلهم عندما وجد الجميع
 بلا استثناء يصدقونه . بل سروا للحكاية من البداية حتى النهاية . شعر
 بالاطمئنان وزاده اطمئنانا انهم لم يبدأوا الشرب بعد . ومن ثم أخذ يشرح
 كيف يمسك بالغار ويقتله دون أدنى مقاومة منه ؟ وأنه يستخدم في ذلك
 شيئا صلبا ، أي شيء ، ينبعض به الغار ، بمجرد أن يلمسه يضحي قتيلا .
 وأنه قد يقتحمه بكتابه ردئ ، وأحيانا بحصوة كبيرة . تبقط من السقف المتهالك ،
 وأنه في المررة الأخيرة استخدم سباعته القديمة التي غلب في اصلاحها .. كانوا
 بنصتون اليه باذان مفتوحة ، وعندما انتهت وساد الصمت الجمیع ، نشط
 صاحب المنزل الذي يجلسون فيه .. ثم قال :

- يوم الاثنين وعشرين ؟

رد في فتقة تغلبها ابتسامة قاسية وقد لاحظ ثبرة الشنك في لهجة
 موحشة : «

- نعم يوم الاثنين وعشرين من كل شهر .

- ليلا ..

- نعم وغالبا ما يكون ذلك بعد منتصف الليل ..

نظر صاحب المنزل - ركان ضخما - في ساعته ، ثم انتقل ببصره إلى زوجته بادلته نظارات أذيلها القهر ، بيد أنه بدا مرتبا ، وكانت جميلة وذات رائحة نفاذة - المرأة الوحيدة وسط الحضور - قال صاحب المنزل : وقد اختفى ارتباكه بينما كانت تعضر - هي - شفتيها :

- لن تكون هنا يوم اثنين وعشرين .

فقال بلا مبالغة ، وكان ثمة دم يتساقط من نم المرأة :

- لا بأس لا يزال في حجرتى فثran كثيرة .

وهنا صاحب صريح ، بدا أنه لم يستمع لما دار أمامه ، في تهلل وسزور :

- فكرة مدهشة !

بارقياب نظر اليه صائد الفثran ولم يقل شيئا بينما استمر هو موجها حديثا إلى بقية الجموع الذين بدأوا ينتبهون لوجوده :

- مكتب تصدير للفثran .

- فكرة مدهشة !

صاح الحاضرون صيحة كورس مدرب في حين نظر صائد الفثran إلى الأرض وقد خيل إليه هرم الفثran يعلوه أصفر فار يكبر ويكبر حتى يساوى هرم خوفو .. ثم بدأت البسمات تعلو الشفاه والضحكات تتراقص في الهواء ، وارتاحت المرأة بطة الرقص ، ووقف صاحب المنزل يملأ الكؤوس للأصدقاء . يحدث كل هذا وفجأة يقوم صاحب الفكرة المدهشة ليقول :

- خسارة ، فاران كل شهر لا يفتحان مكتبا .

- فعلا ..

قال الجميع وهم يرتفعون الكؤوس إلى طوقهم . واستمرت المرأة في الرقص وهي تقول :

- لا بأس .

وقال صائد الفثran وقد أخذ الأمر ك مجرد مزاح ، وهو يبتسم :

- فعلا ..

عندما قاربت السهرة على الانتهاء ، قام صائد الفثاران ، وهو راض عن نفسه تماماً بكل أنهم صدقوا . لم يكن يريد أكثر من ذلك ، كما أنه لم يكن الليلة في الشرب ، ولولا الحاج صبيقه ، صاحب المنزل لما كان شرب .

كانت الساعة تقترب من الثانية صباحاً وهو في طريقه إلى حجرته وثانية ، الطريق موحشة وخالية من المارة والعربات ، زادها وحشة اخنفاء القمر خلف سحابة صيفية رقيقة ، امرأة ترقد في مصباح شفانا يبدو جسدها الأبيض الناعم خلف القميص فاتنا ومثيراً . ابتسם لنفسه وهو يتخلل القمر امرأة تصعد معه الحجرة . بيده أن القمر احتاج على هذا الأسلوب . بدأت السحابة تتشقّع وأخذ القمر يسترد - تدريجياً - هيبيته وبعرض سيطرته على الطريق . اختفت المرأة وبدا في الأفق رجل عاري الوجه والمصدر يشع من عينيه بريق حاد . لكن الطريق لا يزال موحشاً وصامتاً .

أصوات يعرفها جيداً قطعت هذا الليل الموحش ، تلأت حوله لم بحد شيئاً ، يزعجه صرير الفثاران . توقف عن السير ، اقشعر جده وبدأت شعيرات نافرة فوق حاجبيه وعلى ساعديه وتحت ابطيه والثلاث شعيرات التي في صدره تقف مؤيدة لهذا الخوف « يربعني صرير الفثاران » . تطلع إلى القمر في توسل . خجل من نفسه وعندما نظر إلى الأرض وجد فارين يسيران على ذيلهما وأرجلهما الخلفية أمسك على الفور حجراً ، وجده أمامه ، وقفز به لفارين . اختفى الفثاران وتخرج الحجر بعيداً ، وعندما اقترب منه ليمسكه من جديد وجده فاراً . ارتد إلى الوراء - « أخاف لس الفثاران » - خائفاً . بحث عن حجر آخر لم يجد ، وكان لفاران الأولان قد عادا إلى الظهور مرة أخرى ، يسيرون أمامه ثلاثة فثاران ، « شيء صلب أي شيء » لم يجد غير قلمه قذف به الفثاران تحول إلى فار رابع سار بجوار الآخرين . قذف بكتاب في يده الفثاران الأربع تحول إلى فار خامس على الفور « من المؤكد أنني أظم » خط حذاه تحول إلى فارين . خلع معنفه الثقيل . خلع بنطلونه . خلع قميصه . الطريق تزدحم بالفتران . لم يبق غير ملابسه الداخلية ، قذف بها أيضاً . الفثاران تحيط به من كل جانب ، تحظى حوله . تسد عليه الطريق ، سقط مغشياً عليه .

احتفى القمر من السماء - عندما سقط - بينما انسحب الفثاران في صمت جنائزي ، كبيرهم فقط هو الذي قال في ثقة كانت تتحقق صائد الفثاران :

- هو المسئول . ما كان يجب أن يبوج .

عيون بلا ذاكرة

طلعت سنوسى رضوان

تسمرت عينا الأول على وجه الثاني ، وعبا الثاني على وجه الأول ، كل عينين تمسح وجه الآخر . تحركت العيون الأربع ثم تجولت بعيدا .. الوجه مالوف .. ثمة وقائع غريبة .. طازجة .. سخنة تلهب الذكرى في الراسين .. ولكن اين ؟

اشتعلت الذكرى بلا جدوى .. احمر الوجهان ، وانحرف كل راس بعيدا عن اتجاه الآخر . انسحبت العيون ولم تتمدد تتواجه ..

حاول الاول ان يتسللى بائى شىء ، انشغل بقراءة الارقام على عمود محطة الانوبيس . تشاغل الثاني بقراءة أسماء الأطباء والمحامين والمحاسبين على واجهة اللبنى المقابل للمحطة . تسللى الاتنان بالبطاقة في وجوه السنايرين والواقفين ..

تلقت العيون الأربع من جديد . بسرعة تجاوزت العيون حدود المكان انزرت في المحاجر دوائر الكترونية للتذكر ..

قال الاول وهو يلعن ذاكرته : كانى عاشرته لأيام عديدة ..
تعجب الثاني من نفسه وقال : كانى أعرفه من زمن بعيد ..

.. نظر الأول ان يتحول الكلمات الى صور .. رأى الثاني في مكان قريب الى الوجدان ، يرتدى نفس البلوفر الرمادى .. الراس الضخم والجبهة العريضة ، الشعر الخشن ، الحاجيان الكثيفيان يبرز منها أنف عريض

مفتحتين كبيرتين كقبوين مظلمين ، الشعر الكثيف على باب الفوهةين يسد الطريق الى الداخل .. يا ربى .. نفس الشعر الذى كلما رأيته ، تذكرت الحناينى يشخب الأعشاب بمقصه الكبير ، والفن المفتوح دائمًا ، وتجاويف الأسنان المكسرة .. الشفتان اللذيتان السمراءوان .. لا .. انهم اتراب الى الزرقة المخضرة او الاخضرار المزرق .. حتى الكرش المتلوي يقتضم العينين .. زفر بقوه .. نجاة يقفز سلام البيت الذى يسكن فيه .. ايعلم ان يكون هو ؟ أحس نارا في راسه .. الصور تتلاحم والذكرى تتبدل ..

استمر الأول يعصر مخه في تحريك الصورة ، بينما الثاني يستحضر بعض الصور عليه يتذكر ..

تمددت الكلمات وضاق الصدر .. صرخ الأول في داخله : أين ومتى ؟ .. وفي رأس الثاني كانت الحروف السنة لهيب : كانى حادثته بالامس .. ولكن أين .. أين ..

جادل الانسان لشىء واحد ، ولا أمل ..
تاخر الأتوبيس وتناثلت الذكرى ..

قال الأول : فلا يبسم له .. ولم يفعل ..

فكر الثاني أن يقترب منه ، ولم يفعل ..

زوجعة صنعتها الاكتئاف والأقدام عند اقتراب الأتوبيس .. كان الباب بشرا لا يبین منه حيد .. هجم الناس على الكتلة اللحمية ليتوحدوا بها او يضيعوا فيها .. هم الأول والثانى بالهجوم .. راودهما أمل واهن ، تعلقا به ، ماتهما الأتوبيس نصف الحديدى نصف لللحمى ، وتكلست الذكرى ..

فات أكثر من أتوبيس والتىodium حول العنق تتكاثر وأوتاد الروح تتجذر ..

جاء ناس وذهبوا وآخرون وذهبوا .. الكل يهجم ليمسك بشىء ما ، أى شىء .. المهم يكور قبضته ليقبض بها ، أو ينقض بها .. هجم الأول والثانى مع المهاجمين ، انقضوا على الكتلة اللحمية العظيمة ، تعلقا بها ، ليذوبا فيها ..

حـلـمـ

السيد ابراهيم عطية

ذات مساء كنت منتظرا بمحطة الاتوبوس حتى استقل واحدا الى حيث اقطن بأحد أحيا العباسية في غرفة تعلو سطح عمارة قديمة .. إنها غرفة واحدة متوسطة الحال والاتساع ولكن ايجارها الشهري يمكن ان ينفق على اسرتي شهرا كاملا ..

.٤٦٦.

كنت منتظرا واقفا حيث لا مكان للعقود ، واضعا يدي على صدرى في وضع متشابك ، واذا بعينى وهى تدور بين الناس تلمع في الزحام عين امرأة فاتنة ، فما وقفت رحلتها على الفور واعتنها من حيث انت حتى اعتر على هاتين العينين الجذابتين ، وبعد بحث قليل عثرت على ضالتى ، فاطلت النظر اليهما محققا متبعدا ، ووجدت ان العينين لوحة رقيق يحمله قد ممشون فاتن ، ولك أن تتصور شدة فتنتي بها حينما تعرف انى احترت من اين ابدأ رحلة التأمل ؟ أمن شعر ذهبي ناعم يطير مع الريح ؟ أم من ساقين ممتلئتين بيضاوين كلبن حليب طازج ؟ أم انظر الى ثغر صغير معتقد وشفتين كزهرتى بننسج ؟ أم انظر الى نهدين شاذين يربidan التحرر من قيودهما ؟ أم انظر الى قواهم فاتن كفنهن يتمايل زهوا بما يحمل من ثمار طيبة لذة للناظرين ..

وافقت من رحلتى ١١ ..

افقت من رحلة الاكتشاف على نظرة من عينيها تدعوني ان اذهب هناك لاتبعد في محارب الفن والجمال ، ولم اصدق عينى لمحرت يدي وفركت عينى حتى اتأكد ... وتأكدت من صدق ما رأيت حينما غمزت لي بطرف عينها في اشارة واضحة ان اتبعها ، ووجدت نفسى امسير وراءها كأنها تجربى بحسب منين ، بينما نظراتها الخالفة تحمل لي وعدا كثيرة مغربية حتى لا افقد

الامل واثور على قيدي ، وكانت ذكية عندما وقفت تنتظرني حتى اسیر
الى جوارها .

نظرت حين اننى لم استطع التحكم في ساقى ، حتى وجتنى واقترا
امامها تماما ، حتى كاد وجهى ان يلمس وجهها ، ولم يرددنى الا انفاسها
المعطرة الحارة ونظرات التوجس من البحر العميق .. ، فافتقت واعتدلت
واردت ان اكلمها ، ولكن كلامي خرج انفاسا فقط ، ولكنها كانت رحيمة
بى حينما وضعت يدها في يدى وسرنا الى حيث لا اعرف ، وخلجت من
نفسى عندما احسست ببرعشة تسرى بجسدى حينما وضعت يدها في يدى ،
فضاغلت نفسى بالنظر الى تلك الانامل الرقيقة غاصبا اصابعها لاتاكد هل
هي خالية ام مخطوبة ام متزوجة ،

وصحوت من خيالى على صوتها ينادينى ان اصعد معها لامر هام ..
وسبعت بالخوف ورفضت واردت العودة ، ولكنها نظرت الى نظرة اخذت
عقلى فلم اشعر الا وانا جالس على كرسى انيق في حجرة استقبال انيقة
بها تحف وصور قيمة ، ووقفت كى انادى عليها قائلا بان لا جدوى من اى
مشروب ، فانا على عجلة من امرى ولكنى لم اعرف لها اسمها حتى الآن ،
فتحركت خطوة ، ثم خطوة ، ثم نظرت من الباب فوجدت ردهمة طويلة كائنة
سرداب قصير من سراديب قصور الف ليلة وليلة فدخلت فيه حتى آخره ،
ووجدت حجرة جميلة .. ويا هول ما رأيت ..

.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
.....
من الذى اتى بك هنا يا امى ، من الذى تيدك وكبك تلك الاغلال ،
من الذى مرق ثيابك هكذا يا اماه !! ومن اى شى تبكين حتى تقيحت
عيناك .. من فعل بك هذا يا امى .. ثم .. لماذا جئت الى هنا
امالا ، هل تعرفيين هذا المكان .. قولي يا امى ارجوك .. قلتها صارخا :
قولى لى يا امى ارجوك !! ..

وانفتحت على لذة خفيفة من رجل وافق مثلى منتظرا الاتوبيس قائلا
لى : اتكلم نفسك يا رجل .. ؟

فنظرت اليه بخجل ، حامدا ربى انها شطحة من شطحات الخيال ،
وراجيا الا يكون هذا الرجل قد قرأ انكارى ، ومانعا عينى من النظر الى
النهاية التى وجدت بها لفافته حتى لا اسرح مرة أخرى ..

حوار العروض

مع الناقد الأدبي : و- على عشرى زايد

اجراه : أحمد جوده

٠٠ عادة ما يثير الناقد المعروف د. على عشرى زايد ضجة واسعة في الدوائر النقدية والاكاديمية بدراساته وكتبه التي تتناول انتصريدة الحديثة ، فقد قصر د. زايد جهوده النقدى على الشعر الحر تتظيراً وتطبيقاً كما انه حصل على درجتي الماجستير والدكتوراه في دوسيوعات تتضمن بالشعر الحر من جوانبه العديدة ، فقد كانت رسالته للماجستير « موسيقى الشعر الحر » أول دراسة تطبيقية لموسيقى القصيدة الحرة في مصر ، أما رسالته للدكتوراه فقد كانت حول « استدعاء الشخصيات القرآنية في الشعر العربي الحديث » ، وقد اعتمد د. على عشرى زايد باقامة جلسات مشتركة بين الشعر الحر والجمهور العادى ، وكانت محاضراته في دار العلوم حول القصيدة الحديثة من أهم عوامل القضاء على اختراق الشعر الحر في دار العلوم أحد مفهول النقاش المحافظ ، وهي محاضرات جعلت منه إبا روحياً للعديد من شعراء دار العلوم الشباب .

٠٠ حول اختراق الشعر الحر في بلادنا ، وتطور القصيدة الحديثة ، وقصيدة التحرر وموسيقى الشعر نحاور د. على عشرى زايد أستاذ ورئيس قسم النقد بدار العلوم .

٣ أسباب :

٠٠ « الشعر الحر » لا يتمتع برغم عمره الطويل نسبياً باى تأثير شعبي يذكر بخلاف الشعر الع Woody . ترى ما تنسرك لتجاهل « الجمهور العادى » بل وشرائح واسعة من المثقفين للقصيدة الحرة !!؟

- مسئولية هذا الوضع يتحملها ثلاثة أطراف هم الشاعر والقارئ، والناقد، فالشاعر بأسراه أحياناً في قطع الجسور بينه وبين الشكل الموروث للقصيدة العربية ، الذي تكون في ظله ذوق القارئ العربي ، وتشبعت أذنه باصداه، أيقاعاته الفخمة ، وأصبح من الصعب عليه أن يتحاور بسرعة مع أي شكل يثير ذلكره للشكل الموروث الذي ثأره وتربى عليه ، والقارئ، بكسله وعزوفه عن محاولة استيعاب الشكل الجديد ، وهذا الكسل والعزوف مرده إلى الظروف الثقافية والحضارية المختلفة التي يعيشها القارئ، العربي في مجتمعه ، أما الناقد فهو - بدوره - لا يقوم - على الوجه الأكمل - بمهنته الأساسية . وهي التعريف بمصادر القصيدة الحديثة ، وبما فيها من تكتيكات غريبة على ذوق القارئ العربي وعلى فهمه .

٠٠ لكن الشاعر ليس مطالباً - بدوره - بشرح قصيدهته للقارئ ، أضف إلى ذلك أن « القولبة » كما يقول شعراء ديدون من أهم آفات الدراسة الحرة الحديثة !

- الشاعر حين يكتب لا يكتب لنفسه ولا لجموعة من خاصته يفهمون عنه ما يقول ، وإنما المفروض أن يكتب للجماهير العربية من المثقفين على القتل ، وهو مطلب بایجاد جسور توصيل بينه وبينهم ، ولا تتصل هذه الجسور في مجرد وضوح الرؤية الشعرية ، وإنما تتمثل قبل ذلك في الالتزام بنقاليد الشكل الأدبي الذي يكتب في إطاره ، والفارق الأساسي بين « الفن » و « الهليان » هو خصوص الفن لتقاليده وقيود فنية محددة ، اكتسبتها الأشكال الفنية عبر رحلتها الطويلة منذ بداياتها السائحة ، إلى أن اكتملت أشكالاً ناضجة ، ولا يمكن اعتبار مطلب الشاعر بالالتزام بجواهر هذه التقاليد « قولبة » ، والشاعر وراء الالتزام بالادسنس الفنية في الشكل الذي يكتب فيه حر في أن يتتجاوز الأجيال السابقة كيف شاء ، بل هو مطلب يتتجاوز هذه الأجيال لكي يبرر وجوده كجيل شعرى جديد .

٠٠ لكن ما تقييمك للدعوات الراوية إلى وضع « قصيدة الفثر » في مواجهة القصيدة الموسقة !

- لا يستطيع الشعر أن يتخلص من عنصر الموسيقى بشكل نهائي ، لأن الموسيقى مكون أساسي من مكونات الشعر . . أي شعر ، ومن الممكن أن تختلف « انماط الموسيقى » من عصر إلى عصر . . ايتاء . . قوافي ، الخ ولكن الشعر لا يستطيع أن يتخلص منها كلية ، أما قصيدة النثر فلم تتحقق رواجاً يذكر لافتقارها عنصر الموسيقى ، فضلاً عن أنها ليست أول محاولة

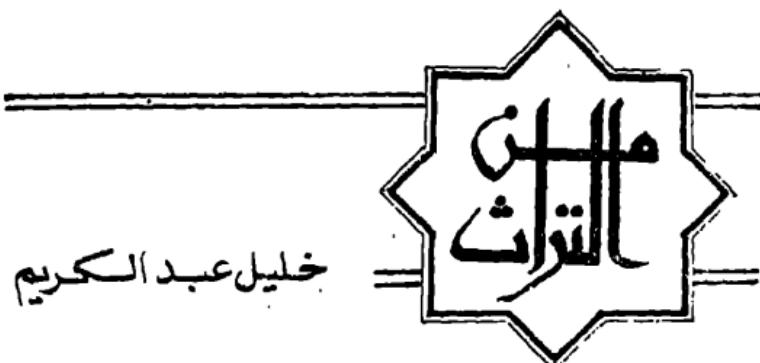
في هذا المجال ، للتخلص من عنصر الموسيقى ، لقد كتب الكثيرون الشعر المنشور منذ مبكر جدا في تاريخ أدبنا الحديث ، ولم تستطع محاولاتهم أن تكون بديلا عن القصيدة القائمة على عنصر الموسيقى .

٠٠ هنالك من يرى أن القصيدة الحرة قد وصلت إلى مازق حاد ..
والبديل الوحيد للخروج من هذا المأزق يمكن في فتح باب الدراما الشعرية
على مصراعيه ٠٠ ترى لماذا لم نجد مسرحا شعريا حقيقيا لدينا ؟ !

- هذه المقوله صحيحة في عمومها ، فكل الذين كتبوا المسرح الشعري في بلادنا شعراء غنائيون ، ليست القضية قضية الشعر العربي في ذاته ، بل طبيعة من يكتب المسرح الشعري ، كاتب المسرح الشعري لا بد أن يكون شاعرا ودراما في آن واحد ، ولابد أن يكون شاعرا دراما ، والوافع أن الشعر الغنائي أكثر طغيانا في كتابات شعراينا الذين كتبوا المسرح الشعري ، ابتداء من شوقي ، ولكلهم جميعا لم يكتبوا المسرح الشعري إلا بعد تجربة طويلة مع الشعر الغنائي ، على كل حال يبقى أن أرجح القصائد الحديثة هي القصائد ذات الطابع الدرامي .

٠٠ الشعرا يؤكدون أن الفقاد منعزلون عن الساحة الشعرية
ترى ما مدى صحة هذه المقوله من وجهة نظرك ؟!

ليس صحيحا أن النقاد منعزلون عن انساحة الشعرية ، أو أنهم لا يتبعون ما ينشره الشباب ، لكن المتابعة شيء ، وجود ما يستحق شيء آخر ، والدليل على ذلك أن النقاد كتبوا عن النماذج الناضجة من إنتاج الشباب .



خليل عبد الكريم

بنت صدابي جليل ترفض النقاب

هي عائشة بنت طلحة بن عبيد الله التيمي وام كلثوم بنت أبي بكر الصديق ، وختانها : أم المؤمنين السيدة عائشة وأسماء ذات النطاقين رضى الله عنهم جميعا .

اما أبوها فهو الصحابي البطيل طلحة ، من العشرة المبشرين بالجنة واحد الابطال الذين أبلوا احسن البلاء لنصرة دين الله وله في موقعة أحد موقف دل على شجاعة بالغة ، فعندما خالف الزمرة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم كر المشركون على المسلمين واحدقوا بالنبي عليه السلام من تلك ناحية فثبتت طلحة رضى الله عنه على رأس المدافعين عنه حتى ان سعد بن أبي وقاص - وهو من هو اقداما وجرأة - قال عنه (رحم الله طلحة كان اعظمانا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد) وقال عنه الرسول عليه السلام (من أحب أن ينظر الى رجل يمشي في الدنيا وهو من أهل الجنة فلينظر الى طلحة بن عبيد الله) .

اولئك هم أهل عائشة بنت طلحة وتلك هي البيئة التي تربت فيها وخلقها الله ظيفة الحسن والجمال ولكنها لم تستر وجهها من أحد مع العفاف وانحصانة الكاعلين وكما وصفت نفسها (والله ما في وصمة يقدر أن يذكرني بها أحد)

تعليق

لو أن النقاب أمر لازم شرعاً لما تركته عائشة بنت طلحة التي بلفت من العلم درجة أدهشت الخليفة الاموي هشام بن عبد الملك فسألها عن مصدره فأجابـت (أخذته عن خالتـي أم المؤمنـين عائشـة رضـي اللهـ عنها) .

وأجمع المؤرخون على أنها أجمل نساء عصرها بلا مدافع ، والدعاية العالم أبو هريرة رضـي اللهـ عنه - الذي اهـلات دواوينـة الصـحـيـحة برواياتـه لأحادـيثـ المـصـحـومـ عليهـ السـلامـ - رأـها ذاتـ مرـة فـلمـ يـنـهـلـ نـفـسـهـ انـ ذـالـ (سـبـحانـ اللهـ كـانـهـ مـنـ الـحـورـ العـيـنـ) .

نسوق هذه الواقعـةـ إلىـ بـنـاتـناـ اللـاتـيـ يـتـمـكـنـ بـلـبـسـ النـقـابـ وـتـذـكـرـهـ بـأـهـنـهـ لـسـنـ بـدـيـنـ اللهـ مـنـ عـائـشـةـ بـنـتـ طـلـحـةـ وـأـنـ خـلـثـهـ الصـدـيقـةـ بـنـتـ الصـدـيقـ ، رـضـوـانـ اللهـ عـنـيهـمـاـ ، كـانـتـ تـرـاهـاـ لـاـ تـسـتـرـ وـجـهـهـ مـنـ أـحـدـ فـلـمـ ذـكـرـهـ عـلـيـهـاـ وـحـاشـيـاـ لـهـ أـنـ سـتـعـتـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ عـماـ يـفـضـبـ اللـهـ تـبـارـكـ وـتـعـالـىـ .

ونـؤـكـدـ لـهـنـ - وـخـادـمـةـ طـالـبـاتـ الـكـيـاـتـ الـعـلـمـيـةـ - أـنـ الـاـهـتـمـامـ بـتـحـصـيلـ الـعـلـمـ وـالـاخـالـمـ فـيـ تـعـلـمـ وـالـمسـاـهـمـةـ الـاـيجـاـبـيـةـ الـفـعـالـمـةـ فـيـ حـلـ ماـ يـدـفعـ مـجـتـهـعـاتـناـ لـلـخـرـجـ مـنـ وـهـرـةـ الـتـبـعـيـةـ وـالـتـخـلـفـ أـقـرـبـ إـلـىـ اللهـ جـلـ جـلـهـ وـأـوـلـىـ بـالـاـهـتـمـامـ لـأـنـهـ غـدـتـ مـنـ الـفـيـوـضـ فـحـيـنـ أـنـ وـضـعـ النـقـابـ - حـتـىـ وـكـوـسـادـهـ جـدـلاـ بـجـهـهـ تـظـارـهـنـ - مـنـ (ـ الـمـذـوبـاتـ) وـلـيـسـ هـنـاكـ أـدـنـىـ تـشـرـيبـ عـنـ تـرـكـهـ كـمـاـ تـوـحـيـ بـهـ سـيـرـةـ عـائـشـةـ بـنـتـ طـلـحـةـ ، خـاصـةـ أـنـ هـذـهـ (ـ الـمـذـوبـاتـ) تـمـسـ الـاسـلـامـ بـعـدـ أـنـ أـصـبـعـ الـعـالـمـ قـرـيـةـ كـبـيرـةـ لـتـعـاظـمـ وـسـائـلـ الـاعـلـامـ بـمـخـتـلـفـ الـنـوـاءـهـ وـنـتـامـيـ طـرـائقـ الـاتـصالـ بـيـنـ الـدـوـلـ وـالـشـعـوبـ ، وـقـبـرـزـهـ بـمـظـهـرـهـ بـرـىـ ، مـنـهـ لـأـنـهـ دـيـنـ (ـ الـعـقـلـ وـالـتـفـكـيرـ) وـعـدـمـ الـجـمـودـ عـلـىـ الـقـيـمـ الـمـوـرـوثـ الـذـيـ لاـ يـنـاسـبـ عـصـرـنـاـ ، وـعـنـدـمـ فـهـمـ سـيـلـغـنـاـ (ـ كـيـاـجـ الـاسـلـامـ عـلـىـ وـجـهـ الـصـحـيـحـ) حـقـقـتـواـ الـحـضـارـةـ الـتـيـ بـهـرـتـ الـعـالـمـيـنـ .

وـالـلـهـ الـهـادـيـ سـوـاـ السـبـبـ



المُتَجَيِّلَةُ وَالشَّرَادَةُ عَلَى الْوَاقِعِ فِي رِوَايَةِ «حِجْرَدَافٍ»

شمس الدين موسى

أصدرت الكاتبة والناقدة د. رضوى عاشور رواية جديدة بعنوان «حجر داف» تظهّرنا في فترة من أهم فترات حياتنا، التي عاصرنا مختلف وقائعها في سنوات السبعينيات - ابان ارتفاع الم الشعبي والطلابي في كل مكان - كي يعبر عن مختلف التناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي حصلت عبء التعبير عنها مجموعات الطلاب ، انتى انتشرت في كل مكان ناشرة لواء الرفض .

تتحرك تفاصيل الرواية بين مجموعة من الأبطال ، يشكّلون أسرتين متباورتين ومتقاربتين ، هؤلاء الأبطال هم «شمس» ، وبشري ، وأمينة ، وعلى ، ومنيرة ، عبد التواب ، وسلمي ، ومديحة ، وطه ، وسيد .. الخ كلهم تقريباً ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الصغيرة ، من خلال تواجههم الفردي والجماعي ، وهي النساء التي رأت خلاصها عن طريق التعليم الجامعي فانخرط أبناء الأسرتين المتداخليتين ، في علاقة اجتماعية بحكم الجاملة بالاضافة إلى الزوجتين «شمس» ، ومنيرة » اللتين تزوجتا صغيرتين ، وأقامتا في منزل واحد بحى منيل الروضة ، عندما كان لا يقيم في تلك الاحياء الا أبناء الطبقة الوسطى ، ولقد تدمعت العلاقة بين الأسرتين أكثر بوصول أبناء هاتين الأسرتين إلى الجامعة «أمينة ، وعلى ، وبشري » . وسرعان ما يجد القاريء أن الواقع المبكر لبعض أفراد هاتين الأسرتين قد جعلهما داخل بورة الشعور الاجتماعي العام ، وذلك بمجرد مشاركتهما فيما اضطرد من احداث داخل الجامدة ، حيث الرغب المارم لختلف السياسات التي كانت الحكومة تمارسها في السبعينيات . وتثاجاً الأسرتان للitan تعيشان في بيت واحد - الأسرة الأولى أسرة عبد التواب زوج منيرة والد أمينة ، والأسرة الثانية أسرة أحمد الذي توفى مبكراً تاركاً منيرة الزوجة وطفليه على وبشري - تفاجأاً الأسرتان بنياب على ابن شمس وأمينة ابنة عمه عن البيت ، حيث يعرف

الجميع بعد فترة انهم يشاركان في اعتقاد الطلاب بجامعة القاهرة ، ومن ثم يتبعهم مع ١٥٠ طالب في فجر أحد الأيام ويرحلون إلى السجون المختلفة .

وسط السرد لتفاصيل حياة الأسرتين يشعر القارئ أن الكاتبة رضوى عاشور تمزج بطريقة غير مباشرة ، لكنها محسوسة ، ظروف تلك الأسرة بالظروف العامة التي يعيشها المجتمع ، فالأسرة هنا تمثل عينه جيدة للغاية للثبات والطبقات المصرية من أبناء المدينة ، الذين بدأوا يدخلون دائرة الوعي منطلقياً من الخاص عبر ارتباطهم بالظروف العامة . حتى يتحول الخاص إلى عام ، والعام إلى خاص في ذات اللحظة . فاشتراك كل من أمينة وعلى في الاعتصام أوجد بينهما الشيء الخاص الذي سيربط بينهما ، ومن ثم يتحوالان في مرحلة تالية إلى كيان اجتماعي واحد ، بزواجهما في سن مبكرة لقد ربتهما الرفض والسجن ، كما لم يربتهما ارتباط أسرتيهما وقربتهما ، وسكنهما في بيت واحد .

وإذا كان الارتباط بين أمينة وعلى يمثل - الشهادة الأولى - قد تم على أرض الاشتراك في الهموم العامة ، وانتهى بالزواج رغم تذليل العقبات المادية المختلفة بعيشه مع امرته ، فإن ذلك الحب الذي غذاه الوعي والاحساس بالمشاركة ما كان يمكن أن يستمر مع التغيرات الجديدة ، وحاجة الأسرة الاقتصادية ، بعد أن أصبح له ولدان والثالث في الطريق ، من ثم كان عليه - وتلك الشهادة الثانية - ان يرحل مثل جميع أبناء جيله إلى بلد عربي كى يعمل على حل مشكلة أسرته الفردية ، وذلك هو الحل الأسهل ، الذي طرحته الظروف لأمثال «على وأميّنة» ، أبناء تلك الشراษ ، حيث الوعي الفردي بالشكلة ، والذي كان وعيًا جماعياً بشكل مؤقت أثناء فترة الدراسة ، ولم يستمر ، لا بد أن يصل به إلى الحطول الفردية ، فبعد أن كان همسهما يعني أنهم يجدان أمور الأسرة الاقتصادية تحول الهمس إلى صياح ، فهو يعمل في وظيفتين وأميّنة تتغول أنها تعيت من البيت وحياة البيت ، ويظلان مكذا داخل حالة الاستلاب المادي ، وهو ما عاشه جيل على وأميّنة، اللذين وحدتهما رياح الرفض والثورة والزمامـلة في مقاعد الجامعة - إلى أن يجد على فرضة للسفر للعمل خارج البلد . وسرعان ما يصبح زوجته المخاضلة ، التي كانت تهدّى ضد الحكومة وسياسة الانفتاح ، ويرحلان بصحبة أولادهما ، وبعدما لا غرو أن يرتبطا بالمجتمع الاستهلاكي الذي لا تتف مطالبـه عند حد ومكذا تقدم الكاتبة - رضوى عاشور - شهادتها على تلك الظروف من خلال التسجيل الواقعى لما حدث في تلك السنوات ، وما زال يحدث ، فلقد ارتبط كل من على وأميّنة بالطاحونة التي لا تتوقف

ابدا وال حاجات التي لا تنتهي ، رغم أنهما لا يمتلكان المسكن الخاص ،
وليس هناك ادنى امل في امتلاكه سنة وراء سنة .

وإذا كانت رواية « حجر دافع » قد قدمت قصة الحب الاولى بين « أمينة وعلى » التي ترعرعت وسط لهيب الحركة الطلابية ، وما وصلت اليه في الواقع يبتعد كل يوم عن تحقيق انسانية الفرد - فانها قد قدمت قصة الحب الثانية بين بشري شقيقة على و « طه » الذي ارتبط بالعمل السياسي الدائم ، وكانت هي الفتاة المثالية ، التي أحبته بصدق كامل وارتبطت به حتى النهاية ، والتزرت بحباها له ، بينما هو ينتقل من سجن الى سجن مطاردا من الجريمة الامن بسبب رفضه الدائم ، وانحرافه في محاولة ايجاد حل عام وغير فردي ، للشكلة مما جعله حفنا للحملات الدائمة ، وربما الفرق بين القصتين ان بشري عندما احببت - وهو ما تزيد الرواية ان تقوله - لم تحب انتهاء مرحلة التعليم ، فلقد احببت بوعي كامل بعد تخرجهما وممارستها العمل كمدرسة ، وهو - طه - كان يعمل باحثا اجتماعيا فلقد ارتبطا معا وسط اتون الحياة ولم يرتبطا بالشكل الرومانسي ، وهذا هو ما جعلهما يمتلكان الطاقة على الاستمرار ، ويصل بشري - الفتاة الواعدة - في نهاية الرواية الى ان تكون شخصا آخر متعدد الاهتمامات ، مدرسة في الصباح ، وطالبة دراسات عليا بعد الظهر ، وربة بيت في المساء ترعى اهلا وطنينا ، وتذهب الى السجن لزيارة طه ، وتسافر الى آسيا و زيارة اسرة طه في احدى القرى الثانية ، كى تدعم اوصاف ارتباطها بالواقع ، وهو ما ينوه به كاهل مقدمة صغيرة عشقت والتلحمت مع الحياة ، بينما هي في ذهابها وعدتها تنظر بشغف الى تمثال نهضة مصر ، الذى يسقى في مدخل الطريق بين حدائق الاورمان ، وحديقة الحيوان ، وفي نهاية هذا الطريق قبة الجامعة ، ذلك التمثال الذى له رأس ابى الهول ، وجسد المرأة المصرية كما تخيلها « مختار » ، فهو تتوحد مع ما يبعثه ذلك التمثال من معانى كثيرة تعبير عن فكرة النهضة المصرية ، وكان أن جلست الى جسد التمثال - الذى ادهشها دفء حجارته ، تمنت لو أن باستطاعتها وسط ذلك التعب - الذى أحست به طوال النهار وفي نهايته - أن تمر بيدها على جسد المرأة :

.. (أسلحت « بشري » ظهرها الى قاعدة التمثال ، وسرعان ما أغضبت عينيها من شدة التعب ، ولم تستطع الا على صوت الشرطي : « الذى يسألها عن بطاقتها الشخصية بقوله :

- قومي يا امرأة .

أوضحت له أنها كانت في طريقها إلى البيت ، وأنها أرادت أن ترى

التمثال عن قرب ، وأنها ألغت من شدة التعب ، أعطته بطاقتها ليتأكد ،
راح يتحقق فيها وهو يقول :

- لم أكن أعرف أن المؤسسات وصلن إلى طريق الجامعة .
- أنت وقع .
- أنت تتعدين على السلطة .

ـ ثم يأخذونها إلى القسم ، ولا يفرجون عنها إلا بعد التأكد من
ـ شخصيتها .) ٠٠ .

وبذلك نرى أن الرواية قدّمت شهادتها على نموذجين لعلاقتين
فرضتهما الظروف طوال سنوات السبعينيات ، ومدى العناء الذي يعنيه
أبطالهما كى يبقوا ، وفي المقابل كان فشل زواج « سلمي » من الشخص
الفنى الذى عاملها بطريقة غفلة ، ولم يكن بينهما أى حب يربطهما ، وكان
لا بد من الانفصال ، ثم سفر « سلمي » للعمل فى أوروبا - النمسا . وكذا
شقيقتها « مدحية » ، أيضاً تسافر للعمل في الخارج دون زواج أو ارتباط .
وشقيقها « سيد » الذى يقسم بأعمال مريمية ، يتأنى لطرد أنه « منيرة »
من الشقة حتى يستقل فيها مع زوجته الأجنبية غير المذكورة ، ويتشتت
أفراد الأسرة ، وهم أبناء الجيل الذى تعلم مجاناً ، ورأى في لحظة أنه لا بد
من التمسك بتلك الشعارات . فكان البعض في السجن ، والآخرون مبعثرين
في كل أرجاء الأرض . الأم عتقد أقاربها بالريف بعد طردتها من شققها
التي بتروجت بها ، وبشرى في مفترق الحياة . وطه في السجن ، ومدحية تعمل في
مع على في البلدان العربية ، وسلمي المطلقة في النمسا ، ومدحية تعمل في
أحد البلدان العربية فقد حكم على أفراد الاسرتين بالشتات والضياع ،
والذى بقى عليه أن يدفع الثمن كاملاً ، ولا تشعر « بشري » بالأمان في وحدتها
الآن طريق الرمز والحلم الرومانسى ، وما يجسده تمثال نهضة مصر
بأحجاره التي احسست أنها دافئة ، بينما المجتمع كله يعيش حالة من حالات
الصقيع .

ـ ثمة وقفة مهمة أمام شخصية « شمس » ، الأم التي تتمحور حولها
ـ الرواية ، والتي لاحظنا أن الكاتبة شديدة الاعجاب بها ، فقدّمتها في أجمل
ـ صورة ، فهي الأم الثانية المتقدمة والزوجة الوفية لذكرى زوجها ، وتترفع
ـ الكاتبة بتلك الشخصية لستوى عال للغاية ، عندما تدعها تذهب إلى
ـ الجامعة بحثاً عن ابنها ، فتصطدم بالظاهر في ميدان الجيزة ، ولا تجد

لها عنفدا ، فكل الشوارع مسدودة بخوذات جنود الامن ، وكانت في الاصل ذاتية لشراء بعض الأغراض المذليلة ، لكنها تشتراك في المظاهره ، بان تملا السلطة التي تحملها بالحجارة لكي تقدمها للمتظاهرين ، فهي شبيهة بالام في رواية مكسيم جوركى الشهيره ، وهي الأم التي كانت توصل المنشورات للعمال في المصنع الذي يعمل فيه ابنيها ، ولقد انخرطت شمس في لحظه مع صوت الجماهير التي تطالب بحقوق الشعب الاقتصادية ، وذابت مع الناس مؤيدة للحق ، الذى كان يمثل في الرواية حق كل الناس ، وتلك القيمة - الحق - ما كانت تبرز أثبل ما في شخصية شمس أو الأم في رواية رضوى عاشور .

وفي النهاية - ورغم كثرة التفاصيل التي نثرتها الكاتبة ، وبدت زائدة عن الحد ، مثل الطقوس الخاصة بالزواج والفرح البسيط الذي تعبيشه مختلف الأسر الشعبية ، والعادات المتبعه في عمل الاطعمة - يلاحظ القاريء ، ذلك الانحياز غير المباشر والمموس الذي تبديه الكاتبة تجاه المرأة ، فالكاتبة تعيل تماما لابراز تضحيات المرأة ، وان كان لا يظهر تعصباً لذلك ، بل أنها تعيل تماما نحو المرأة المصرية التي جسدت رواية حجر دافق صلابتها في الشخصيات اللائي قدمتها الرواية «شمس ، بشرى ، سلمى ، مدحية » ، بينما تظهر في مقابل ذلك صورة المرأة الأجنبية زوجة سيد ، في إطار المفترضة ، زلقة اللسان .

يبقى أن نشير الى أن الرواية ، بكثرة تفاصيل احداثها وشخصياتها ، نجحت الى المستوى التسجيلي ، الذي رغم سسيطرته فنيا على العمل ، عكس شيئا من الطرازجة الواقعية ، ان كثيرين من ابناء المجتمع المصرى نلمع صورهم في تلك الرواية ، التي حفلت بنماذج من ابناء جيلنا تمر صورهم ، في واقعنا المعاش ، أمام عيوننا ولا تتوقف عندها كثيرا ..

رقم الإيداع ١٩٨٣/٦١٧١

شركة الأمل للطباعة والنشر والتوزيع
(مورافيةتلى سلبيقا)

٩٠٤٠٩٦ ش. محمد رياض - عابدين ت